جامعة الشهيد حمه لخضر –الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

البعثات الاستكشافية الفرنسية للصحراء الجزائرية خلال القرن 19م

مذكرة مكمّلة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر

في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالبتين:

بشيرة قرايفة

رجاء تواوة

الأستاذ المشرف:

د. عاشوري قمعون

لجنة المناقشة

الأستاذ	الصفة	مؤسسة الانتساب
د. عبد الكامل عطية	رئيس الجلسة	جامعة الشهيد حمه لخضر
د.عاشوري قمعون	مشرفاً ومقرراً	جامعة الشهيد حمه لخضر
د. رضوان شافو	عضواً مناقشاً	جامعة الشهيد حمه لخضر

السنة الجامعية : 1437-1438هـ / 2016-2017م

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

شكر وعرفان

لقد بذلنا في إعداد هذا البحث ما استطعنا من جهد ووقت، وغايتنا أن يكون وفيا خالصا لوجه الله الكريم، راجين منه الأجر.

وامتثالا لقوله تعالى: ﴿ **وَمَنَ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ** ﴾ النمل، الآية: 40.

واستنادا لقول الرسول ﷺ: "**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**"، فإننا نحمد الله أن تتمم نعمته علينا بإكمال هذا البحث ويسّره لنا، فله الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً.

ونتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى أستاذنا المشرف "**قمعون عاشور**" حفظه الله على قبوله الإشراف على هذه المذكرة والذي خصتنا بالنصيحة والتوجيه والمراجعة والتدقيق.

إلى الأساتذة الأفاضل بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، د. عثمان زقب، د. موسى بن موسى و أ. صهيب شنوف، وأ. عبد القادر عوادي.

كما نتقدم بشكرنا إلى الأساتذة الأفاضل محمد الصالح وقادي، وإلى أساتذة متوسطة عيسى مسعودي ومتوسطة عبد الرزاق باهي، وأستاذات ثانوية الساسي رضواني ببلدية الرقيبة، وإلى الطلبة الأفاضل مروى بن بوزيد وشفيقة جيلاخ، ومحمد سعداني ومحمد بن عيشة.

وكل موظفي متحف المجاهد، خاصة محمد قزي.

كما لا ننسى أن نتقدم بعظيم شكرنا وامتنانا للوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما وجعلهم ذخراً لنا.

مقدمة

مقدمة

إن الصحراء الجزائرية تعتبر قلب العالم، لما تحتله من موقع استراتيجي هام، فهي بمثابة جسر عالمي يربط البلدان المختلفة شمالا وجنوبا وشرقا وغربا، ولكن بقيت طيلة قرون عديدة مجهولة لدى الأوروبيين وخاصة الفرنسيين ولم يقدم الرحالة القدماء الإغريق والرومان إلا معلومات ضئيلة ومحدودة نظرا لصعوبة المناخ واتساع الرقعة الجغرافية مع عدم وجود معرفة دقيقة بالمسالك والطرق.

ومن خلال الرحلات الاستكشافية خلال القرن الخامس عشر، حيث قام مغامر جنوبي برحلة إلى حوض النيجر عبر توات سنة 1447م والتي من خلالها بدأ الاهتمام الأوربي بالصحراء الجزائرية الذي كان سابقا للاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م فاشتدا التنافس بين الانجليز والألمان وذلك من اجل إيجاد أسواق مختلفة المنتجات الأوربية وإيجاد مجال لإسكان فائض السكان فتكونت لهذا الغرض جمعيات جغرافية عديدة.

وهذا ما شجع الفرنسيين في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر إلى اهتمام بالصحراء الجزائرية من خلال التنافس حول القيام ببعثات استكشافية متنوعة ، وخاصة بعد احتلالهم للجزائر ونجاحهم في مد نفوذهم في المناطق الساحلية والتلية رغم المقاومة العنيفة التي واجهتهم في تلك المناطق.

وهدا التنافس جعلهم يهتمون أكثر فأكثر وبذلك كثفت البعثات الاستكشافية إلى صحراء الجزائرية لتدوين كل صغيرة وكبيرة على المقدمات الطبيعية والاقتصادية والبشرية للمنطقة، فاحتوت هذه البعثات على الشخصيات المختلفة التخصصات من الباحثين والأدباء والمغامرين ورجال الدين بالإضافة إلى مذكرات الضباط العسكريين، لإنجاز التقارير والدراسات تمكن السلطة الفرنسية من التعرف على خبايا الصحراء، وتطبيق سياستها والسيطرة عليها واستغلال خيراتها.

أسباب اختيار الموضوع:

- أسباب ذاتية:

- الرغبة في معرفة أهم الأهداف والانطباعات التي عرفها المستكشفون الفرنسيون حول الصحراء الجزائرية.

- محاولة تسليط الضوء على أهم البعثات الاستكشافية الفرنسية للصحراء الجزائرية خلال القرن 19م.

أسباب موضوعية:

- إبراز استراتيجية الاستعمار الفرنسي لتوسع في الصحراء.

- ندرة هذا النوع من الدراسات الأكاديمية فأغلب المواضيع ركزت على مقاومة سكان الصحراء للاحتلال الفرنسي والسياسة الفرنسية بعد الاحتلال فأردنا توفير المراجع العربية حول هذا الموضوع.

- محاولة منا لاستغلال الرصيد الكبير للكتابات الفرنسية والتعامل معها بكل حذر وموضوعية.

الإطار الزماني للدراسة:

فاختيارنا لهذا الإطار الزمني وهو القرن 19، هو اختيار له ما يبرره، إذ يعتبر القرن 19م بداية للبحث في موضوعنا، بحكم أنه يمثل بداية الاهتمام الرسمي للسلطة الفرنسية بالصحراء الجزائرية بإطلاق أول بعثة فرنسية سنة 1824م.

الإشكالية:

- ما هي أهم البعثات الاستكشافية الفرنسية التي وطئت أقدامها في الصحراء الجزائرية؟ وأهم النتائج التي توصلوا إليها؟ وما هو الدور الذي قدمته هاته البعثات الاستكشافية لفرنسا حتى تتوغل في أعماق الصحراء الجزائرية؟ ومن هذا الإشكال نطرح عدة تساؤلات:

– ماهي أهم الأهداف والأسباب وراء البعثات لاستكشافيه التي ترسلها فرنسا وتزودها بكل ما تحتاجه من أجل نجاح مهمتها؟

–كيف كانت بداية لاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية؟

– وما هي أهم انطباعات المستكشفين الفرنسيين حول الصحراء الجزائرية ومجتمعها وحياتها الاقتصادية والاجتماعية؟

–وما هي ابرز واهم نتائج هذه البعثات ؟ وكيف استغلتها فرنسا من اجل الاحتلال والاستحواذ على الصحراء الجزائرية؟

– وما هو موقف السكان من تواجد الرحالة ومستكشفين في الصحراء الجزائرية؟

المنهج المتبع:

إن طبيعة دراسة هذا الموضوع جعلنا نلتزم بمنهجين:

المنهج التاريخي الذي يعتمد على عرض الظواهر التاريخية من حيث أهميتها وتأثيرها وتحليل الأحداث وتتبع مراحل البعثات واستغلال النتائج المترتبة عن هذه البعثات قصد الوصول إلى معرفة أهدافها الحقيقية، والمنهج الوصفي الذي سيتم توظيفه بشكل واسع، وذلك بصدد وصف مختلف جوانب الرحلة الاستكشافية وعرض أهم الانطباعات ووصفهم للحياة في الصحراء.

نقد المصادر والمراجع:

ومن المصادر والمراجع الأساسية، نجد مذكرات الرحالة الذين وصفوا المنطقة من خلال بعثتهم مثل" هنري دي فايرييه" مذكرات طريق والطوارق الشمال les touareg du Nord حيث كانت كتابته منهجية مقسمة إلى فصول معنونة بعناصر أساسية وأخرى فرعية، تتناول من خلال الحديث عن أهم المراكز التجارية التي كان يتوافد إليها الطوارق، منها توات وتديكلت ولقد ركز بشكل كبير على أصل الطوارق وأهم القبائل، ولكن استطعنا أن نستنبط أهم ما عرضه في الواحات الجزائرية من خلال بعثته التي دونها في كتابه الأول.

وكذلك كتاب دوماس عنوانه الصحراء الجزائرية le Sahara algérien وكتابه أيضا الصحراء الكبرىGrand Désert ولقد شملت دراسته معلومات كثيرة في الجانب الجغرافي والجانب السياسي، أما الجانب الثقافي فمعلوماته ضئيلة جدا، ومع ذلك يعتبر مصدرا مهما لدراسة الصحراء الجزائرية بالإضافة إلى الكتاب المستكشف فلاترز Missions Flatters والذي قدم من خلاله كل مراحل رحلته بالإضافة إلى كتاب س ترومليي (الفرنسيون في الصحراء) وكتابه باللغة الأجنبية Trumelet (Colonel) Les Français dans le désert، وقد أفادنا كثيرا حول طبيعة الحياة في الصحراء الجزائرية.

كما استعنا ببعض المصادر المترجمة إلى اللغة العربية مثل كتاب أندري جيد رحلة إلى شمال إفريقيا وكتاب الجنرال كفينياك للكاتب فايكس جاكو حملة الجنرال كفينياك في الصحراء الجزائرية الذي حمل في طياته انطباعات هذا المستكشف حول مختلف جوانب البيئة الصحراوية مع التركيز على ثرواتها الطبيعية والبشرية .وكما استعنا في جوانب من المواضيع بعدة كتب ومقالات ودوريات باللغة العربية، مثل كتاب إبراهيم مياسي الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، وكتاب قبسات من تاريخ الجزائر، وكتاب إسماعيل العربي الصحراء الكبرى وشواطئها وتاريخ الرحلة والاستكشاف في البر والبحر.

إضافة إلى كتب عبد القادر ميهي الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراستهم وإضافة إلى اعتمادنا على بعض الأعمال الأكاديمية منها رسالة الماجستير لعثمان حساني البيئة الاجتماعية والاقتصادية للصحراء الجزائرية من خلال تقارير الأجانب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، إضافة ومذكرة الماستر لهيبة كنيوة نظرة الرحالة والمستكشفين الفرنسيين لمجتمع الجنوب الشرقي الجزائري 1844-1918.ومذكرة صورة المجتمع الصحراوي من خلال الكتابات الفرنسية لحسن دواس. وهذه المذكرة تناولت تفاصيل دقيقة خاصة في المجال الثقافي للصحراء الجزائرية.

تقسيمات الدراسة:

يتضمن هذا الموضوع ثلاثة فصول تناولنا في الفصل الأول الإطار الجغرافي والتاريخي للصحراء الجزائرية وبداية الاهتمام الأوربي بالصحراء الجزائرية قبل القرن 19م وكانت البداية بالتعريف بالخصائص الطبيعية للصحراء من خلال الإطار الجغرافي والإطار التاريخي والعنصر الثاني يتمثل في الاهتمام الأوربي، الصحراء الجزائرية وتطرقنا من خلاله إلى اربعة عناصر، وتناولنا في العنصر أول البعثات الاستكشافية الأوربية قبل القرن 19م، والعنصر الثاني، الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية قبل وبداية الاحتلال، وبالإضافة إلى أسباب وأهداف البعثات الاستكشافية الفرنسية.

أما الفصل الثاني فكان بعنوان أهم النماذج للبعثات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء الجزائرية بعد الاحتلال وتطرقنا فيه إلى العنصر الأول البعثات الاستكشافية للفنانين و الأدباء الفرنسيين وكان لنا التركيز على بعض البعثات الاستكشافية للأدباء الفرنسيين مثل فيكتور لاجو Victor lageu وإيزابيل ابرهاردت Isabelle Eberhardt والفنان و الرسام فرومنتان Fromentin وكذلك تطرقنا إلى البعثات الاستكشافية للمغامرين ورجال الدين مثل وهنري دي فايرييه Henri Duveyrier وشارل دوفكو Charles de Foucould وأيضا البعثات الاستكشافية للضابط الفرنسيين مثل جنرال دوماس Dumas و فلاترز Flatters، وجنرال كفينياك General Cavaignac س ترومليي Trumelet (Colonel).

أما الفصل الثالث فكان حول الصحراء الجزائرية من منظور الرحالة والمستكشفين وأهم نتائج هذه البعثات وردود فعل سكان الصحراء، فتطرقنا إلى أهم نطباعات المستكشفين حول الحياة في الصحراء الجزائرية وفي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وصولا إلى النتائج المدونة في العنصر الثاني أولا أهم الدراسات المنجزة حول الصحراء الجزائرية، ثم إنشاء مشروع خط السكة الحديدية وإنجاز مشروع البحر الداخلي.

ولقد تعرضنا في إنجاز هذه الدراسة عدة صعوبات تتمثل في:

أن أغلب المصادر المستخدمة كانت بأسلوب غير أكاديمي يجعلها تتطلب وقتا أكبر للترجمة. وهذا يزيد من صعوبة البحث وكذلك صعوبة التنسيق بين المصادر والمراجع التي تحتوى على نفس المعلومة بمختلف جزئياتها الدقيقة.

قائمة المختصرات

قائمة الاختصارات

قائمة الاختصارات: بالعربية والأجنبية

تح: تحقيق	ط: طبعة
تر: ترجمة	ط.خ: طبعة خاصة
ج: جزء	ع: عدد
ص: صفحة	م: ميلادي
د.س.ن: دون سنة نشر	هـ: هجري
مج: مجلد	نفس المرجع والمؤلف: Ibid
P: page	Op.Cit: Operato Citato
N: Numéro	T: Tome
R.A: Revue Africaine	

الفصل الأول

الإطار الجغرافي والتاريخي للصحراء الجزائرية

وبداية الاهتمام الأوربي بها

أولا: الخصائص الطبيعية والتاريخية للصحراء الجزائرية:

- الإطار الجغرافي
- الإطار التاريخي

ثانيا: الاهتمام الأوربي بالصحراء الجزائرية

- البعثات الاستكشافية قبل القرن 19م
- الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية في بداية الاحتلال
- أهداف البعثات الاستكشافية الفرنسية
- دوافع البعثات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء

أولا: الخصائص الطبيعية والتاريخية للصحراء الجزائرية:

- الإطار الجغرافي:

تشكل الصحراء الجزائرية القسم الأكبر من مساحة الصحراء الإفريقية الكبرى. وتمثل مساحة الصحراء 90% من إجمالي الأرض الجزائرية[1]، وتقدر بحوالي 1987600 كم[2]. ينحصر إقليم الصحراء شرقا بين الأطراف الجنوبية للأطلس الصحراوي شمالا، وتونس وليبيا شرقا، والنيجر وهضبة تادمايت غربا.[3] كما يمكن تحديد هذا الإقليم من ناحية الغرب بخط طول 3 شرقا، والذي يمر بالجزائر العاصمة. في حين يحدد الإقليم الجنوبي الغربي بمعالم طبيعية واضحة، تتمثل في السفوح الجنوبية للسلسلة الأطلسية شمالا، وهضبة تادمايت شرقا، وكل من المغرب الأقصى والصحراء الغربية وموريتانيا ومالي غربا وجنوبا[4].

أما أحمد توفيق المدني، فيحدد الموقع الجغرافي للصحراء الجزائرية فيما بين الحدين التونسي والمغربي[5]. حيث يبتدئ من سلسلة الأطلس الصحراوي في الشرق بجبال أوراس، ويستمر في الاتجاه نحو الغرب حتى يصل جبال أولاد نائل وجبال الجلفة وجبال العمور وجبال القصور.[6]

---

[1] – احميده عميراوي وآخرون، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1816-1844)**، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص10.

[2] – عبد القادر حلمي، **جغرافية الجزائر الطبيعية، البشرية، الاقتصادية** ط1، الجزائر، 1968، ص 48.

[3] – هضبة تادمايت: وتقع في منطقة الهضاب من الصحراء الجزائرية. وهي هضبة كلسية فسيحة، ممتدة بين دائرتي عرض 27 و30 شمالا، وترتفع على علو يناهز 600 م. وتغطيها طبقة بلون أحمر. انظر: جودت حسنين جودة، **دراسات في جغرافيا الطبيعة للصحاري العربية**، بيروت، 1980 ص 72.

[4] – المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، **فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية**، سلسلة ملتقيات الجزائر، ص 22.

[5] – أحمد توفيق مدني، **جغرافية القطر الجزائري**، الناشئة الإسلامية، الجزائر،دس.ن، ص40.

[6] – نفسه، **هذه الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 2001،د.س.ن، ص 15-16.

أما إدوارد كات[1] فيذكر موقع الصحراء الجزائرية بقوله[2]:" الجبل الذي يفتح منه ممر القنطرة يشكل الحدود الدقيقة بين المناطق الشمالية والجنوبية"[3].

كما يتميز هذا الإقليم بتركيبة جغرافية أبسط من المنطقة التلية. حيث لا نجد بها جبالا متقطعة، ولا مرتفعات معقدة، ولا سهولا ضيقة محصورة، ولا التواءات حديثة، بل نجد جبالا وعروقا رملية متنقلة[4].

المناخ: يغطي أوسع أنحاء الجزائر. ويشكل الأطلس الصحراوي الحد المناخي الفاصل بين شمال وجنوب البلاد[5]. وكان الوضع الجغرافي انعكاسا مباشرا على مناخ الصحراء الذي يتميز[6] بارتفاع درجة الحرارة في فصل الصيف التي تصل إلى 50° بمدينة أدرار[7] أو عين صالح[8] ، كما تنخفض في فصل الشتاء إلى درجة الصفر. وبهذا يكون المدى الحراري بها كبيرا جدا[9].

---

[1] – كات إدوارد:**رحالة فرنسي 1856–1903**، أستاذ التاريخ والجغرافيا في كلية الجزائر.bfr/ gallica // Http23.04. 2017.

[2] – انظر الملحق رقم 09، ص138.

[1] – E- Cat, **A travers le Désert,** Typographie Gaston Née, Paris, 1892, P, 135.

[4] – عبد القادر حلمي، مرجع سابق ص 48.

[5] – محمد الهادي بلعروق، **أطلس الجزائر والعالم**، دار الهدى، الجزائر، 1998، ص21.

[6] –إحميده عميراوي وآخرون، مرجع سابق ص 12 .

[7] – أدرار: تقع ولاية أدرار بين خطي عرض 26 و30 شمالا، وبين خطي طول 1 شرقا إلى 4 غربا. ينظر **فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1977، ص1.

[8] – عين صالح: تقع على بعد (1300 كم) من الجزائر في وسط الصحراء الجزائرية، وبارتفاع عن مستوى سطح البحر بحوالي 294 م. وهي تابعة لولاية تامنراست وتيديكلت. وأصل تسميتها يعود إلى شخص اسمه صالح. ينظر: مخطاري مصطفى حطاب سفيان، **التحولات العمرانية في المدينة الصحراوية (حالة مدينة عين صالح الجزائر)**، جامعة هواري بومدين، الجزائر، ص 1.

[9] – كديدة محمد مبارك، **قضية فصل الصحراء في المفاوضات الجزائرية الفرنسية 1960–1962**. مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ومعاصر تخصص المقاومة الوطنية والثورة تحريرية ،إشراف مريم صفير ،جامعة الجزائر، 2011–2012، ص 16.

بالإضافة إلى هبوب رياح جافة في بعض الأحيان، متميزة بعواصف هوجاء تزيد من قسوة المناخ الصحراوي وعدم استقراره. وتبلغ شدته إلى درجة عالية من السرعة، بحيث تفتت الصخور وتعري الأرض وتعرقل مجرى الحياة اليومية. وهناك رياح تهب خفيفة ولكنها لا تلبث أن تتحول إلى إعصار، وزوابع وتسمى " الشهيلي"[1] وتعني الرياح الجنوبية، أما الرياح الخطيرة والزوابع القوية فسماها الفرنسيون ب "سيروكو" SIROCCO وهي الرياح الجنوبية الشرقية الحارة[2].

كما تتميز الصحراء بسقوط أمطار قليلة، خاصة على الهوامش الشمالية والجنوبية، وعدم انتظامها. كما يسودها جفاف على مدار السنة، وتقل كمية التساقط عن 200 مم، وترتفع إلى ما بين 50- 200 مم،[3] على المرتفعات، وتتراجع إلى دون 50 مم في باقي المناطق. ويرجع سبب ظاهرة الجفاف إلى أن الصحراء تقع في المنطقة المدارية التي تهب عليها الرياح القادمة من خط الاستواء، وبالتالي فهي منطقة ضغط مرتفع، ومصدر للرياح التجارية وهي رياح لا تتسبب في نزول المطر[4]. أما شبكة الأودية فهي تتبع الأطلس الصحراوي، وتصب أحيانا في الشطوط، وأحيانا تختفي في وسط الرمال[5]. وهي أودية كاذبة فجائية[6].

وأما التضاريس تتباين في الصحراء الجزائرية التي تتنوع من جبال وهضاب وسهول ومنخفضات ويمكن وصفها بما يلي:

---

[1] – صفاء عريق، **المشاريع الفرنسية في الصحراء الجزائرية خلال الثورة التحريرية**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ معاصر، إشراف محمودي نصر الدين، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2013-2014 ص 16.

[2] – زينب بوبي، **النشاط التنصيري في الجزائر منطقة الصحراء نموذجا (1844-1920)**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ معاصر، إشراف لخضر بن بوزيد، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2014-2015 ص13.

[3] – عبد السلام بوشارب، **الهقار أمجاد وأنجاد**، الناشر المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995 ص 38.

[4] – هادي لعروق، مرجع سابق، ص 16.

[5] – إحميده عميراوي ،ص ص 13-14.

[6] – ليديا بوشامة: **وحدة جغرافية الجزائر والمغرب العربي**، مجموعة محاضرات الواردة في مقياس جغرافية الجزائر والمغرب والمغرب العربي، ص 114.

– **السهول:** سهول الصحراء واسعة، ولكنها فقيرة بالنسبة لنظرتها الواقعة شمال الوطن، حيث تبدو أقل خصوبة منها وجافة بسبب احتوائها على تربة نفاذية تسمح بتسرب المياه إلى جوف الأرض إلا أنه يمكن استصلاحها فتعطي أراضي فلاحيه يمكنها الإنتاج وأما النوع المسيطر على الصحراء ويسمى الرق، وهو عبارة عن سهول صخرية يغطيها الحصى والرمال الخشنة[1]

– **مرتفعات وهضاب:** ونجد في الصحراء الجزائرية ثلاثة أنواع من الهضاب والجبال فالهضاب توجد على شكل حمادة، وهي عبارة عن هضبة صخرية بها صخور جيرية مثال ذلك هضبة حمادة الدرع والقلاع وتدمايت أما الكثبان الرملية فتدعى العرق[2] وأشهرها العرق الشرقي الكبير والعرق الغربي الكبير وفي الجنوب الشرقي من الصحراء ترتفع كتلة الهقار الكبيرة التي تبلغ قيمتها 2918م ،وتعد أعلى قمة في القطر الجزائري وهي قمة تاهات[3].

– **المنخفضات والأحواض:** والتي تظهر بها بعض الشطوط مثل شط ملغيغ الذي يقع تحت مستوى سطح البحر بحوالي 31م [4] ولهذه الأراضي أهمية الإقتصادية تتمثل في انتشار الواحات منها واحة الزيبان[5] وواحة وادي سوف ووادي ريغ[6] في الجنوب[7].

---

[1] – المركز الوطني للبحث في تاريخ الحركة الوطنية، مرجع سابق ص 4.

[2] – العرق: هو سطح واسع الأطراف تغطيه كثبان رملية تشبه أمواج البحر حملتها الرياح من الحمادة أو الرق، وبهذا تكون رواسب العرق هوائية ينظر إلى محمد السويدي، **بدو الطوارق بين الثبات والتغير**، المؤسسة الوطنية للكتاب 1986 ص108.

[3] – الهادي درواز، **الولاية السادسة التاريخية (تنظيم ووقائع 1954_1962)**، دار الهدى ،الجزائر، 2009، ص 20.

[4] – محمد السويدي، المرجع السابق، ص108.

[5] – واحة الزيان: الزيبان منطقة تقع في الجنوب الشرقي التي تعتبر همزة وصل بين الشمال والجنوب. تمتد من حدود تونس إلى أولاد نائل إلى غاية تقرت. ينظر: إسماعيل العربي، **الترتيبات التكتيكية لحصار قرية الزعاطشة**، مجلة الدراسات التاريخية، ع 9، الجزائر، 1995، ص 152.

[6] – وادي ريغ: إقليم يقع في الجنوب الشرقي الصحراوي. عاصمته مدينة تقرت. طوله حوالي 160 كم يبتدئ من شمال عين الصفراء قرب بلدة أم الطيور، وينتهي جنوبا عند قرية المجاذلة لبلدة عمر. انظر إلى علي غنابزية، **وادي ريغ من خلال تاريخ محمد العدواني**، مجلة الباحث للبحوث والدراسات، ع 2، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة الوادي، ص115.

[7] – إبراهيم مياسي، **التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي**، مرجع سابق ،ص19.

الإطار التاريخي:

أ-الصحراء الجزائرية قبل الإسلام:

إن الدراسات التاريخية أثبتت أن للصحراء الجزائرية تاريخا عريقا، وتعاقبت عليها أمم عديدة منذ العصور الحجرية إلى الفتح الإسلامي، والتي تدل على أن هناك تواجدا بشريا في هذه المنطقة، وقيام حضارات عريقة تعود إلى آلاف السنين. وأن هذه الصحراء لم تكن صحراء قاحلة. بل كانت ذات أمطار غزيرة، ونباتات كثيفة. وكانت مأوى لمراكز الاستيطان والحضارات[1]، وهذا ما أكده القس ريتشارد RICHARD في دراسته للصحراء الجزائرية، والتي نشرها سنة 1878م[2].

كما تدل على ذلك النقوش الصخرية التي تعكس عدة فترات أو عهود مثل: رسم رمز الحصان الذي يعتبر حسب رأي الباحثة هورس أن تجسيد الفارس على ظهر حصان يعد أكثر شرفا وأهمية للقرطاجيين والنوميديين[3]. وأما في عهد الحضارة الفينيقية، فلم يعثر الباحثون على ما يدل على التغلغل والتعمق في هذه الحضارة، لأنهم لم يتوغلوا إلى الداخل إلا قليلا[4].

أما في العهد القرطاجي، فقد شهدت الصحراء الجزائرية حركة تجارية، وذلك لحرص ملك قرطاجة على ربط الصلات التجارية بين شمال القارة ووسطها[5]. حيث أقيمت أسواق نشيطة ومزدهرة على تخوم الصحراء، وبالأخص على ضفاف شط ملغيغ من أجل تبادل السلع المختلفة التي كانت تحملها القوافل إلى هذه المراكز[6]. وفي العهد الروماني، اقترب

---

[1] – إبراهيم مياسي، **التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912)**، الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد 1996ص 24.

[2] – هوغو (هـ-ج)، **الصحراء فيما قبل التاريخ الفصل الثالث والعشرون، تاريخ إفريقيا العام**، مج 1، جون أفريك، اليونسكو، 1980 ص592.

[3] – محمد الصغير غانم، **المعالم الحضارية في الشرق الجزائري**، دار الهدى ،الجزائر، 2006، ص167.

[4] – إبراهيم مياسي، **التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي..**، مرجع سابق ص 24.

[5] – يحي بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الدولية والوطنية**، ط 5، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص61.

[6] – إبراهيم مياسي، **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ديوان مطبوعات الجامعية، 1999 ،الجزائر، ص 41.

الرومان من أطرف الصحراء الشمالية، وأقاموا قلعا وقواعد عسكرية[1] بهدف رصد التحركات السكانية ووضعها تحت الرقابة العسكرية، ومحاولة بسط النفوذ الاستعماري على المنطقة[2].

وفي مطلع القرن الأول الميلادي، تمكن كورنيلوس Lieus Cornè من عبور الصحراء من ليبيا إلى الهقار في محاولة للوصول إلى مجرى نهر النيجر، واقتفى أثره آخرون بعده إلى السودان، ومن ضمنهم: سيبتيموس فلاكوس Septimus Flacous وجوليوس ماترونوس Julius matternus[3].

ب- الصحراء الجزائرية في العصر الإسلامي:

كانت لفترة الفتح الإسلامي ملامسة التخوم الصحراوية كفتوحات عقبة بن نافع في الصحراء الليبية والجزائرية، والتي انتهت باستشهاد هذا القائد الفاتح بتهودة سنة 64هـ/ 683م؛ وهي قرية سيدي عقبة ببسكرة، الواقعة في المنطقة الجنوبية الشرقية[4]. وعرفت الصحراء الجزائرية حركة علمية خلال القرون الأولى للإسلام من خلال بعض العلماء مثل: الشيخ أبو عمر وعثمان بن خليفة السوفي وسيدي عبد الله بن أحمد..الخ[5] إلى جانب العديد من الرحالة والجغرافيين الذين أولوا اهتماما كبيرا بالصحراء الجزائرية، وتعرفوا على أرجائها وأسرارها، وسجلوا ذلك في رحلاتهم وكتبهم مثل:[6] ابن حوقل[7] والبكري في القرن العاشر

---

[1] – يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص 61.

[2] – بوسعد الطيب، **الصحراء الجنوبية الشرقية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني (وادي ريغ نموذجا)**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 15، المركز الجامعي غرداية، 2011، ص432.

[3] – يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص 62.

[4] – بوسعد الطيب، مرجع سابق، ص 432.

[5] – على غنابزية "**الحركة العلمية بوادي سوف" دراسات تاريخية واقتصادية وثقافية**، مزوار للطباعة والنشر، الوادي ، 2008، ص15.

[6] – إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1954**، دار هومة، الجزائر، 2012، ص395.

[7] – ابن حوقل: عاش في القرن العاشر، وهو أحد التجار والرحالة المثقفين، اتخذ من التجارة وسيلة لتفهم خصائص الأقاليم. وألف كتاب صورة لأرض دون فيه جزء مما شاهد من الصحراء الكبرى. انظر: أبو قاسم محمد علي، بن حوقل النصيبي **صورة الأرض**، مكتبة دار الحياة، لبنان، 1982، ص 5.

الميلادي[1]، والإدريسي في القرن الحادي عشر.[2] الذي قام برحلة في أعماق الصحراء، وتحدث ووصف العديد من أماكنها، ومن بينها: ورجلان[3]. وكذلك الرحلات التي أجراها ابن بطوطة[4] والذي توغل داخل إفريقيا في رحلته الثالثة، وسجل العديد من المعلومات القيمة عن عن تلك المناطق، وخاصة الصحراوية منها. كما وصف سكانها أنهم ذوو أخلاق حسنة، ويقل لديهم الظلم؛ كما أن سلطانهم شديد وصارم، وكان حريصا على الأمن، فلا يخشى المسافر أو المقيم على نفسه من هول الأخطار المعتادة في مثل هذه الأماكن[5].

بالإضافة إلى رحلة المغربي الأندلسي ابن سعيد المغربي[6] الذي دون معظم رحلاته عن عن الصحراء، وقدم عليها معلومات كثيرة[7]. وقام الرحالة أبو الحسن بن عبد الله الوزان[8]، المعروف بليون الإفريقي، برحلة إلى الصحراء في مطلع القرن السادس عشر؛ ومن بين

---

[1] – أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري (ت487)، **المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب (جزء من مسالك وممالك)**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص 51.

[2] – الإدريسي: هو عبد الله بن محمد بن أحمد بن علي بن إدريس بن يحى بن علي بن محمود بن ميمون بن الأعلى إلى إدريس بن عبد الله، مؤسس الدولة الإدريسية بالمغرب. انظر إلى عبد الله الكنون ذكريات **مشاهير المغرب في العلم والأدب والسياسة**،ج1،ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، 2010،ص202.

[3] – أبو عبيد الله المعروف بالشريف الإدريسي (ت561هـ–1167 م)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، نشر مكتبة الثقافة الدينية، مجلد 1، د،ط، د.س.ن ،ص 108.

[4] – أبو عبد الله بن بطوطة، الملقب بشمس الدين. رحالة مغربي يرجع نسبه إلى القبائل البربرية. ولد بمدينة طنجة. ينظر إلى عواطف محمد يوسف نواب، **الرحلات المغربية الأندلسية**،مكتبة فهد الوطنية للنشر، الرياض ،1996 ص 129.

[5] – أبو عبيد الله المعروف بابن بطوطة (ت 979هـ، 1377م)، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، مصر 1958، ص 203–204.

[6] – ابن سعيد المغربي: هو أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك. ولد في ليلة عيد الفطر من عام 1214م بغرناطة، وقام بمجموعة من الرحلات من بينها رحلات صحراوية. كما كانت له مجموعة من المؤلفات في مجال الجغرافيا، والأدب والتاريخ. توفي سنة 1284 وقيل في سنة 1286. انظر إلى محمد مؤنس أحمد عوض، **الجغرافيون ورحالة مسلمون**،ط1، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، 1995 ص 185.

[7] – ابن سعيد المغربي، **كتاب الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت لبنان 1970 ص5.

[8] – حسن الوزان: ينحدر حسن بن محمد الوزان من أسرة غرناطية مثقفة. ولد عام 1492 أثناء سقوط غرناطة، وتوفي سنة سنة 1552. وقد تأثر أربيون تأثيرا كبيرا بمعلوماته. انظر إلى عبد القادر زبادية، **دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء**، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية الجزائر، د.س.ن،، ص 135.

المناطق التي زارها: منطقة تقرت و ورقلة وبسكرة. حيث وصف سكانها وطبيعة الحياة ومختلف المظاهر الطبيعية التي فيها[1]. ويقول في ذلك "لا تحمل هذه الصحاري اسما دارجا بينها، وإنها انقسمت إلى أقسام، حيث أن كل قسم أخذ اسم سكانه وهم النوميديون الذين انقسموا إلى خمس مجموعات: الزناتة، الونزيقية، الطارقة اللمثة، والبزارة"[2].

أما العياشي فقام برحلته إلى أداء فريضة الحج، وسلك الصحراء بالمغرب الأوسط، وسجل من خلالها ملاحظات حول هذه الأماكن في كتابه رحلة العياشي[3]. وقدم معلومات قيمة عن بلدة المنيعة التي طالما بحث عليها الفرنسيون لجعلها قاعدة لهم في عملياتهم التوسعية. وهكذا شهدت الصحراء الإفريقية بصفة عامة مدا إسلاميا واسعا عن طريق التجار وسكان المغرب العربي. كما ساهم المرابطون والموحدون في نشر الدين الإسلامي في أعماق الصحراء التي قامت من خلالها مجموعة من المراكز الحضارية[4].

[1] – حسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص ص 137-138.

[2] – إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية**، مرجع سابق، ص 396.

[3] – مولاي بلحميسي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة خلال العهد العثماني**، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981،ص79.

[4] – إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية**، مرجع سابق، ص397.

ثانيا: البعثات الاستكشافية قبل القرن 19م

في فترة الاحتلال الأوربي، كان اهتمام الأوربيين كبيرا بالصحراء الجزائرية[1]، خاصة أن هذا الاحتلال سبقته موجة من تحركات، قائمة على أساس مشروعية التجسس، التي مهدت لها كتابات الغربيين المتنوعة بجميع مستوياتهم من قناصلة وأسرى وتجار ورحالة[2]. ويظهر ذلك خلال القرن السادس عشر، حيث كانت البداية بالاهتمام بمدينة الجزائر سنة 1551م. إذ زار الجغرافي نيكولاي Nicaly الجزائر وبجاية وعنابة.

وقام الألماني **جان أندري باسمون peyssonnel** بزيارة للشرق الجزائري خلال عامي 1725-1727م، وقام بنشر أعماله حول هده المدينة في المجلة الإفريقية[3]. بالإضافة لأعمال سيمون بيفايفر عن الجرائر، اعتمد في إنجازها على المصادر الهامة في تاريخ الجزائر أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال. وخلال القرن الثامن عشر، قام الدكتور توماس شو Shaw[4] برحلة إلى الجزائر، وقدم معلومات قيمة عن الصحراء الجزائرية من خلال رحلته التي قضاها في الجزائر، ومكث فيها اثنتي عشرة سنة، كما قدم عدة تقارير عن الصحراء الجزائرية، خاصة عن منطقة الزاب. وقام بزيارة لزاوية سيدي خالد، وتعرف على عادات المجتمع هناك، ورأى أنها تحظى بمكانة مرموقة لدى السكان.

وفي أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، تميزت الصحراء الإفريقية بنشاط تجارى واسع، مما استهوى الدول الأوروبية، فسارعوا إلى غزوها واستعمارها. واهتموا

---

[1] – إحميده عميراوي ، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى، الجزائر، 2005م، ص48.

[2] – موسى بن موسى، **التغلغل لاستعماري بوادي سوف بين المقاومة والتأقلم (1854-1947)**، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في تاريخ الجزائر والمعاصر، إشراف احمد صاري، جامعة الأمير عبد قادر، قسنطينة،2014-2015 ص 96.

[3] – إحميده اعميراوى ، **قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر**، مرجع سابق، ص36.

[4] – دكتور أنجليزي ولد 1692 قام برحلة إلى الجزائر (1720-1730) وزار خلالها تونس ودون ملاحظاته في كتاب الذي ترجم إلى عربية انظر إلى عثمان حساني البيئة لاجتماعية ولاقتصادية للصحراء الجزائرية من خلال تقارير الأجانب في قرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في تاريخ الحديث إشراف يوسف تلمساني جامعة الجزائر، 2006، ص30.

بمعرفة الطرق الصحراوية، وتتبع الأنهار، ومنابع الأنهار الإفريقية[1] رغم وعورتها، ووصفها بالقفار، لكنها ظلت محط أنظار المغامرين والمستكشفين. واعتمد هؤلاء على المصادر العربية والأجنبية، واستعانوا في كل مرة بالخرائط والمواقع الفلكية الدالة على كل مناطق الصحراء[2].

وتكونت لهذا الغرض جمعيات جغرافية وعلمية تكفلت بإرسال البعثات الاستكشافية، وتحملت نفقات الرحالة. ونذكر من هذه الجمعيات على سبيل المثال، لا على سبيل الحصر،[3] جمعية الجغرافية[4] لترقية كشف الأجزاء الداخلية في إفريقيا Assoiciation for the pronotimg the Disovery of the interior parts of Africa (APPIPA) التي تأسست في لندن عام 1788م[5].

وقامت في البداية بإرسال ثلاثة رحالة، هم: **هورن مان Horn–men**[6] الألماني، ولوكاس Lukas، وليد بارد Lyd bard[7]، في رحلات متتابعة تحت رعايتها، ولكنهم سرعان سرعان ما لقوا حتفهم. ثم اتجهت الأنظار بعد ذلك إلى نهر غامبيا، للشروع في إرسال البعثات من هذه الناحية، فقاموا بإرسال الميجر هيوتون سنة 1790م من مصب نهر

---

[1] – يحي بوعزيز، **طرق القوافل ولأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوروبيين خلال القرن التاسع عشر**، مجلة الثقافة، ع59، الجزائر، سبتمبر–أكتوبر 1980م، ص 15.

[2] – عثمان حساني، مرجع سابق، ص 22.

[3] – إبرهيم مياسي، **قبسات من تاريخ الجزائر**، دار هومة، الجزائر،2010، ص78.

[4]- وتعرف باسم الجمعية الإفريقية وهى هيئة من الرجال بارزين تهدف في اساس الى جمع معلومات علمية عن القارة إفريقية فقررت تمويل البعثات كشفية يقودها رجال يتم اختيارهم انظر: الى هوارد –س ،اشهر الرحلات الى غرب افريقيا تر: عبد الله الشيخ عبد الرحمان الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر 1996 ص 63.

[5] – مصطفى محمد على، **كشوف الجغرافية الأوربية للقارة الإفريقية وتطلعات المعاصرة للسيطرة على مواردها**. جامعة جوبا شوهد يوم 3 أفريل 2017، ص 3 WWW.PDF Factory.com.

[6] – هورن مان: وهو شاب ألماني من أكبر المستكشفين والمغامرين. بدأ رحلاته وهو لا يتجاوز من عمره الخامسة والعشرين. سجل كل الأحداث والعقبات التي صادفها منذ بداية رحلته وحتى نهايتها. وترجمت هذه الرحلات من الفرنسية إلى الإنجليزية. ينظر: إسماعيل العربي، **تاريخ الرحلة والاستكشاف في البر والبحر**. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص290.

[7] – إسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، المركز الوطني للكتاب، الجزائر، 1983، ص64.

غامبيا، وتوغل نحو الداخل. ووقع اختيار الجميع على الرحالة الاسكتلندي منغو بارك[1]، فوصل إلى ساحل غامبيا في جوان 1795م. وتعلم خلال هذه المدة لغة الماندينغ، وهي إحدى القبائل القوية التي تعيش في الداخل وتدين بالدين الإسلامي الحنيف. وفي أفريل 1797م، رجع بارك إلى هذه المدينة مجددا، ولاحظ بها عادات وتقاليد الماندينغ التي أبهرته، فسجل ثقافتهم وطقوسهم واهتماماتهم، لذلك حثت الحكومة البريطانية على بسط نفوذها في الصحراء الجزائرية حتى تستحوذ على هذه الخيرات والكنوز. واستطاع بارك أن يقدم معلومات هامة وجديدة حول رحلته المتعلقة بالحضارة الصحراوية وإفريقيا، واستطاع أن يصحح المفاهيم الخاطئة العالقة في ذهن الأوروبي[2].

كما كان هناك انتشار للعديد من الجمعيات الأخرى، مثل: الجمعية الجغرافية بباريس عام1821م، ثم الجمعية الملكية في لندن عام 1830م، وقبلهما جمعية برلين عام 1828م. وبلغت هذه الجمعيات المائة، وانضم إليها حوالي 50 الف عضو.[3]

ثالثاً: الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية بداية الاحتلال

ومع مطلع القرن التاسع عشر، وبعد استكشاف الإنجليز والألمان للصحراء في كل الاتجاهات: شمال وجنوب وشرق وغرب، لاحظ الفرنسيون أن الوقت قد حان للدخول إلى مسرح الصحراء لمشاركة منافسيها في لعبة الاستكشاف[4]، فقررت فرنسا تشجيع موطنيها للقيام برحلات هدفها استكشاف الأجزاء غير المعروفة منها. ولتحفيزهم على القيام بذلك، قررت الجمعية الجغرافية الفرنسية تخصيص مبلغ لمكافأة أول فرنسي ينقل ملاحظات إيجابية دقيقة عن تمبكتو، وعن المناطق الداخلية للقارة الإفريقية. إن هذه الرحلات كانت تمهيدا

[1] – منغو بارك ولد في عام 1881م، وكان الطفل السابع لفلاح اسكتلندي يعيش في سلكيرك شير، الواقعة بالقرب من نهر يارو Yarrow. وكان يشتغل مهنة طبيب، ولكنها لم تشبع طموحه وتطلعاته. ينظر: جوزفين كام، **المستكشفون في إفريقيا**. تر:السيد يوسف نصر، دار المعارف، 1983، القاهرة، ص 88.

[2] – إبراهيم مياسي، **قبسات من تاريخ الجزائر**، مرجع سابق، ص79.

[3] – عبد دايم حسين أحمد، "**الاقتصاد الإفريقي في كتابات الرحالة والأوروبيين**". مجلة قراءات إفريقية تاريخية، ع21، سبتمبر 2013، ص7.

[4] – إسماعيل العربي، **الرحلة والاستكشاف في البر والبحر**، مرجع سابق، ص 294.

للتوسع الفرنسي في المناطق الصحراوية، ودليل ذلك: كتابات وتصريحات القادة أنفسهم في التقرير الذي وجهه الأمير هنري دورليان Henri D'orléans إلى الوالي العام بالجزائر، وهو يتكلم عن الحملة الفرنسية التي استولت على بسكرة في 04 مارس 1844، حيث قال:" لقد بعثت عيوني من الضباط الذين يحسنون اللغة العربية، فاختلطوا بجميع القبائل، وفي ظرف عشرة أيام، أتوني بالإرشادات السياسية اللازمة، والإحصاءات الصحية التي مكنتني من إنشاء سلطة متينة، واتخاذ التدابير اللازمة[1]". وهذا ماعرف بإطار التنافس الدولي على إفريقيا[2].

وبدأت فرنسا مغامراتها بالصحراء الإفريقية منذ رحلة فريدريك كيليو Fréderic Cailliaud في أعوام 1818-1820، ورحلة روني كييه Caillie René في أعوام 1824-1828. حيث انطلق روني كاييه، وكله عزم وتصميم أن يدخل تمبكتو مهما كلفه الأمر، ولكن فقره لم يسمح له بتنفيذ خطته، وبذلك التجأ إلى حاكم سيرالون الإنجليزي الذي عينه في وظيفته، وخصص له مرتبا سنويا مهمًا في ذلك الوقت، قدر بـ 36000 فرنك[3]. وفي رحلته، تعلم روني كاييه اللغة العربية، وأتقنها عن ظهر قلب عندما كان في مراكش. وقبل أن يبدأ رحلته إلى تمبكتو، وصل به الأمر أنه كان يقوم بقراءة القرآن وتفسير معانيه إلى السكان[4].

وفي أواخر يوليو، وصل تافيلالت بعدما سجل ملاحظات، وأنجز رسومات قيمة في الطريق. ولما عاد روني كاييه إلى فرنسا، منحته الجمعية الجغرافية المكافأة التي خصصتها لمن يستكشف تمبكتو. كما منحته الحكومة الفرنسية جوقة الشرف، وحصل على معاشين

---

[1] – عبد القادر بوباية، "**دور الرحالة والمستكشفين الفرنسيين**". مجلة العصور، ع4/5 ديسمبر 2003 جوان 2004، ص156.

[2] – احميدة عميراوي ، **قضايا مختصرة من تاريخ الجزائر الحديث ومعاصر**، مرجع سابق ص 48.

[3] – يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، دار البصائر للنشر والتوزيع، ط خ، الجزائر، ص 318.

[4] – جوزيفين كام، مرجع سابق، ص 12.

منها قدر كل واحد بـ 3000 فرنك[1]. واستفاد الضباط الفرنسيون مما تركه هؤلاء الرحالة في معرفة أحوال الصحراء ونوعية حملاتهم التوسعية بهذه المنطقة. من ذلك نذكر الضابط لابي Lapie الذي تمكن من وضع خريطة عامة للجزائر، أبرز فيها تضاريس المنطقة الجنوبية.

وكانت هذه الخريطة أحسن أداة وظفها الفرنسيون فيما بعد في التوسع العسكري والمدني، والتحكم الإداري والاجتماعي في الصحراء. ومن جهة أخرى، وظف الأوربيون الجانب العلمي في دراسة الصحراء، إذ اهتم أفزاك AFZAK بدراسة المنطقة، وأنجز عام 1836 دراسة جغرافية الصحراء. ومنها خريطة هامة وضع عليها المعالم الرئيسية، منها: طرق المواصلات القديمة مع تقديم تصور حول كيفية استغلالها من طرف فرنسا[2].

ويمكن بذلك تسجيل البداية القوية للبعثات الاستكشافية الفرنسية في الجنوب الجزائري. ومنذ تأسيس لجنة الاكتشاف العلمي من قبل السلطة الفرنسية عام 1837[3]، صدر القرار الوزاري رسميا سنة 1839الذي دعا إلى تشكيل لجنة تضم 21 عضوا من أكاديمية العلوم، وأكاديمية الآداب والفنون، والكليات العسكرية، وكان فيها مختلف المختصين وأغلبهم من العسكريين. وكانت الخطة هي أن يذهب هؤلاء العلماء إلى الجزائر في مدة محددة، ويكتبوا حصيلة بحوثهم، على أن تنشر هذه البحوث على نفقة الدولة الفرنسية إذا دعمتها اللجنة. وقد وقعت الاتصالات مع إدارة الجزائر لتسهيل مهمة اللجنة والتنسيق بين أعضائها والسلطات المحلية. وكان على أكاديمية الآداب والفنون أن تحدد طبيعة العمل وأهدافه. واهتمت الوزارة الحربية باختيار الأشخاص لأن عدد الراغبين في مشاركته من الأكاديميين والباحثين كان كثيرا. كما أن تعييناتهم الرسمية وواردتهم المالية يستغرق وقتا أيضا[4]. ومن

[1] – إسماعيل العربي، تاريخ الرحلة و لاستكشاف ،مرجع سابق، ص 295.

[2] – احميدة عميراوي ، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844–1916**، مرجع سابق ،ص 30–31.

[3] – نفسه، **قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث ومعاصر**، مرجع سابق ص 49.

[4] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830–1854**، ج2، ط1، دار الغرب لإسلامي، بيروت، 2005، ص80.

هنا يتضح الدور الهام لاحتلال الصحراء، باعتبارها المنفذ الأساسي للتوغل في الصحراء الإفريقية. كما أن احتلال الجزائر مرهون باحتلال الصحراء[1].

رابعاً: أهداف البعثات الاستكشافية الفرنسية

كانت السياسة الفرنسية على دراية كبيرة بأهمية الصحراء، وأن قناعتها كانت كبيرة في أن بقاءها في الجزائر مرهون باحتلال الصحراء[2]، ولهذا ركز الاستعمار الفرنسي مؤامراته حول الصحراء الجزائرية التي يريد من خلالها توطيد نفوذه المباشر فيها[3]، فقررت فرنسا التوسع والتغلغل إلى الداخل، معتمدة على استراتيجيات مختلفة للسيطرة الكاملة، وذلك عن طريق إرسال البعثات الاستكشافية[4] التي من أهدافها الأساسية ما يلي:

- التوسع الاستعماري في الصحراء الجزائرية:

إن الهدف الأساسي يتمثل في التركيز على الغزو والتوسع الاستعماري انطلاقا من إرسال البعثات الاستكشافية، والتعرف على هذا المحيط الواسع والمجهول من الرمال الصفراء بواحاته الخضراء المتناثرة هنا وهناك. واقترن هذا الغزو والتوسع الاستعماري بمحاولة التعرف على إمكانيات الصحراء الاقتصادية والبشرية لاستغلالها واستثمارها، وبمحاولة استكشاف المظاهر الجغرافية والطبيعية، والتضاريسية، والمناخية والطبوغرافية، والطاقة المائية الجوفية. كما اقترن هذا الغزو والتوسع بدراسة المجموعات السكانية وعاداتها وتقاليدها وتاريخها

[1] – موسى بن موسى، مرجع سابق، ص 87.

[2] – احميده عميراوي، **مختصر في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، مرجع سابق، ص 50.

[3] – **الصحراء الجزائرية مصدر رخاء** جريدة المجاهد، ع89، الصادر في 13 مارس 1961، ص9.

[4] – هيبة كنيوة، **نظرة الرحالة والمستكشفين الفرنسيين لمجتمع الجنوب الشرقي الجزائري 1844-1918**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر ،إشراف جباري عثماني، جامعة الوادي، 2015-2016م ص14.

السياسي والحضاري، وأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية[1]، بهدف استغلالها مستقبلا لخدمة المشروع الاستعماري[2].

- تحقيق فرنسا أهدافا استراتيجية وتجارية في الصحراء:

احتدم الصراع بين القوى العظمى لوضع خطط مستقبلها، ومن بين الأطراف الفاعلة نجد بريطانيا وفرنسا التي ظلت المنافسة العنيدة لنشاط الإنجليز وتوسعهم الاستعماري خارج أوربا، والبحث عن مجال حيوي، وبالخصوص في قارتي إفريقيا وآسيا. كل ذلك جر بالفرنسيين هم أيضا إلى أسلوب الاستكشاف والمغامرة والبحث والنشاط لخدمة منظومتهم الاستعمارية. وقد تجسد ذلك خصوصا بعد عملية احتلال الجزائر[3].

وذلك عن طريق جلب المعادن المختلفة لدوران عجلة الصناعة في فرنسا، وكذلك جعلها مستوطنة لأعداد كبيرة من الفرنسيين خاصة، والأوربيين عامة، الذين بدورهم يستولون على أجود الأراضي لاستغلال ما فوقها وما تحتها من كنوز وثروات طائلة[4]، ومحاولة فرنسا أن تجد طرقا جديدة للتجارة. وهذا ما أورده مارشال سولت وزير الحربية " لا يجب إهمال الصحراء الجزائرية وذلك ما تقدمه لنا من ثروة التى تعطي لنا بعد ضروريا وسياسيا وتجاريا ويجب أن يسود حكمنا فيها ...حيث لا يمكن فتح علاقات تجارية من داخل إفريقيا إلا عن طريق السيطرة والهيمنة"[5].

وكذلك محاولة وضع شبكة من طرق المواصلات الحديدية، والبرية، وأسلاك الهاتف، لتسهيل سبل التنقل في ظروف آمنة للقوات العسكرية، والمغامرين بين مختلف المناطق الصحراوية، فأخذوا يدرسون المظاهر الطبوغرافية والتضاريسية والمناخية لتحديد المناطق

---

[1] – يحيى بوعزيز،**ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين**، مرجع سابق ،ص318.

[2] – أندري برنسان، أندري نوشي، إيف لاكوست، **الجزائر بين الماضي والحاضر**. ترجمة إسطنبولي رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 1954، ص 35.

[3] – أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث وبداية الاحتلال**، الشركة الوطنية للاحتلال 1982، ص35.

[4] – إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي للجنوب الغربي**، مرجع سابق، ص85.

[5]– Mangin (E) Notes sur l'histoire de lagout R;A,F,Alger.O;PU;N°38;1894 P80 .

التي تصلح لمد هذه الخطوط الحديدية، وشق الطرق البرية، وتحديد الاتجاهات، وإبراز المحاسن والصعوبات، وتقديم الحلول والاقتراحات. وكذلك محاولة خلق بحر داخلي صحراوي من أجل إحداث تغيير جذري في الظروف الطبيعية والمناخية القاسية للصحراء. واتجهت أنظارهم إلى أحواض الجريد التونسي وأحواض بسكرة، وواد سوف في الطرف الشمالي، لاتخاذها نواة للبحر الداخلي الصحراوي، الذي يربط البحر المتوسط عن طريق **شط الجريد** إلى خليج قابس. وقاموا بدراسات واسعة من جميع النواحي، وتعددت رحلات الدارسين إليها[1].

-تسهيل عمليات تنقل الوحدات العسكرية:

إن من الأهداف المعلنة من طرف إدارة الاحتلال، إنشاء قواعد عسكرية بالوحدات الصحراوية والمناطق الاستراتيجية بعد الاحتلال، وتسيير ظروف استقرارها وتسهيل السير[2].

لأن فضاءات الصحراء تتوفر فيها كل شروط الحرب الحديثة. فهي تستطيع إيواء الطيران الاستراتيجي، ومراكز القيادة، ومخازن الذخائر والعتاد[3]، وزرع القواعد العسكرية كقواعد الحرب والطوارئ، وإنجاز التدريبات والمناورات[4]. كما أنها تمكن بما لديها من ثروات معدنية وبترولية من إقامة الصناعات الثقيلة[5].

-نشر الديانة المسيحية:

كان لبعض البعثات الاستكشافية في الصحراء الجزائرية هدف تنصير جاء بعد الغزو الفرنسي. حيث أن الصحراء الجزائرية كانت تمثل الخط الخلفي للدفاع عن الإسلام والقيم الأدبية الإفريقية ضد الاستعمار، وذلك عن طريق التوغل الفرنسي للصحراء الجزائرية،

---

[1] – يحيى بوعزيز ،**ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين**، مرجع سابق ، ص 319.

[2] – نفسه، **تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية** ،مرجع سابق ص 110-111.

[3] – خفايا عسكرية لتثبيت الفرنسيين في الصحراء. جريدة المجاهد،ج4، 14 أوت 1961،ص 131.

[4] – عبد المجيد بوجلة، " **التفتيت السياسي للجزائر في الاستراتيجية الفرنسية ودور الثورة في الحفاظ على الوحدة الكاملة**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات مج 7، ع2، جامعة تلمسان، 2014، ص 40.

[5] – خفايا عسكرية لتثبيت الفرنسيين في الصحراء، مرجع سابق، 72.

والتركيز على المناطق تعتبر بوابة الصحراء. أو كما ذكره المستكشف تروملي على أنها عتبة الصحراء[1]. وكانت فرنسا تهدف من خلال ذلك إلى القضاء على الدين الإسلامي، وتحطيم أهم معالمه. ومنذ الأيام الأولى من مجيء لافيجري[2] إلى الجزائر، أعلن عنها حينما خاطب رجال الدين قائلا: "يجب أن نجعل من الأرض الجزائرية، مهد الأمة الفرنسية المسيحية، وينبغي أن ننشر حولنا الأضواء الحقيقية للحضارة المستوحاة من الإنجيل، وأن نحملها إلى الصحراء وإلى العالم الإفريقي الذي يعيش حياة بربرية"[3].

دوافع البعثات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء:

لقد اختلفت دوافع الرحلات الاستكشافية باختلاف أصحابها. فمن بين الرحالة من كانت تدفعه المغامرة نحو ارتياد المجهول واكتشاف الغريب، ومنه من يدفعه البحث عن مصادر الثروة والمال، ويدفعه إلى تحصيل المكاسب المادية. ومن بين المستكشفين والرحالة من تدفعه دوافع دينية، واضعا على عاتقه مهمة التبشير بعقيدته[4]. وسنحاول تلخيص الدوافع البعثات الاستكشافية الفرنسية في النقاط التالية:

- القضاء على الثوار المعتصمين بالصحراء:

حيث اتخذ العديد من رجال المقاومة الشعبية وزعمائها من الصحراء ملاذا ومعقلا وجبهة خلفية للاعتصام بها، بعدما اضطرتهم لذلك أسباب عدم تكافؤ موازين القوة بينهم وبين العدو الفرنسي وقلة الموارد والمعدات العسكرية، فأصبحت بذلك العديد من المناطق ميدانا لتنظيم خطوط الدفاع وإعداد خطط للهجوم ضد القوات الفرنسية بالتعاون مع سكان

---

[1] – زينب بوبي، مرجع سابق، ص 75.

[2] – لافيجري: هو شارل مارسال لافيجري. ولد في 31 أكتوبر 1825 بمدينة وير Huire، قرب بايون Bayoune بفرنسا. وأظهر منذ صغره توجها دينيا خالصا، وحضوره الدائم كاتدرائية المدينة. وهيأ نفسه في خدمة المسيحية، وتميز بنشاطه الكبير في الجزائر الذي وصل إلى الصحراء. انظر، زينب بوبي، نفسه، 62.

[3] – نفسه ، ص 78.

[4] – محمدو بن محمذن ، الرحلات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء الكبرى (دوافع وعراقيل) ،مجلة العلوم الإنسانية،ع20 ،ديسمبر، قسنطينة ،2003، ص 3.

الصحراء[1]. وكذلك ملاحقة أمير عبد القادر حيث يقول كفيناك "استمرار الحروب في ممتلكاتنا الجزائر وهى الحروب يغذيها عبد قادر الذي يهرب منا دائما ويتحول من منطقة إلى أخرى عبر الصحراء " [2]فقد كانت حملات أمير عبد قادر في الصحراء وفي منطقة عين ماضي سنة 1838 بدايات مقلقة لفرنسا [3].

وقد زار الرحالة الألماني جيرهارد روهلفس[4] إقليم توات[5] سنة 1864، وشاهد مدى فعالية مشاركة أهل الجنوب للشمال على الخصوص، حيث يقول في ذلك: " قبل كل شيء على الفرنسيين أن ينقلوا حدودهم إلى نهاية وادي الساورة، فمن هناك بالضبط تبدأ كل المصاعب ما دام الفرنسيون لم يستولوا على هذه الحدود الطبيعية، ولن يكون هناك أي هدوء دائم في جنوب مقاطعة وهران"[6].

كما أدركت فرنسا أن احتلالها للجنوب يضمن لها احتلال كامل البلاد، وذلك لأن الثورات الشعبية التي تندلع في الجزائر من فترة لأخرى، أصبحت تجد في الجنوب وواحاته معقلا يفر إليه المجاهدون ليحتموا فيه، ويستعيدوا الكرة للهجوم على قوات الاحتلال مرة

---

[1] – محمد هقاري،**دور سكان منطقة أزجر والهقار في مقاومة الاستعمار الفرنسي أثناء الحرب العالمية الأولى** ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ع 24، جوان 2016،جامعة الجزائر، ص 25.

[2]- فايكس جاكو ،**حملة الجنرال كافينياك في الصحراء أفريل –ماى 1847**،تر :حليمة بابوش، دار الرائد للكتاب ،الجزائر 2013 ص 16.

[3]- Mangin (E) ,Op.,Cit. ,p80 .

[4] – جيرهارد روهلفس: ولد روهلفس في ضواحي مدينة بريم سنة 1832. وهو الابن الرابع لأسرة أنجبت سبعة أطفال. وفي سن السادسة عشرة، انخرط في الجيش، ونال رتبة ملازم أول. وفي سنة 1862، بدأ رحلته الصحراوية، وقد قصد تافيلالت. وفي 1864 دخل عين صالح. انظر: إسماعيل العربي، **تاريخ الرحلة والاستكشاف في البر والبحر**، مرجع سابق، ص 314-315.

[5] – توات: يقع إقليم توات في الجنوب الغربي للجزائر. يحده من الشمال العرق الغربي الكبير، ويحده من الجنوب صحراء تنزروفت وواد قالريت وجبال معريدار. كما يحده من الغرب واد الساورة. ويقع بين خطي طول 1 درجة شرقا و3 درجات غربا، ودائرتي عرض 20 إلى 30 شمالا. انظر إلى: الصديق الحاج أحمد، **التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11 إلى القرن 14هـ ومن 17 إلى 20م**، ط1، مدرية الثقافة لولاية أدرار، الجزائر، 2003 ص 35.

[6] – إبراهيم مياسي، **التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي**، مرجع سابق ،ص 77.

أخرى، بعد أن يرتاحوا ويتزودوا بالمؤونة والسلاح، ويتلقوا المساعدات من البلدان المجاورة خاصة من المغرب ومن تونس وليبيا[1].

- معاهدة غدامس 1862/12/26.

إن سيطرة فرنسا على الجزائر، سيمكنها من فتح المجالات واسعة، وإيجاد طرق جديدة للتجارة الفرنسية وخاصة في الجنوب. حيث أبرمت معاهدة غدامس بين الفرنسيين وزعيم التوارق الشيخ إخنوخن[2]، فسارعت فرنسا إلى ترويض زعماء هذه المناطق باستدعائهم إلى الجزائر العاصمة وإلى باريس، وربط صداقة معهم. لذلك قبل التوارق إبرام معاهدة في 26 نوفمبر 1862 بغدامس مع البعثة التي توجهت إلى هناك، المتكونة من: ميرشي (MIRCHER)، قائد سرية الأركان، و بولينياك، POLIGNAC نقيب الأركان، ومنتدب بالمكتب السياسي للشؤون الضريبية دي فاتون DEVATONNE، مهندس، و هوفمان طبيب، وإسماعيل بضربة[3] مترجم[4]. حررت الاتفاقية القصيرة باللغتين الفرنسية والعربية في ست صفحات رسمية وأربع للمواد الإضافية ومن أهم بنودها:

1- إقرار الصداقة والتبادل بين السلطات الفرنسية ورؤساء مختلف قبائل التوارق.

2- يمكن للتوارق أن يمارسوا العمل التجاري في كل أسواق الجزائر دون تقيد أو شرط ما عدا أداة المكوس العادية.

---

[1] – صفاء عريق، مرجع سابق، ص 29-30.

[2] – إخنوخن: هو سلطان آجر في القرن التاسع عشر. وصل الإنجليز والفرنسيون إلى السلطة عن طريقه. وقد ذكر ذلك بعض الرحالة الذين وصلوا إلى غات تحت حمايته. انظر: محمد القشاط، **توارق عرب الصحراء الكبرى**، ط2، سرديني أذيتار، 1989 ص 39.

[3] – إسماعيل بوضربة: هو ابن أحد أكابر تجار المسلمين، وهو أحمد بوضربة. دبلوماسي شارك في مفاوضات استسلام الجزائر في 5 جويلية 1830م، ويعتبر ضابطا فرنسيا مسلما من أصل جزائري. ساعد في نجاح المهمة الاستكشافية. انظر: مرموري حسن، **التوارق بين سلطة تقليدية وإدارة فرنسا في بداية القرن العشرين**. رسالة لنيل شهادة الماجستير، إشراف عبد غني المغربي ، جامعة الجزائر، 2001م- 2002م، ص 38.

[4] – إبراهيم مياسي، **التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي**، مرجع سابق ،ص 83.

3- يلتزم التوارق بتسهيل وحماية عبور المفاوضين الفرنسيين لبلادهم ذهابا وإيابا إلى بلاد السودان، وحماية بضائعهم التجارية، على أن يدفعوا المكوس العادية[1]. أما البنود الإضافية المحضة فتحتوي على:

1- بموجب التقاليد القديمة المنظمة للعلاقات التجارية بين إخنوخن مكلفة بضمان المرور لقوافل الفرنسيين التجارية عبر بلاد أنجر، وتستمر العلاقات القائمة اليوم كما هي بين عائلات أزجر والشعانبة[2]، والسوافة.

2- من أجل الضمانات الأمنية: تدفع القوافل التجارية الذاهبة إلى السودان ضريبة إلى إخنوخن أو وكلائه، أو ورثته، على أن تحدد قيمتها فيما بعد[3].

3- تسوية الخلافات التي قد تنشب بين الطرفين بالود والإنصاف من طرف الشيخ أو ممثله بمقتضى العادات المعروفة في البلد.

4- يلتزم الشيخ إخنوخن والزعماء السياسيون الآخرون لتوارق قبيلة كيل، أو من أجل تهيئة الظروف الحسنة للمفاوضين الفرنسيين، لكي يمروا في سلام بقوافلهم عبر بلاد آجر[4].

بعد إبرام الاتفاق، غادرت المهمة الفرنسية غدامس متجهة إلى الوادي يوم 11 ديسمبر، لتصل إلى بسكرة في 18 من نفس الشهر، ثم إلى الجزائر. وطبعا استغل أعضاء المهمة الفرصة لتدوين وجمع المعلومات، وتدوين ملاحظاتهم. إذ نشرت التقارير الرسمية بباريس في نفس السنة ومنها "يوميات الرحلة" للمقدم Micher، والوضعية السياسية والاجتماعية لأوطان

---

[1] – حسن مرموري، مرجع سابق، ص110-111.

[2] – الشعانبة: وهم قبيلة يرجع أصلها إلى جماعة أتو من ورقلة ومتليلي. وكانوا في الأصل ضمن عرش المصاعبة، ثم انفصلوا عنهم، وأصبحوا قسما مستقلا بنفسه. ويرجع أصل تسميتهم إلى مكان استوطنوا فيه أول مرة، وهو شعنبارية بإفريقيا. انظر: إبراهيم بن الساسي العوامر، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**. تحقيق الجيلاني بن إبراهيم العوامر، منشورات التالة الأبيار، الجزائر، 2007م، ص 373.

[3] – حسن مرموري، مرجع سابق، ص 111.

[4] – إبراهيم مياسي، **التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي**، مرجع سابق ، ص 83.

الزنوج، ودراسات في ميدان المياه المجتازة Devakonne، بالإضافة إلى الملاحظات الطبية التي جمعها هوفمان[1].

-الجمعيات الجغرافية وصدور المجلات:

أسس بعض العلماء والباحثين جمعيات كانت تهتم في المقام الأول بالدراسات والكشوف الجغرافية عبر مختلف بقاع المعمورة، وذلك حسبما يقال، لملء الفراغ الموجود حتى ذلك الحين، خاصة في العديد من المناطق الإفريقية الداخلية. وعلى الخصوص بعد هزيمة فرنسا عام 1871 في حربها مع ألمانيا. ويبدو أن استيقاظ الشعور القومي قد ولد موجة جديدة من الجمعيات الجغرافية في مختلف المدن الفرنسية.

وكان لظهور الجمعيات الجغرافية دور كبير في دعم واحتضان المستكشفين والرحالة. وقد تمثل ذلك الدعم والاحتضان في تقديم التمويلات اللازمة لبعض المستكشفين والرحالة، وفي تخصيص الجوائز المالية لمن يسبق إلى اكتشاف منطقة ما، فضلا عن تزويد الرحالة والمستكشفين بالتوجيهات والإرشادات اللازمة، والأدوات العلمية والضرورية. وقد أسهمت هذه الجمعيات إسهاما فعالا طوال القرن التاسع في تغطية أنباء الكشوف الجغرافية. وبدأت تقارير ورحلات وأنباء المستكشفين تصل إلى القراء في فرنسا فور انتهاء الرحلة. وهكذا كانت هذه الجمعيات تتلقف تقارير ورحلات المستكشفين، وتسارع إلى نشرها في المجلات المتخصصة[2] التي كانت تصدر في ذلك الوقت.

ولعل من أهم المجلات التي ظهرت خلال القرن التاسع عشر: المجلة الجغرافية الباريسية، التي بدأت في الظهور سنة 1821. وفي بداية العقد السادس من القرن 19م، برزت إلى الوجود مجلتان هما: مجلة "حول العالم" بدأت في الظهور منذ سنة 1843، وأخذت تسميات متعددة على مدار القرن، فأصبحت تدعى" المجلة الاستعمارية" بين سنتي

[1] – حسن مرموري، مرجع سابق، ص 111.

[2] – محمدو بن محمدن مرجع سابق، ص 161.

1859 و1860؛ والمجلة البحرية " التي ظهرت سنة 1896. وقد أصدرت غالبية الجمعيات الجغرافية مجلات خاصة بها على غرار مجلة الجمعية الجغرافية[1].

[1] – محمدو بن محمدن، مرجع سابق ، ص 161–162.

الفصل الثاني

البعثات الاستكشافية الفرنسية

للصحراء الجزائرية بعد الاحتلال

أولا: البعثات الاستكشافية للأدباء والفنانين الفرنسيين

فرومنتان Eugène Fromentin

فيكتور لاجو Victor Lageu

بول بورد Paul borde

إيزابيل إبرهاردت Isabelle Eberhardt

ثانيا: البعثات الاستكشافية للمغامرين ورجال الدين

هنرى دي فايرييه Henri Duveyrier

الأب جون هاربيال Hurabielle Jean

شارل دو فوكو Charles de Foucauld

ثالثا: البعثات الاستكشافية للضباط الفرنسيين

جنرال دوماس Dumas

جنرال كافينياك Général Cavaignac

جنرال س ترومليي C.Trumelet

فلارتز Col-Flathers

أولاً: البعثات الاستكشافية الفرنسية للفنانين والأدباء

- فرومنتان Eugène Fromentin:

ولد فرومنتان بمدينة لاروشال La Rochelle بفرنسا في 24 أكتوبر 1820 م، من أب يمارس مهنة الطب. كان فرومنتان يهتم بالفن. تحصل سنة 1839 على شهادة الباكالوريا ليدخل الجامعة لدراسة الحقوق. ويتخرج منها بشهادة الليسانس سنة 1843[1]. وبعد تحصله عليها، أصر أبوه على أن يتفرغ لإعداد شهادة الدكتوراه، ولكن فرومنتان سلك اتجاها آخر، حيث تابع دروسا في الرسم مستجيبا لموهبته الفنية، وتخلى نهائيا عن دراسة الحقوق. وفي هذه الفترة، اختير ليتفرغ لإثراء وتنمية موهبته في فن الرسم رغم تفوقه في الدراسة. وبدأ يتابع بجد دروسا في الرسم، مما أدخله في خصام ونزاع مستمرين مع أبيه الذي لم يكن راضيا عن توجهه الجديد. وبقيت هذه الخصومة قائمة بينهما، ولم تنته إلا في سنة 1847 حينما قرر مصيره المهني وفق رغبته[2].

قام أوجين فرومنتان بثلاث رحلات إلى الجزائر[3]: الرحلة للأولى في ربيع 1846 وهو في الخامسة والعشرين، حيث انطلق من باريس في الثالث من شهر مارس برفقة صديقيه الرسامين أرنو دي ماسنيل Arnand du Mesnil، وشارل لابي charles labbé، حيث وصل الجزائر في 12 مارس وأقام بمدينة البليدة من الثالث عشر إلى غاية العاشر من أفريل[4]. وقام بجولاته السياحية إلى مضايق الشلف وملیانة والقليعة. ولم تدم هذه الرحلة أكثر من أسبوعين.

---

[1] – حسن دواس،صورة المجتمع الصحراوي خلال القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين مقاربة سوسيو ثقافية ،مذكرة ماجستير فى أدب مقارنه شعبة أدب الرحالة إشراف الأخظر عيكوس ،جامعة منتوري ،قسنطينة ،2007-2008، ص 201.

[2] – يحي برغيث، **صورة الجزائر عند الرحالة الفرنسيين "سنة في السهل لـ اوجين فرومنتان نموذجا**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص أدب مقارن إشراف حميدة نصر خوجة جامعة الدكتور يحي فارس المدية، 2011-2012، ص 33.

[3] – أنظر للملحق رقم 01، ص130.

[4] – حسن دواس، مرجع سابق، ص201.

وفي 30 أكتوبر 1847، زار الجزائر للمرة الثانية رفقة الرسامين شارل لآبي وسالزمان Salzemenn؛ وقادته رحلته هذه إلى كل من الجزائر والبليدة وتيبازة. ثم سافر إلي سكيكدة ومنها إلي قسنطينة وعين مليلة والقنطرة وبسكرة التي وصلها في 23 فيفري 1848، وأقام بها حتى 13 أفريل. زار خلال هذه الفترة بعض واحات الجنوب، مثل سيدي عقبة وطولقة. ثم صعد عائدا إلى قسنطينة، معرجا على بريكة و الوطاية. وقد أنهى رحلته هذه، التي استغرقت حوالي ثمانية أشهر، بالعودة إلى الجزائر في 19 ماي 1848.

وبعد أربع سنوات، عاد إلى الجزائر في رحلته الثالثة رفقة زوجته، فوصلا إليها في 27 نوفمبر 1852. وفي شهر ماي 1853 التحق بهما صديقه دي مسنيل ورافقهما إلى مدينة البليدة، حيث استقر مع زوجة فرومنتان هناك. وواصل فرومنتان وحده رحلته للأغواط التي وصلها في 03 جوان بعد أن شاهد في طريقه: المدية وقصر البخاري وعين وسارة وجلفة وسيدي مخلوف[1]. وفي هذه المدن اطلع فورمنتان على كل شيء، من حيوانات ونباتات. وعاش جميع فصول السنة، وخاصة فصل الصيف الذي كان صعبا بالنسبة له[2]. وانطلق من الأغواط، فزار قريتي تاجموت وعين ماضي. وكانت هذه أطول رحلة حيث دامت تسعة أشهر. وكان يتردد على الجزائر والمقاومة الشعبية التلقائية في كل مكان. وكان متيقنا أن رحلته مغامرة محفوفة بالمخاطر، وجلبت له الموهبة الفنية، وأكسبته شهرة كبيرة. وعلى أثر رحلته هذه، عرض ثلاث لواحات في الصالون عام 1847 أدخلته حقل الفانين[3].

وكانت هذه اللوحات عبارة عن مشاهد طبيعة، وتبرز العادات والتقاليد. وكانت مزيجا من الملاحظات السيكولوجية. فقد كان كاتبا هاويا، يرسم المشهد بدقة[4]. وكانت رحلته الثانية

---

[1] – يحي برغيث، مرجع سابق، ص، 34–35 .

[2] – Eugène Fromentin, **une année le sahel**, Michel Lévy Frère, Libraire-éditeur, Paris 1859, P 259.

[3] – يحي برغيث، مرجع سابق ص 35 .

[4] – بيير جردا، **الرحلة إلى الشرق. رحلة للأدباء الفرنسيين إلى البلاد الإسلامية**، تر:مي عبد كريم، أهالي للتوزيع، ط1، 2000م سوريا، ص 73 .

والثالثة قد تمتا برعاية مباشرة من السلطات الرسمية الفرنسية في الجزائر. ونشر فرومنتان بعد ذلك مقالته في مجلة Revue de deux mondes التي كانت بمثابة منبر مروج للسياسة الاستعمارية في الجزائر. وكانت تهدف للبحث عن التميز الفني والمادي. فقد أشار في إحدى مراسلاته، وهو شاب، أنه في إحدى الأمسيات الممتعة التي قضاها رفقة صديقه بيلتريمو على حافة منحدر قرب البحر، كانا يتحدثان عن الأحلام والمشاريع المخبأة. هو يتحدث عن الأسفار والرسم، وصديقه يتكلم عن طموحه الأدبي. في حين أنه كان ملازما لبيئته، مستأنسا بأحلامه في منزله الريفي. وقد وصف فرومنتان الأغواط وخصصها في كتابه (صيف في الصحراء) وحدد موقعها بأنها تقع في الجنوب من مدينة الجزائر. وتعتبر همزة وصل بين الشمال وجنوب الصحراء. وكانت ملتقى للعلماء ورجال الدين، ومركزا تجاريا هاما، ومقصد التجار. مما جعل الميزابين واليهود يحطون بها الرحال منذ القدم، ليحترفوا بها التجارة، ويشتغلوا في الصناعات المختلفة. وكانوا يعيشون جنبا إلى جنب مع الأغواطين، تجمعهم مدينة واحدة، وعلاقات مشتركة بينهم، تدل دلالة واضحة على حسن الجوار وتبادل المصالح والمنافع[1].

وكانت زيارة هذا الرحالة لهذه المدنية بعد تيقنه أن الأغواط أصبحت تحت سيطرة الاحتلال الفرنسي نهائيا سنة 1853م. وكم تحدث الكاتب عن سلوك ومظهر أهل الأغواط بمختلف فئاتهم من بدو وحضر؛ وحتى من جاورهم من سكان الصحراء. وبالإضافة إلى عاداتهم وتقاليدهم، وخاصة عند تحضير الطعام وتناوله، فيصف طريقة أكلهم، حيث يرمى الإنسان لقمة وراء لقمة في فمه المفتوح، وهو يأكل وكأنه يشرب. وأن الناس يميلون إلى الكسل بسبب مناخ البيئة.[2]

وقد قدم فرومنتان حسب رؤيته الاستعمارية الدليل بأن الأغواط ، التي أصبحت أراضيها ملكا للدولة الفرنسية، التي مقابل ذلك الكثير من جنودها وخسائر مادية معتبرة.

[1] – يحي برغيث، مرجع سابق، ص 67.

[2] _ مرجع نفسه ،ص 67.

حيث يقول في ذلك فرومنتان: " أعطيته ضمانا على أن الأغواط أصبحت في أيدينا. وهي مركز حدودي صلب، وقد تيقن أن البلد أصبح سالما صالحا للسكن بعد أن أخذ رغما عن العرب". ويقول أيضا "هذه الأرض ملك لنا. لقد دفعنا ثمنها غاليا"[1].

ومن المناطق الأخرى التي ذكرها هي منطقة السهل وما ضمنته من مناطق ريفية وأودية معروفة. وأخذ يصف جمالها وروعتها. وهذا ما يفسر لنا أن أول ما واجه التوسع الاستعماري بعد احتلال الجزائر مباشرة، هو سهل متيجة سعيا منه لتقدم نحو الجنوب قصد التصدي لحركات المقاومة وتضييق الخناق عليها بقطع الإمدادات عنها لإخماد نيرانها من جهة، وبلوغ المناطق تدريجيا من جهة أخرى[2].

ويصف فرومنتان الصحراء، بقوله: " الصحراء فراغ شاسع على امتداد البصر، ولا تطاق. وتبدو هيئة سكانها نتيجة آثار قسوتها. رأيت مظهرهم ولون بشرتهم الأكثر غموضا إلى أعينهم الأكثر شراسة إنهم الصحراويون"[3]. وبالإضافة إلى المشاهد الطبيعية التي صورها، والتي تتمثل في الصيد والرعي والمناخ وسكان البدو والحضر. فوصفها وصفا طبيعيا ذا نظرة تشاؤمية[4]. واستعان فرومنتان خلال رحلته إلى الصحراء بدليل. كلما انتقل إلى مكان من الصحراء الجزائرية، يطلب من هذا دليل أن يحسب له عدد الأيام التي تستغرق للوصول إلى المكان المطلوب[5]. وتوفي فورمنتان في السابع والعشرين من شهر أوت سنة 1876 عن عمر يناهز 59 سنة. ومن أهم مؤلفاته: كتابه صيف في الصحراء وعام في الساحل وكتاب الجزائر، ومقتطفات من دفتر الرحلة[6].

---

[1] – يحي برغيث، مرجع سابق، ص 42–43.

[2] – نفسه، ص66.

[3] – يحي برغيث، مرجع سابق، ص 70–71.

[4] – Eugène Froment, **été dan Sahara,** Présentation et Notez par Anne Marie Christine .Editions le Sycomore .Pris, 1981, p70-71.

[5] – Eugène Fromen,**Un année dan le Sahel**, Op.Cit, p233.

[6] – حسن دواس، مرجع سابق ص 203.

- فيكتور لاجو :Victor Lageu

هو رحالة فرنسي، ولد في 12 جوان 1842 بنيور الفرنسية. أسس علاقات ودية في جنيف من جهة، ومع الشركة الجغرافية وشركة التأمين من جهة أخرى[1]. وانخرط في العديد من الجمعيات الجغرافية، ومنها الجمعية الجغرافية بباريس[2]، وجمعية الإحصاء، وجمعية المرصد الجوي، وجمعية الطبوغرافيا في باريس. وبعد إتمام دراسته للطب في نفس السنة، كانت هناك دعوة ملحة من طرف المسؤولين لاكتشاف عالم لا زال مجهولا تقريبا، كالصحراء والجنوب الجزائري. وعليه، فقد خاض مغامرة الاستكشاف مثل العديد من الرحالة الفرنسيين، حيث يتم إرسالهم إلى تلك المناطق. وواجه فيكتور لاجو صعوبات سياسية كبيرة، خاصة عند الاختراق الفرنسي لأجزاء من الصحراء؛ ولكنه وجد النصح والدعم من المستكشف هنري دي فايريه. وحين حصل على مساعدة مالية من غرفة التجارية في الجزائر سنة 1874، نظم رحلة إلى غدامس[3] التي وصلها عام 1875، وقام بتوقيع بعض العقود مع الحكومة التركية. وفى نفس السنة عاد إلى غدامس مرة ثانية[4]، حيث لاحظ فيكتور أنها أقرب منطقة إلى طرابلس والوادي على الحدود التونسية. واعتبرها نقطة عبور القوافل الآتية من عين صالح إلى طرابلس. وقد أعد تقريرا حول هذه المنطقة، وأرسله في سنة 1875 إلى جنيف[5]. جنيف[5]. وكان فيكتور لارجو ملاحظا جيدا، ولديه خبرة علمية واسعة حول الصحراء، مما جعل السلطة الفرنسية تختاره لهذه البعثة[6].

---

[1] – هيبة كنيوة، مرجع سابق، ص 32.

[2] – رضوان شافو، **مقاومة منطقة تقرت وجوارها الاستعمار الفرنسي 1852-1875**، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، إشراف أبو القاسم سعد الله، جامعة الجزائر، 2006-2007 ص54.

[3] – هيبة كنيوة، مرجع سابق، ص32.

[4] – Voisin André-Roger ،**le Souf Monographie**, Edition El-walid, Algérie, 2004, P.82.

[5] – Emile Candaux "**Note de l'archivite : Il y a un siècle, de hardis Voyageurs exploration exploration le Sahara In "Le Globe .Revue genevoise de géographie** ،t 115,1975,P.78.

[6] - Ibid, p 80.

هذا عن ترجمة حياته، أما عن بداية الرحلة في الصحراء الجزائرية، فانطلق من صحراء[1] الجنوب الشرقي، واجتاز من خلالها سلسلة من الكثبان قدر ارتفاعها إلى 150م. وكان السير فيها بالنسبة له صعبا.[2] وكانت الصحراء في ذهن فيكتور لاجو أنها أرض جافة، لا يتوفر فيها نبات ولا مياه. ولكن بملاحظاته الدقيقة التي استنتجها بعد دراسته حول البنية التضاريسية للصحراء، اكتشف أن المياه الموجودة فيها، تخزن عبر سلسلة الأطلس الصحراوي، وفى الطبقة التحتية لطبقة الملح التي تظهر في الواحات والأودية التي تستغل نسبة كبيرة من المياه[3].

وقام لاجو بربط علاقات مع القبائل وتعايش معهم، مثل قبيلة الربايع[4]؛ ولاحظ أن لهذه لهذه القبيلة أعداء مع قبائل غدامس. وعقد اجتماع لوضع حد لهذه الحرب، حضره فيكتور لاجو، وقد دون كل صغيرة وكبيرة، حيث قال:" شيد الربايع في هذا المكان معالم صغيرة من حجر في شكل أهرامات، تمثل حسبهم الشخصيات التي حضرة اجتماع".بالإضافة إلى الخلافات الموجودة بين قبيلة الشعانبة وقبيلة سنوسين، وهي قبيلة تعيش بالقرب من غدامس منذ سنة 1870 ، حيث أن الشعانبة ذهبوا لغزو قطعان قبيلة السنوسين، فلاحقوا اللصوص، ووصل الخلاف إلي إطلاق الرصاص، فقتل ثلاثة أو أربعة منهم؛ لكن الشعانبة قتلوا منهم خمسة واستعادوا الجمال[5].

---

[1] – انظر: الملحق رقم 02، ص131.

[2] – عبد القادر ميهي، **الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم**، ط1، دار الثقافة، الوادي، 2015، ص 39.

[3] - Victor,Largua, **le Sahara Algérien…1874-1878**, dessins inédits, P.15:.Diponible sur htt;//gallica,bnf/Consuulé le 14/4/2017, à10:30.

[4] الربايع: هم قبيلة دخلوا إلى أفريقيا زمن دخول العرب إليها، ويرجع أصلهم إلى 14 فصيلة منهم: أولاد بلول و زيود وغيرهم. وانتشروا في الوادي، انظر: أحمد بن الطاهر منصوري، **الدر المرصوف في تاريخ سوف**، ج1، دار الهدى، الجزائر، ص70.

[5] – عبد القادر ميهي، مرجع سابق، ص 42–43.

كما تعرف على عادات وتقاليد سكان مدينة سوف في ذكر الأولياء الصالحين، وذلك باطلاعه على الطقوس الدينية التي يقيمها سكان سوف للولي الصالح حمد بوكوش. حيث أنه عندما تمر القوافل في هذه المنطقة، يضع أصحابها نذرهم، وهي عبارة عن جذوع يابسة وفروع خضراء يأخذونها من بعض الأشجار المجاورة. ويذهب فيكتور لاجو يبحث عن خلفيات هذه العادات، ويقوم بمساءلة السكان حول ذلك، وهو بذلك يظهر رغبته الشديدة لمعرفة عادات وتقاليد هذه المنطقة[1]. وقد أعجب فيكتور لارجو بصفات سكان مدينة سوف، حيث يصفهم بكونهم مرحين بطبعهم، مضيافين ومتسامحين مع الديانات الأخرى، حيث أن اليهود لا يشعرون باضطهاد عندهم .ويرجع أصلهم على أنهم ينحدرون من خليط من البربر والعرب. والعنصر البربري حسب رأيه يطغى على القبائل الرئيسية، وهي طرود و الربايع. وقام بإحصاء جميع مدن وقرى وادي سوف[2].

وقام أيضا بدراسة الرمال الموجودة في كثبان هذه المنطقة، حيث قال: "وحسب رأينا في وصف الرمال، أنها ذات طبيعة خصبة. وتتوفر هذه الرمال على كميات هائلة من الدبال، مصدره الطبقة النباتية التي كانت موجودة سابقا بجزء مهم من الصحراء في العاصمة الجنوبية الشرقية. ويمكن أن يلاحظ الصلصال وهو ينفصل بقشره بفعل الريح، ثم يلتصق في شكل لا محسوس بين الكثبان". وقام بتحديد موقع منطقة سوف ما بين 4 و5 درجات طولا شرقا، وما بين درجات 34 و35 عرضا وجنوبا. وعلى بعد110 كم من الشرق وادي ريغ، وعلى 185 كم إلى الجنوب الشرقي من بسكرة، و105 كم من الشرق الشمالي من تقرت[3].

وفي 4 أفريل، وصل إلى بسكرة التي وصفها بأنها واحة كبيرة على سفح سلسلة الأطلس الصحراوي[4]. وفي هذه المدينة يصف فيكتور لاجو إعجابه بمشروع جنرال غروزات،

[1] – عبد قادر ميهي ، مرجع سابق، ص 44 .

[2] – نفسه، ص 63–64.

[3] – نفسه، ص56–59 .

[4] – Emile Candaux, Op, Cit, P80.

Grouzet وهو رئيس المكتب العربي في بسكرة، ثم أصبح القائد الأول للمنطقة. كلفته السلطة الفرنسية أن يسيطر على هذه المنطقة. وفي هذا المشروع، قام بتحويل النهر الذي يقع في بسكرة والذي يميزها، ويعتبر موردها الرئيسي والهام. وحاول هذا القائد أن يرسخ هدفه المتشبث بيه، وهو أن يحول هذا النهر إلى مركز تجاري وصناعي، وأن يقيم فيه محطات صناعية حرارية. ووظف مشروعه بكل دقة وإتقان من غير تردد. وجعل هذا النهر الذي يصب مجراه من شمال أوراس إلى شط ملغيغ جنوب غرب بسكرة، بعدما كان هذا الماء يضيع في الرمال المكدسة، فيمر عبر قنوات لتصفيته من الطين ومختلف الأوساخ، فيصبح بذلك ماؤه عذبا. وبذلك نجح هذا المشروع الذي يحاول من خلاله غروزات استمالة وجذب السكان إليه؛ وأصبحت بسكرة تسمى بسكرة الجديدة ومدينة الحمامات. وقد تضاعف أيضا عدد السكان فيها، حيث قدره فيكتور لاجو بسبعة آلاف ساكن، ومن بينهم 600 أوربي ويهودي، وبعضهم الآخر من بني ميزاب[1].

ويعتبر حصن سان جرمان الموجود في بسكرة من أهم المنشآت التي لاحظها لاجو. ويحتوى على مساحات كبيرة محمية بهذا الحصن الكبير، الذي هيئ سنة 1849م، وسمي على اسم قائد منطقة بسكرة، الذي قتل في سنة 1849. ويبلغ ارتفاعه 15م. ويقول فيكتور لاجو وهو يفصح عن نوايا وأهداف التوسع الاستعماري الفرنسي: " وهنا يمكن للشعب الأوروبي اللجوء إلى فناء الحصن الذي يتربع على مساحة ثمانية هكتارات، ويغطى ثكنة كبيرة وجميلة، ويكون منزل القائد الأعلى للمنطقة، وجناحا للضباط، ومراكز خدمات ومحلات الطعام والبراميل الضخمة التي تسمح بتخزين المياه. ونضمن أن لا يكون أي نقص لاستمرار العيش هنا "[2].

[1] – Victor ،Largua، OP, Cit. P.4.

[2] – Ibid, P 5 .

وغادر بسكرة في 5 جانفي 1875، ليواصل بعثته ويتجه نحو تقرت، حيث كان الاستعمار الفرنسي متواجدا بقوة [1]. وسيجد النصح والتوجيه من القائد الفرنسي بهذه المنطقة، ويراقب كل شيء حتى الآثار الموجودة على الطريق، والتي يرجعها إلى العهد الروماني[2]. وبما أن الاستعمار الفرنسي كان متواجدا في المنطقة، سهل على فيكتور لاجو أن يتجول داخل القبائل، ويدون معلوماته وملاحظاته التي تهم السلطة الاستعمارية، وخاصة عن قادة القبائل وميولهم الديني وعلاقاتهم الخارجية، حيث يقوم بمساءلة السكان للحصول على هذه المعلومات حتى يقوم بتدوينها. وجمع كل ملاحظاته الجغرافية والتاريخية والتجارية، وتقديم كل نظرياته حول الكثبان، والآبار الصحراوية، ومعدلات درجة الحرارة التي أثارت العديد من العلماء، مما جعلهم يبحثون عن تفسيرات مختلف الظواهر الطبيعية.

- بول بورد : Paul borde

صحفي فرنسي، ولد يوم 22 ماي 1851م. وكان بول بورد[3] من عائلة فقيرة، حيث كان أبوه يشتغل مهنة الخياطة، إلى أن تولى منصبا بسيطا في إدارة الجمارك[4]، نشأ بول بورد نشأة دينية، ودرس في مدرسة دينية تحت رعاية الكاهن ديسكلاي، والقديس لافال. وتركت هذه النشأة أثرا عميقا في حياته، حيث كان دائم التعلق بالكنيسة. اضطر لمغادرة المدرسة عند تقاعد والده سنة 1867م، من أجل العمل الديني، فمنحه القديس حقلا صغيرا ليعمل بالزراعة. إلا أنه غادر القرية سنة 1868م للعمل في مدينة ليون كأمين مكتب بلدية. ولوحظ عليه الاهتمام والنشاط والمواظبة. ولما نشبت حرب 1870م، جاء إلى باريس. ومنذ ذلك الوقت، التفت إلى العمل الصحفي. ورغم الخيبة والحرمان إلا أن إصراره الكبير جعله

---

[1] – Emile Candaux, Op. Cit. p80.

[2] – Victor, Largua .Op. Cit. p17.

[3] – انظر الملحق رقم 10، ص138.

[4] - Chevalier Auguste ،"**Paul Bourde et l'Agriculture coloniale**", Revue de botanique appliquée et d 'agriculture coloniale ،6année, bulletin n°61, Septembre 1926,p 530.

يأخذ مكانة متميزة في الصحافة[1]. فكان مراسلا لجريدة المرشد بفرنسا، وعمل لسنوات عديدة في إعداد تقارير على المستعمرات الفرنسية، من بينها: تقارير على الجزائر سنة 1879 بعنوان "عبر الجزائر". وخلال رحلة بول بورد إلى الجزائر، شارك في الجولة النيابية المكونة من ثلاثة أعضاء من مجلس الشيوخ، و 31 نائبا، وثمانية صحفيين، وخمسة كتاب. ولم تأخذ القافلة صفة رسمية، ولذلك استقبلها الشعب الجزائري بحفاوة[2].

وكان الهدف المعلن عنه في بداية الرحلة متمثلا في حصر مشاكل السكان، ومحاولة الوصول إلى حلول ناجحة لتحقيق التنمية في الجزائر. لكن الهدف الحقيقي، كان البحث في هوية السكان، واختيار مدى طواعيتهم للحكومة المحتلة، وكذلك تحطم المجتمع العربي، وإحلال محله مجتمعا آخر منصهرا في الفكر الأوروبي. وقد بدأ الغرض في ثنايا الرحلة عندما علم بالحقيقة الواقعة، وهي وجود فرق كبير بين الفرنسيين والجزائريين. هكذا كان مسار الرحلة واضحا، انطلاق من مرسيليا نحو الجزائر العاصمة، ومنها توجه إلى عنابة، وقسنطينة، وباتنة، ثم بسكرة فبجاية ثم الجزائر. وفي هذه المرحلة ليخوض مسائل سياسية تتعلق بالحكم والتنمية، ومسألة جعل الجزائر فرنسية. وقد قام بول بورد بزيارة للصحراء الجزائرية، وخاصة مدينة بسكرة التي أعجب بها وبكل ما فيها من طبيعة. واصفا كل ما لاحظه، وخاصة عندما زار حمام الصالحين الذي يعالج فيه المرضى المصابين بداء المفاصل[3]. ويؤكد بول بورد أن هذه المدينة ستكون مركزا لاستقطاب السياح. وأخذ بول يتجول في هذه المدينة، ويخالط السكان ليستنتج ويجمع المعلومات التي يبحث عنها، ويوضح من خلال تقاريره التي يسجلها أهدافه الاستعمارية الواضحة والمعلنة. وقد التقى خلال هذه الزيارة بعدة شخصيات مرتبطة بالمشروع الاستعماري كإيميل ماسكراي وغيره من

[1] – هيبة كنيوة، مرجع سابق ص 30–31.

[2] – سميرة انساعد وزيوش محمد، **صورة مدينة شلف وضواحيها في الكتابات الفرنسية خلال القرن التاسع عشر**. الملتقى الوطني الثاني حول أعلام حوض شلف يومي 3–4 فيفري 2009،جامعة شلف ، ص3.

[3] - Paul Bourde, **A travers L'Algérie souvenir de l'excursion parlementaire (septembre-octobre 1879)** ،2EDG,Charpentier Editeur ،paris,P.135.

الشخصيات. وفي سنة 1880، كان يحضر لاحتلال تونس. وقد عين بين سنتي 1890-1895 مديرا للزراعة في تونس من طرف وزير الخارجية. وبعدها في سنة 1896 عين أمينا عاما في مدغشقر لعدة شهور. وبعدها رجع إلى باريس ليقضى معظم وقته في الصحافة والأدب. عرف بول بورد بمواقفه المساندة للأهداف الاستعمارية، حتى قيل أنه كان وراء فكرة منح المغرب لفرنسا[1].

- إيزابيل إبرهاردت Isabelle Eberhardt:

ولدت إيزابيل إبرهاردت في جنيف بسويسرا في 17 فيفري 1877م. والدها ألكسندر وهو كاهن الكنيسة اليونانية[2]، وأمها من طبقة الأرستقراطية الروسية، قدمت إلى سويسرا بعدما هجرت زوجها الذي كان أحد مساعدي إمبراطور روسيا، وفرت مع ترومفكسي لتعيش معه رفقة أبنائها بالقرب من جنيف. حيث ولدت إيزابيل هناك بعد استقرار العائلة بأربع سنوات، وكان ذلك سنة 1877. تربت إيزابيل بين أحضان أمها، تحت رعاية ترومفسكي الذي كان يتمتع بمعارف موسوعية ويتقن عدة للغات. كما أنه كان يمتلك مكتبة كبيرة، حيث نشأت إيزابيل بين الكتب يعلمها ويوجهها تروومفسكي الذي كان يعتبرها ابنته[3].

وتجسدت أحلامها في المغامرة والسفر، وعن طريق الكتابة بمساعدة أخيها الذي كانت تتبادل معه الرسائل، ويصف لها يومياته بالجزائر. وكان أول ظهور لها على الساحة الإعلامية سنة 1895، حيث نشرت أول قصصها في المجلة الباريسية، وكذلك رؤية المغرب التي تصف فيها الجزائر قبل رؤيتها. وفي شهر ماي سنة 1897م، غادرت إيزابيل برفقة والدتها جنيف باتجاه الجزائر وعمرها عشرون سنة، واستقرا بمدينة عنابة بالحي العربي، حيث اعتنقا الإسلام هناك. لكن الأم أصيبت بمرض اضطر الزوج ترومفكسي إلى اللحاق

---

[1] – سميرة انساعد وزيوش محمد، مرجع سابق، ص3.

[2] - Brigitte Rièra. **Journaliers.d'Isabelle Eberhardt**. l'Harmattan. 2008. paris. P.13.

[3] – عبد القادر ميهي،"**سوف في كتابات إيزابيل إبرهادرت، وادي سوف دراسات واقتصادية وثقافية متنوعة**، الجمعية الثقافية للمركز الثقافي محمد ياجور، ط1،مطبعة مزوار، الوادي، 2008، ص149.

بهما، فوجد إيزابيل في وضعية متدهورة جدا، وقد أصيبت بحالة من الجنون والصرع نتيجة عدم قدرتها على الوقوف بجوار أمها في محنتها الصحية. وفي 28 نوفمبر من نفس السنة، توفيت ناتليا دي مورد عن عمر يناهز 59 عاما، وقد أثر رحيل أمها على معنويات إيزابيل كثيرا، فسافرت إلى تونس لقضاء فترة نقاهة على حساب السلطات الفرنسية[1].

وتنكرت إيزابيل في هيئة شاب تونسي، وأطلقت على اسمها محمود السعدي. وكانت ترتدي لباس بحار، وتدعي أنها من أصل روسي[2]. ولم تغير إيزابيل هناك من طبعها ونمط حياتها، مرتدية لباس رجل. كانت تنام في المقاهي وتخالط بسطاء الناس، مستكشفة طريقة عيشهم وتفكيرهم. وفي 14 مارس 1899، اضطرت إيزابيل للعودة إلى جنيف بعد مشاركتها في تمرد الجزائريين ضد المستعمر الفرنسي؛ والتي وصلتها منذ مدة قصيرة من انتحار شقيقها ، ومكثت هناك بجانب أبيها فافا vava إلى غاية وفاته بمرض السرطان. وكان لوفاتهما أثر كبير على حالتها النفسية والمادية، مما اضطرها لتعتمد على نفسها، باحثة عن مصدر رزق. وفى العاصمة الفرنسية حاولت أن تجد عملا كصحفية ولكن دون جدوى، لولا تعرفها على أرملة المركيز دي موريس[3] الذي قتل في الجنوب الجزائري[4].

كانت السلطات الفرنسية منقسمة إزاء هذا الحادث، فالبعض يريدون إخفاء الضجة وعدم تتبع القتلى، والآخرون يريدون العكس. وقد انضمت إيزابيل إلى هؤلاء، وتحمست للكشف عن قتلة دي موريس[5]. فانطلقت من الوادي في سنة 1900م، وخلال تواجدها في هذا البلد، أخذت إيزابيل تصف كل شيء من حولها وتدونه. ولم يقتصر وصفها على

---

[1] – حسن دواس، مرجع سابق ، ص207.

[2] – Brigitte Rièra, Op, Cit, p8.

[3] – دي موريس Le Marquis Mores: مغامر فرنسي في سنة 1895م انتقل إلى تونس ليتوجه نحو السودان عبر زاندر وآقاديس ليتعرف عن نشاط التجاري هناك ويحقق طموحاته في ربط صلات ودية وعلاقات تجارية بين إفريقيا وفرنسا انظر: إبراهيم مياسي ،،**قبسات من تاريخ الجزائر**، مرجع سابق، ص87.

[4] – حسن دواس، مرجع سابق، ص207– 208.

[5] – أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج5، ط1، دار الغرب لإسلامي، بيروت، 2005، ص124.

المنطقة فحسب، بل وصفت حتى الأهالي الذين يذهبون نحو المساجد والزوايا، وكيف أن النساء يغتنمن الفرصة لاغتراف الماء من الينابيع ويرجعن نحو المنازل[1].

ولقد عشقت إيزابيل الوادي ونخيلها وكثبانها وآبارها. وكانت تصف كل ما تلاحظه في مدوناتها، وأصبحت تنافس في معرفتها للوادي الذين عاشوا حياتهم كلها في هذه المدينة. وركزت إيزابيل على كل الدقائق في الحياة الاجتماعية والسياسية وعادات وتقاليد هذا البلد[2]. وطالما تمنت إيزابيل أن تقضي بقية عمرها بين أحضان الكثبان التائه في الصحراء الشاسعة، بعيدة عن كل مدينة مضجرة[3]. وفى هذا البلد، تعرفت إيزابيل على سليمان أهني، أحد الفرسان المسلمين المنخرطين في الجيش الفرنسي في سوف، التحقت كمريدة في الطريقة القادرية. وبينما كانت تتابع أخبار قصة قتل دي موريس، وقع عليها اعتداء كاد أن يؤدي بحياتها من أحد أتباع الطريقة التجانية. وانعقدت المحكمة العسكرية في قسنطينة، وحضرتها إيزابيل والشيخ الهاشمي. وقد أثبت الحكم تواطؤ السلطات الفرنسية وطريقة التجانية في قضية دي موريس، غير أن إيزابيل وقفت بجانب من اعتدى عليها، وطالبت الصفح عنه، مما أثار سخط المحكمة الفرنسية ليحكم عليها بعدم دخولها للجزائر، وعلى الجاني بأعمال شاقة[4]. فتوجهت إلى مرسيليا باسم مستعار، متنكرة بلباس العمال الزرقاء. وفى مرسيليا فكرت إيزابيل بالعودة مرة ثانية للجزائر[5]، حيث عاشت حياة صعبة هناك. ووجدت إيزابيل أن الحل الوحيد الذي يمكنها من العودة إلى الجزائر، هو زواجها من سليمان

[1] – عبد القادر ميهي، مرجع سابق، ص149.

[2] – إيزابيل إبرهاردت، **عودة العاشق المنفى كتابات إيزابيل إبرهاردت عن سوف**، تر، ميهي عبد القادر، مطبعة الوليد، الوادي، 2006، ص5.

[3] – نفسه، ص8.

[4] – أبو القاسم سعد الله، **ابحاث واراء في تاريخ الجزائر ،ج5** ،مرجع سابق، ص 125.

[5] – حسن دواس، مرجع سابق، ص 209.

أهني الذي يكسب جنسية فرنسية. فتزوجت بتاريخ 17 أكتوبر 1901م الذي ستقاسم معه صعوبات رحلاتها[1].

وبذلك استطاعت العودة إلى الفردوس المفقود في الصحراء الجزائرية. وعادت إيزابيل رفقة زوجها سليمان إلى الجزائر فى14 جانفي 1902. وبعد عودتها إلى الجزائر، انطلقت تخترق الرمال في اهتمام خاص بالمياه من ينابيع ووديان وبالناس وعاداتهم ونمط حياتهم[2]. وأخذت تنتقل في كل مكان، وكانت تخالط سكان البسطاء، وتقيم جولاتها وهي متنكرة على ظهر الخيل، وتعتبر الزوايا أهم محطاتها. عرض عليها الناشر فيكتور باركون Victor Barrucand أن تعمل كمبعوثة خاصة لجريدة الأخبار. كما تعاونت أيضا في المجال الإعلامي مع لوس دنابين Lus Denaban ، مدير مدرسة أوفروار للفتيات المسلمات بالجزائر، وتقربت أيضا في تلك الفترة من جماعة الكتاب الذين أصدروا مجلة أدبية اسمها فرنسا الكبرى[3]. وخلال بعثتها كانت تدون كل الأحداث التي تراها، وتفاصيل رحلتها. ويقوم فيكتور بصياغة ملاحظاتها التي دونتها في رحلتها الاستكشافية. وتحتفظ هذه الصحيفة بالمعلومات التي تقدمها إيزابيل، ثم تنشر للقارئ الأوروبي ليأخذ صورة عن الجزائر[4].

وكانت إيزابيل تتوغل أكثر فأكثر في الصحراء الشاسعة، وقد لفت انتباهها في الصحراء الجزائرية قباب لأضرحة الأولياء، وتصفها بالقبة الفضية كأنها من الذهب الخالص. وتصف كثبان الصحراء حيث تقول: "كثبان بلا لون. متراكمة، متراصة، متموجة. تتغير مساحاتها كل ساعة. تكابد جميع تغيرات النور..." وتصف مدينة بوسعادة بقولها:" بوسعادة الملكة الشقراء التي تكسوها الحدائق الظليلة، وتحرسها هضابها البنفسجية.... أين يسمع خرير المياه وهو يجري على الأحجار البيضاء والوردية..."[5].

---

[1] – Briggitte Rièra. Op. Cit, p p 6-8.

[2] – حسن دواس، مرجع سابق، ص 210.

[3] – نفسه، ص 210.

[4]– Briggitte Rièra. Op. Cit, pp.9- 10.

[5] – إيزابيل ابرهاردت، **تاعليث**، تر: عبد القادر ميهي، ط 1، مطبعة مزوار، الوادي، 2009، ص ص 4–5.

وعادت إيزابيل مرة ثانية إلى الوادي، وكتبت عن أصل سكان هذا البلد، وعن القبائل التي تفد أسواقهم من أعماق الصحراء الجزائرية وإفريقيا. وجميع ما ألفته من مقالات عن الإسلام[1]، ومن خلال رحلتها في الصحراء، تقربت إيزابيل من الضباط الذين يتجولون في الصحراء، وكان أحدهم يسمى أوجان لوتورد الذي كان يرغب بتمديد فترة احتلال الجزائر، تقاسمت معه كل أفكاره وشكوكه وخيباته[2].

وقد كانت أخبار رحلاتها تنتشر بانتظام في صحيفة الأخبار. وكانت أول امرأة مراسلة حرب في نهاية القرن 19 من طرف جريدة الأخبار. لتغطية أحداث المواجهات بين المقاومة الجزائرية وجنود الاحتلال الفرنسي، وكذا الصراع الحدودي بين الجزائر والمغرب. وأقامت بعين الصفراء لتلتقي بالماريشال في ديسمبر 1903. ثم غادرتها وعادت إليها مرة أخرى لتكتب عدة مقالات عن منطقة عين الصفراء. وكما التقت هناك بمسؤول زاوية الشيخ بوعمامة الواقعة بالحمام الفوقاني. ووفى صيف 1904، سافرت إلى المغرب متجهة إلى مدينة فاس من أجل الالتقاء بالمتصوفين قاصدة زاوية سيدي إبراهيم ولد محمد. ومنها زارت العديد من الشخصيات الدينية، وقبض عليها من طرف رجال الزاوية، وزج بها في السجن لمدة أسبوع بتهمة التجسس لحساب الفرنسيين، ولكن أطلق سراحها فيما بعد. وفي 21 أكتوبر 1904 بعد تغير مفاجئ للأحوال الجوية ،غمر الماء الوادي الذي كان جافا كليا، ودمر جزءً من عين الصفراء ،واستطاع سليمان أن ينجو من هذه الكارثة الطبيعية، غير أن إيزابيل قد أضعفها المرض ولم تستطع الهروب، فوجدت ميتة تحت الأنقاض، مرتدية لباس الفرسان[3].

[1] – أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**،ج5، ص 390.

[2] – إيزابيل إبرهاردت، مصدر سابق، ص 81.

[3] – حسن دواس، مرجع سابق، ص 211.

ثانيا: البعثات الاستكشافية للمغامرين ورجال الدين

1- بعثة هنري دي فايرييه Henri Duveyrier :

هو رحالة جغرافي[1] ولد في 18 فيفري 1840م[2]. كان والده ينوي تحضيره لمهنة، فأرسله لمتابعة دراسته في سبتمبر 1854 حتى نهاية 1855، فكان تلميذا مجتهدا، له علامات جيدة. وكان منذ صغره يدون الملاحظات حول الطبيعة والنباتات. ودونها في العديد من المقالات[3] فقد كان هذا الشاب الصغير يتمتع بعقل مفكر، وكان يحلم أن يمشي على خطى أثار بارث[4]. فتعلم اللغة العربية ومختلف العلوم الطبيعية. وتعلم ممارسة أدوات المراقبة[5]. وقد كانت لنتائج رحلة بارث كنز له، فهو يعتبر تلميذا لبارت. وكان دي فايريه اكبر مستكشف بالنسبة لفرنسا. وقبل مباشرة دي فايريه لمسار رحلته في الصحراء الجزائرية، رسم أهدافا لهذه الرحلة، وهو أن يضع على عاتقه استكشاف الصحراء الجزائرية والمغربية بكل امتدادهما، وأن يتحصل على جميع المعطيات الجغرافية والعلمية التي تهم السلطات الفرنسية. وفتح علاقات مع الأهالي قبل ربط علاقات تجارية مع فرنسا والجزائر والسودان[6]. وأن يهيئ نفسه لاستكشاف نواحي السودان. وفي سنة 1857، كان دي فايريه يريد أن يحقق

[1] – انظر الملحق رقم 10، ص139.

[2] – Narcissie Faucon, **Livre D'or De L'Algérie éditeurs Librairie Algérienne et Coloniale**, paris ،1889 p222.

[3] - Henri Duveyrier, **Journal de Route** ،chalamel, paris; 1905, p IX,XII.

[4] – بارث: وهو هنري بارث مستكشف ورحالة قام برحلتين ،الأولى عام 1849 والثانية 1855م انطلاقا من طرابلس عبر غدامس وغات وفزان وصولا إلى تشاد عبر قورارة و تيكدلت وكان برفقة ريتشارد صون و افريج انظر إلى: محمد كاكي، مرجع سابق، ص13.

[5] – Ecat ،Op. cit.p24-25.

[6] – F-Demolin ،**l'exploration du Sahara** ،Revue Annales de géographie ،t40, n°266, 1931, pp 334-345.

بما أنجزه بارث. وكان يهدف إلى الوصول إلى توات من أجل أن يكون للمستعمر كل المعلومات التي تخص المناطق الصحراوية، وتصبح فيما بعد تحت التأثير الفرنسي[1].

فقام برحلة تمهيدية إلى الجزائر، وزار خلالها الهضاب العليا والأغواط والجانب الصحراوي من الأوراس وسحر الصحراء الجميلة الرهيبة التي ينجذب نحوها دي فايرييه، حيث أنه استقر به المقام في الصحراء، ولا سيما في الأغواط التي قال عنها" أن لها طابعا من جمال خلاب. ومن العبث أن تبحث عن صورة مماثلة لها ". ولما عاد دي فايريه إلى بلده، وبعد هذه الرحلة الاستطلاعية، نشر دراسته في الجمعية الشرقية في برلين عن القبائل البربرية. وقام أيضا برحلته الاستكشافية التي أراد أن تكتسي طابعا علميا بكثير من العناية والتدقيق، فاطلع على كثير من الكتب، واتصل بكثير من المتخصصين الأوربيين في شؤون الصحراء.

وكذلك زار عددا من المتاحف، وتمكن خلال هذه الزيارات من إتمام معلوماته في الجيولوجيا وفي علم الطبيعة. وكما طلب من احد المستشرقين مده بمعلومات في السلالات الصحراوية. وبعد سنة من التحضير والاستعداد، قام بوضع قواعد ستمكنه من نجاح رحلته. وحيث يقول "كنت اعرف جيدا الرحلة التي أقوم بها ليست خالية من الأخطار، ولكنني كنت اشعر بثقة كبيرة في قوتي وأنا أتجنبها بالصبر والحذر والنشاط، وان تنتهي هذه الرحلة على خير وجه وأكمله"[2].

وفي بداية انطلاقته في الصحراء الجزائرية، طمأن الفرنسيين وأعلن هدفه الصريح بقوله للقائد الأعلى لبسكرة "تحتاجون لشيء جميل لفعله هو أنني سأذهب لتوات"[3] وفي يوم 8 ماي 1859 اتجه مباشرة إلى بسكرة عبر قسنطينة وباتنة، ثم حيث بقي فيها مدة 5 أيام حتى

---

[1] - Paul Vuillot, **l'Exploration du Sahara**, Etude Historique et Géographique, librairie coloniale,paris, p 27.

[2] – اسماعيل العربي، **تاريخ الرحلة والاستكشاف...**، مرجع سابق ص 308.

[3] – Paul Vuillot, Op, Cit, p60.

جمع المعلومات الكافية حولها وأيضا حول منطقة قورارة[1] التي سيتجه إليها فيعبر من خلالها سهولا طويلة إلى أن أصبح تحت أسوار قورارة وجدرانها[2].

ومنها اتجه إلى غرداية ومتليلي، ولم يجد أدلاء للذهاب إلى توات. ثم غادر متليلي ومضى إلى القليعة[3] أين طرد. ثم انطلق إلى الأغواط وسوف وبسكرة و ورقلة.[4] وكان دي فايرييه يرتدي أثناء رحلته ثياب الأهالي ،ولكنه كان يسافر دون تستر، ولم يكن يكتم دينه المسيحي، وقد استعمل اسم سعد أثناء رحلته. وبعد هذه الرحلة في جنوب الجزائر، قام دي فايريه برحلة أخرى في جنوب قسنطينة وتونس[5] وكانت في بداية النصف الأول من سنة 1860 ، فذهب لاستكشاف الصحراء التونسية والجريد و نفزاوة. وإثر عودته إلى بسكرة في شهر جوان، استلم تعليمات من الحكومة الفرنسية للانطلاق في استكشاف منطقة الطوارق[6].

وخلال مكوثه في منطقة بسكرة، تعامل دي فايريه مع مستكشف دوكلومب De Colompe[7]، وحاول أن يضع معه خريطة لمدينة بسكرة. وخلال إقامته فيها قام بزيارة الأضرحة الموجودة هناك منها قبة سيدي زرزور التي قال عنها أنها بنيت على بناء حديث، وهي عبارة عن غطاء من الحجارة المستديرة وأحيان مائلة وقد ذهب لزيارة حمام الصالحين في بسكرة وصف هذا الحمام أنه محاط ببناء مع غرف وان هذا الماء الموجود فيه شديد الملوحة[8].

---

[1] – قورارة: وتقع شمال اقليم توات يحيط بها العرق الغربي من جهة الشمال وشمال الشرقي ومن الجنوب هضبة تادميت ومن شرق الحوض الشرقي لواد الساورة انظر: أسماء أبلالي: **إقليم توات (أي أدرار حاليا) في مشروع فصل الصحراء (1960-1962)**، مجلة روافد للبحوث ودراسات، ع 1، جامعة غرداية ،2016، ص 54.

[2] - Paul Vuillot, Op. Cit, p 60.

[3] – انظر ملحق رقم 03، ص132.

[4] - F-Demolin, Op. Cit, p 345.

[5] – إسماعيل العربي، **تاريخ الرحلة والاستكشاف....**، ص 310.

[6] – F-Demolin, Op. Cit. p345.

[7] – دوكلومب de colompe: هو رحالة ومستكشف فرنسي قام برحلة بين الأطلس الصحراوي والعرق الغربي سنة 1958 و وداي ريغ وميزاب انظر: F-Demolin, Op. Cit. .p345. 1958

[8] – Henri Duveyrier, Op. Cit. .pp4-5.

وبعد هذه الرحلة كلفه الوالي العام للجزائر بأن يقوم إلى التوارق[1] وقدم له الدعم الكافي من أجل ربط علاقات تجارية بين فرنسا و التوراق .وقدم له الدعم الكافي للقيام بهذه الرحلة. فغادر بسكرة خلال شهر جوان 1860[2] وفي بسكرة تعرف على دليل عثمان أق بكري سافر معه إلى غدامس يوم 11 أوت 1860 ومكث بها طويلة في انتظار وصول قنصل فرنسا بطرابلس ،ولذلك بقي يبحث عن البقايا الحضارية للمنطقة، على تراث فكري بها، فوجد عدة آثار رومانية. وفي 07 سبتمبر ذهب دي فايريه إلى تنبكتو وبعدها عاد أدراجه إلى غدامس، حيث وجد في انتظاره رسالة من بعض كبار المسؤولين الفرنسيين يخبره فيها أن الإمبراطور نابليون الثالث منهمك في إعداد كتاب عن الصحراء في عهد الرومان، ويحثه على أن يعمل لتوفير الوثائق الإمبراطورية عن الصحراء. وفي ذلك الوقت ،وعلى الرغم من الحالة الصحية السيئة التي كان يعاني منها ، والضائقة المالية التي يشكو منها[3]، وفي هذه الأثناء وصلته منحة حكومية لسنة 1861م مقدارها 2000 فرنك ، استعان بها في مختلف أغراض الرحلة، وخصوصا لتقديم بعض الهدايا. وبعد كثير من المشقة ، وصل إلى غات يوم 18 جويلية ، والتي اعتبرها مهمة من حيث تجارتها الخاصة وسوقها السنوي الكبير، بكونها منطقة عبور القوافل الآتية والذاهبة إلى أجر[4]. وسجل دي فايرييه إلى أن عدد سكان غات في ذلك الوقت الوقت 400 نسمة، وأنهم أخلاط من العرب والقبائل. كما تعلم لغة الطوارق أنفسهم. وكان يرافق القبيلة التي نزل عندها أشهرا طويلة في تنقلها وفي ترحالها، وهو في كل ذلك يتعلم ويسجل ملاحظاته. وبعد ما قام بينهم سنة كاملة،وغادر الطوارق الهقار، وفي مرزق أحسن الحاكم التركي استقباله وضيافته. وفي سنة 1863 تحصل دي فايرييه على الميدالية الذهبية من طرف الشركة الجغرافية، لأنه حقق لها استكشافات مجهولة عن القارة الإفريقية.

---

[1] – هنري دي فايرييه، **مذكرات طريق رحلة في الواحات الجزائرية والتونسية 1860-1861**، تر: مهي عبد قادر،ط.1، مطبعة مزوار، 2014.ص7.

[2] – إبراهيم مياسي، **قبسات من تاريخ الجزائر**، مرجع سابق ص 83.

[3] –إسماعيل العربي، **تاريخ الرحلة والاستكشاف....**، مرجع سابق ص 311.

[4] – نفسه، ص 311.

وكان كتاب الطوارق الشمال مرجعا أساسيا بالنسبة لفرنسا. فقد احتوى كل المعلومات والتساؤلات حول الهقار ، وقدم فيه كل التوضيحات الدقيقة والمفصلة[1]. وأكمل بذلك أعمال هنري بارث[2] . ومن أبرز مؤلفاته أيضا مذكرات رحلة إقليم الجزائر الصحراء الجزائرية والتونسية مذكرات طريق، وطريقة سيدي السنوسي المسلمة ومجالها الجغرافي سنة 1300[3].

- المستكشف الأب جون هربيال Hurabielle Jean :

لقد كانت البعثات التبشيرية هي حركة يقودها رجال الدين، حيث كانت لهذه البعثات المركز في كل المناطق الجزائرية، ومن بينها الصحراء التي كانت هدف المستكشفين المبشرين. حيث هؤلاء يظهرون الحماس الصليبي ويعتبرون رسالتهم حربا مقدسة يخوضونها في قلب افريقية وفي قلب الإسلام. وكان هؤلاء متشجعين بالرجال العسكريين خاصة في بداية الاحتلال الفرنسي. كما نجد أن هاتين الفئتين كانتا مكملتين لبعضهما البعض في عملية التوسع والاستكشاف في الجزائر[4].

كما أن العديد أكد أن عملية الغزو لن تتم إلا باصطحاب رجال الدين، وهذا ما أكده جان بوجولا، حيث قال: أن احتلال الجزائر كان استمرارا للحروب الصليبية "إن حربنا الإفريقية ما هي إلا استمرار للحروب الصليبية"[5]. إضافة إلى تصريح دي بورمون للقساوسة ورجال الكنيسة قائلا:" إنكم أعنتم معنا لفتح الباب للمسيحية في إفريقيا ولنأمل أن تتبع قريبا الحضارة التي انطفأت"[6].

---

[1] - Paul Vuillot ،Op. Cit. p27.

[2] - F-Demolin, Op. Cit. .p346.

[3] – أبو القاسم، سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج5 ، مرجع سابق، ص 68.

[4] – أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900**،ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992،ص233.

[5] –نفسه، ص 234.

[6] – زينب يوبي، مرجع سابق ص31.

وعلى ذلك تم تعيين الأسقف أنطوان دوبوش[1] في الجزائر سنة 1838، واستقر في أحد القصور التابعة لبايات قسنطينة. حيث انطلق هذا الأسقف في مشروعه، فأنجز في ظرف سبع سنوات 47 كنيسة ومعبدا، و40 ملجأ، ووظف 39 راهبا، وصرف الكثير من الأموال على مشاريعه، لكن كل ذلك باء بالفشل. وتحملت الحكومة الفرنسية كل ديونه [2].

أما الأسقف الثاني ،هو بافي[3] الذي اتجه إلى المناطق النائية ،مستغلا فقرها وجهلها، ووقع اختياره بقرية في قسنطينة بمساعدة اليسوعيين هناك بعد تلبية طلبهم المتمثل في التوسط لهم للعسكريين من أجل عدم عرقلة أعمالهم[4]. كما فتح هذا الأسقف مجموعة من المدارس والملاجئ في زواوة وغيرها باسم الأعمال الخيرية. وقد وقعت عدة محاولات تنصيرية في عهده في عدة أماكن ومن بينها الأغواط[5].

كما كان لفرقة الآباء البيض والأخوات البيض التي كان مؤسسها الكاردينال لافيجري سنة 1869، وأطلق عليها هذا الاسم نسبة لارتداء اللون الأبيض. وكانت لهذه الفرقة حماس في إدخال المسيحية في الصحراء الجزائرية، وإقامة عدة مراكز هناك. وكان من أهم المبشرين الذين جالوا في الصحراء تلبية لنداء الاستعمار وخدمته وذلك بتقديم عدة معلومات قيمة عنها ومن بينهم: جون هربيال[6].

هو كاتب الكردينال لافيجري. زار بسكرة ووادي سوف ووادي ريغ، في 1889-1890 وكان ذلك في فصل الشتاء، ثم قدم إليها للمرة الثانية 1896-1897م عبارة على سائح بسيط،

---

[1] أنطوان دبوش: من مدينة بوردو، ومن أبرز الذين كرسو جهودهم لكتابة تاريخ الكنيسة الإفريقية وذلك بكتابة الجزائر المسيحية الرومانية الفرنسية وحاول أحياء ماضي المسيحية في الجزائر، انظر احميدة عميراوي وآخرون، **السياسية الفرنسية في الصحراء الجزائرية**، مرجع سابق 107.

[2] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 6،عالم المعرفة، الجزائر، 2011ص 106.

[3] باقي هو الأسقف الثاني الذي قدم إلى الجزائر وقد تميز عهده باضطراب وثورة على الدين الإسلامي وبقي في الجزائر من 1846-1866.نفسه، ص115.

[4] – أبو القاسم سعد، **تاريخ الجزائر الثقافي**،ج6 ، مرجع سابق، ص 116.

[5] – خديجة بقطاش، **الحركة التبشرية في الجزائر 1830-1871**،دار هومة، الجزائر 2007ص61-62.

[6] – خديجة بقطاش، نفسه،، ص124.

وبقي لمدة ستة أشهر، حيث سجل عليها عدة معلومات جغرافية ومناخية للمنطقة وكذا الإنجازات الضخمة التي قامت بها فرنسا هناك[1].

لقد انطلق جون هربيال من مدينة قسنطينة في اتجاهه إلى منطقة بسكرة، وتحدث عن المتاعب التي يعانيها المسافر من أوروبا إلى بسكرة. ولكن عند وصوله، نسي كل المتاعب بسبب الجمال الذي تتمتع به هذه المنطقة[2]. واستغرقت هذه الرحلة في الطريق حوالي اثنتي عشرة ساعة. وكان هذا السفر حسب جون هربيال سفرا ممتعا تتخلله مناظر طبيعية خلابة. ومن أهمها منطقة القنطرة التي نالت إعجابه وهي المنطقة التي تشكل حدا فاصلا بين المنطقة التلية والصحراوية. ووصف هذه المنطقة بأنها تتشكل من اختلاط ثلاث واحات وهي: الخرطال على اليسار، ساحل الوادي، و الظهراوية على يسار قبور العباس في مجمع النهرين لوادي الأبيض ووادي القنطرة. تتوسط هذه القرى الثلاث في غابة من النخيل محاطة بجدار من قرميد قوي جدا ليتحمل هجوم اللصوص وتحصين من تجول الآخرين. وكان سكان هذه المداشر نحو 2000 ساكن، كانت أعمالهم تتمثل في زراعة النخيل بالنسبة للرجال ونسيج الصوف بالنسبة للنساء[3].

ومن هذه المنطقة سار هذا المستكشف نحو مدينة بسكرة وفي طريقه شد انتباهه تلك المناظر الجميلة من الوديان والجبال خاصة الوطاية، حيث قال: عندما تقترب من واحة بسكرة عبر السكة الحديدية ومن النظرة الأولى تبدو رائعة. فالشمس الغاربة ترسل أشعتها الأخيرة، وغابات النخيل الخضراء تتجلى في عمق أحمر أجوري أو رملي، يجعلنا نمتع أنظارنا بهذه الطبيعية العجيبة الخلابة الغارقة في المحيط من نور ذهبي، والجبال البعيدة

[1] Jean Hurabielle .**Au Pays du bleu .Biskra et les oasis envrounantes.editeur Augustin challamel**.paris.1899;p3.

[2] .Ibid p13.

[3] – عبد القادر بومعزة، **بسكرة في عيون الرحالة الغربيين**، ج1، ط 1،دار علي بن زيد لطباعة والنشر،الجزائر2016 ص 65.

تتلون على التوالي بالوردي فالأحمر، فالبنفسجي، فالأخضر ولكن ألوان وأطياف هذه اللوحة تتعب الفنان الذي يحاول محاكاتها ورسمها[1].

وحدد لها موقعها فهي تقع على بعد 600 كم من قسنطينة بـ 35 و27 لاستواء و3- توجد على الساحل الأيمن من وادي بسكرة الذي تشكل من وادي عبدي ووادي القنطرة. وقال أن منطقة بسكرة هي عاصمة الزاب نقلا عن ابن خلدون. يحدها من الشرق الدوسن و تنومة و بادير في الغرب. وهي بلاد واسعة تتكون من قرى كثيرة ومتقاربة مع بعضها، كل منها تسمى واحة، حيث يرجعون سقوطها إلى سوء الحكومة التركية، وهذه الحالة بقيت إلى أن هدم الأتراك القلعة القوية إضافة إلى سوء المعاملة باتجاه سكانها بحيث أصبحوا بدون تجارة ولا صناعة[2].

كما وصف جون هربيال مدن بسكرة فقال: أنها تنقسم إلى مدينتين: مدينة جديدة وهي المدينة الأوربية، ومدينة قديمة وهي بقية سكان بسكرة.

المدينة الأوربية: تلك التي بناها الاستعمار الفرنسي بغرض تشجيع الاستيطان الأوربي في المنطقة. وضمت المدينة المؤسسات وبنايات ذات طراز أوربي. وذكر هربيال بأن في داخل هذه المدينة ينتابه إحساس بوجوده في فرنسا، غير أن الشيء المميز لهذه البنايات استعمال مواد البناء المحلية في انجازها، وكذلك طريقة البناء التي تمت حسب عادات سكان، باستعمال الطوب المجفف تحت أشعة الشمس وجلب الحجارة من الجبال المجاورة[3].

كما ذكر هربيال أن فرنسا قامت بعدة مجهودات في هذه المنطقة وتطويرها وإدخال الحضارة إليها ومن بينها مستشفى لافيجري –فندق روايال –دار الضياف –كنيسة القديس برينو الواقعة في وسط حديقة المدينة، المركز الثقافي الإسلامي –السوق المغطاة.

[1] – عبد القادر بومعزة، المرجع السابق ص66.

[2] – Jean Hurabielle, Op, cit, p32.

[3] - Ibid, p33 .

ولعل أهم معلم معماري تناوله هذا الرحالة ،حصن سان جرمان الذي بني في شرق المدينة، والذي استغرق بناؤه ثلاث سنوات –أي من 1849–1851 وتكمن أهميته في شاسعة المساحة.

أما المدينة القديمة، فيذكر أنها رغم جمال المنطقة الأوربية فالسائح لا يستغني عن هذه المنطقة أي بسكرة القديمة. وتشكلت هذه المنطقة من مساكن مخربة، إضافة إلى جانب عدد من القصور، حيث تقع هذه الأخيرة في طريق مؤدي إلى تقرت. وحسبه أنه بعد تهدم المدينة القديمة، اضطر سكانها إلى الاستقرار في القصور أو الخيام، بحيث وجد هربيال أن القبائل في هذه المناطق حافظت على انتمائها القبلي ،ومن بينها فروع العبيدين وأولاد سيدي بركات[1].

كما أن هربيال زار هذه القرية في رحلته الأولى وقضى الشتاء هناك، حيث وجد بها مناطق وهي 13 منزلا، باب الضرب 128 منزلا، المسيد 149 منزل، باب الفتح، الرقيقية 49 منزلا رأس القرية 96 منزلا، مجنيش، سيدي بركات 167 منزل، أي بمجموع 647 منزلا، كما كان يتوافد الأوربيون هناك دائما على المنطقة للاطلاع على ما بداخلها وذلك بعد ظهور نوع من التعايش بين السكان المحليين والأوربيين.

كما تطرق جون هربيال في وصفه عن أهم منطقة علاجية زارها وهي حمام الصالحين يقول: رغم بعده عن المدينة بستة كيلومترات، أصبح مكانا هاما يتوافد عليه الناس، خاصة خلال فصل الشتاء لفوائده العلاجية كما يؤكد الأطباء. وبغية استقبال هذا العدد الكبير من المرضى والسياح، قامت الادارة الاستعمارية بعدة ترميمات، وأهمها ترميمات 1891 التي قامت بها الشركة العامة لوادي ريغ وبسكرة[2].

[1] – عبد القادر بومعزة، مرجع سابق، ص67.

[2] –Jean Hurabielle, Op, Cit. p33.

كما زار جون هربيال منطقة الوادي، ووصفها: بأنها تقع شرق وادي ريغ، وتمتد حتى الحدود التونسية. وهي منطقة جرداء تغطيها الكثبان الرملية المتحركة. وسوف عاصمتها مدينة الوادي.

إن هذه المجموعة من الواحات هي الأكثر عزلة في الصحراء الجزائرية، تقع على طريق الجريد على بعد 100 كم من تقرت. تحيط بها الرمال من كل جانب؛ إضافة إلى عدم وجود أي بئر أرتوازي بها. وكان سكان هذه المنطقة يهاجرون إلى تونس للعمل لأن منتوج بلادهم ضعيف، وبالتالي يعملون كحمالين أو بنائين في تونس.

كما ذكر هربيال أن في مدينة الوادي، وهي مركز منطقة سوف، 1.000 منزل مبنية بالجبس لا يزيد ارتفاع جدرانها على مترين، وليس بهذه المنازل سوى فتحة بلا باب، بحيث بلغ عدد السكان 8.000 نسمة[1].

وأما بقية السكان الذين يتوزعون فبلغوا حوالي 20.000 بين قصور المنطقة والتي من أهمها على الطريق من تقرت نحو الوادي: الطيبات القبلية، وادي العلندة، كوينين. كما ذكر أن سكانها يعانون من مرض العيون، وهناك عدد كبير من المكفوفين وخاصة في منطقة تاغزوت، قمار، وسيدي عون. أما في الجنوب فتوجد على طريق غدامس منطقة أم الطيور وزاوية سيدي عبد القادر. كما أن منطقة الوادي تضم هضابا رملية مرتفعة، وتمتد على مرمى البصر. تجمعها الرياح وتدفعها فتتحرك بسهولة، وتشكل خطرا على المسافرين. ولهذا السبب نكر جون هربيال عدم تقبله لفكرة مد خط السكة الحديدية، بحيث أنه مشروع فاشل، وهذه الخطوط ستبتلعها الرمال والرياح الجنوبية الشرقية التي تحدث عنها فور خلال رحلاته أنها أكبر عرقلة تواجه المسافر. وتسمى هذه الرياح الشهيلي أو السيمون. وهي رياح حارة، وحين تعصف تفقد البوصلة اتجاهها. كما أن هذه الرياح هي نفسها الرياح في جنوب فرنسا وهي السيروكو[2].

[1] - عبد القادر ميهي، **الصحراء الجزائرية**، ص67-68.

[2] –نفسه ،،ص 69.

3- المستكشف شارل دو فوكو Charles de Foucauld :.

ولد شارل دو فوكو[1] في 15 سبتمبر 1858 بمدينة ستراسبورغ في فرنسا بالقرب من الحدود الألمانية. نشأ دي فوكو بها يتيما، حيث توفي والده في سنة 1864، فكفلته شقيقته وجده للأم الذي كان ضابطا فرنسيا[2]. تأثر دي فوكو بأسلافه الذين كان معهم في خدمة الكنيسة الكاثوليكية. وظهر عليه هذا التأثر في مرحلة شبابه، وذلك من خلال تكريس حياته لخدمة الكنيسة المسيحية.

تلقى دوفوكو تعليمه الابتدائي في أسقفية سانت –أربو قاست بمدينة ستراسبورغ. ثم درس بثانوية أميريال بمدينة نانسي، حيث توقف عن الدراسة بها بسبب الحرب الفرنسية الألمانية. ثم أتم دراسته بثانوية ناسيونال، وحصل بها على شهادة البكالوريا. وكان خلال هذه الفترة يتقرب من كنيسة نانسي.[3]

كما كانت باريس محطة أخرى في حياة دي فوكو، فبعد حصوله على شهادة الباكالوريا، انخرط في الحياة العسكرية بمدرسة سانت–سير في سنة 1876. وقد كانت هذه المرحلة من أصعب المراحل في حياة دو فوكو؛ وكان ذلك بسبب إهماله وسوء تصرفاته. تعرض خلال إقامته بهذه المدرسة إلى 45 عقوبة و47 إيقافا. وكانت رتبته 333 من 386.[4]

ثم التحق بمدرسة سومر التي كان يديرها LAOTE، واستطاع التخرج منها بالرتبة الأخيرة. ورغم إهماله للدراسة وسيرته السيئة، فقد عين ملازما بتاريخ 01 أكتوبر 1878م.

وفي ديسمبر 1880، انتقل دي فوكو ضمن فوج الفرسان الرابع إلى الجزائر. وتغير اسم هذا الفوج إلى فرقة الصيادين، حيث استقر بسطيف. وفي هذه المرحلة تميز دو فوكو

---

[1] – انظر ملحق رقم 11، ص140.

[2] – René Bazin. **Charles de Foucauld librairie plon** .paris 1921;p6 .

[3] – عزيز الداوي، عائشة بابة، **شارل دي فوكو ونشاطه في منطقة الهقار 1905–1916**، مذكرة لنيل شهادة ليسانس ’إشراف بشير سعدوني، جامعة الجزائر 2007–2008. ص 12.

[4]– Rene bazin. charles, Op.,cit.;p15 .

بالانحراف واللهو[1]. كما كانت له علاقة مع مستوطنة تحمل اسم ميمي، وتعرض من خلال هذه العلاقة لعقوبة عام سجنا. وعند خروجه، أصدرت له أوامر بالتخلي عنها، لكنه رفض ذلك. وأن هذا أمر يتعلق بحياته الخاصة. ثم سافر دي فوكو رفقة ميمي إلى إيفيان، وأثناء إقامته هناك، وصله نبأ بأن هناك انتفاضة في الجنوب الوهراني، وهي انتفاضة بوعمامة.[2]

بهذا الخبر، قرر دي فوكو الذهاب إلى باريس، وقدم طلبا بانخراطه في الجيش من جديد، معلنا قبوله بكل الشروط التي تشترط عليه. وفعلا شارك دي فوكو في هذه الحملة ضد الشيخ بوعمامة، لكنه فشل في ذلك وأراد التخلي عن الحياة العسكرية[3].

رحلته إلى المغرب:

بعد أن قدم دو فوكو استقالته في فرنسا، ذهب إلى الجزائر لبدء رحلته الاستكشافية إلى المغرب الأقصى سنة 1883. وخلال هذه المرحلة، كانت فرنسا تبحث عن جواسيس للتعرف عن المغرب، وهكذا بدأت رحلة دي فوكو إلى المغرب متنكرا في زي يهودي لكيلا يتم التعرف عليه من قبل المغاربة. وأثناء رحلته رافقه زميله يهودي من الجزائر، وانطلقا معا من وهران. وخلالها سجل ملاحظات فلكية ويومية[4].

كما تعلم دوفوكو اللغتين العبرية والعربية، لأن بالمنطقة سكانا من المسلمين وأقلية اليهودية. وتقلد دو فوكو ملابس إسرائيلية، وأطلق الشعر. وكان من أسباب اتخاذ هذا المظهر أنه يشعره بالراحة، مما جعله يتحرك بسهولة، ويوفر له الوقت لتسجيل المعلومات خفية من دون إثارة شكوك عليه. فكان يسجل هذه المعلومات ليلا في أماكن مخفية، ويسجل كل الملاحظات حول السكان والمناطق[5].

---

[1] – احميدة عميراوي ، **السياسية الفرنسية في الصحراء...**، مرجع سابق، ص112.

[2] – زينب يوبي، مرجع سابق، ص 67.

[3] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**،ج6 ،مرجع سابق، ص133.

[4] – احميدة عميراوي، **السياسية الفرنسية في الصحراء...**، مرجع سابق، ص115.

[5] – عبد السلام بوشوارب، مرجع سابق، ص114.

وكانت هذه الرحلة من أبرز الأسباب المساعدة للاستعمار الفرنسي في احتلال المغرب من خلال تسجليه عدة معلومات قيمة ،استطاع الدخول بها.

وبتاريخ 03 جويلية 1885، سافر شارل دو فوكو إلى الجنوب الجزائري لمراجعة الملاحظات التي دونها في مراكش؛ وهذا السفر الطويل استغرق ثلاثة أشهر ونصفا، حيث زار خلالها عدة مدن صحراوية من بينها: الأغواط، وغرداية، و ورقلة، والمنيعة. ثم توجه إلى تونس مرورا بتقرت ووادي سوف، ليعود إلى فرنسا سنة 1886. ثم استقر في باريس، وتقلد هناك الحياة الصحراوية. كما أن استقراره في باريس بين عائلته المتدينة ،جعله يتأثر بها. بحيث أن الرغبة الإلهية ازدادت فيه. وفي تاريخ 1888، قام بمهمة للذهاب إلى سوريا، ثم دخل إلى جمعية، ومنها قرر الدخول لبيت المقدس بهدف تطهير نفسه[1].

وبعد الرحلة التي قام بها إلى سوريا، انتقل إلى فرنسا ومنها إلى الجزائر. ونسق مع رجال لافيجري، وهم الآباء البيض. حيث أن شارل دو فوكو لم يبلغ لافيجري في المنصب، لكن بلغ درجته في الشهرة. وتعلم اللهجة التارقية، وأصدر معجما عنها. وكان يتجول في الصحراء كمستكشف وليس كرجل دين. كما كان معروفا لدى المكاتب العربية والمراكز العسكرية الفرنسية في الصحراء الجزائرية[2].

ثم بعد ذلك، تعين قسا في مدينة بالعباس عام 1903[3] بحيث أن أحد المؤرخين وصف رحلته واستقراره في الصحراء الجزائرية[4] بقوله: "نزل دو فوكو بالجزائر العاصمة عند الآباء البيض، ثم اتجه إلى وهران ،وإلى عين الصفراء عن طريق القطار. ثم عمل مع مجموعة

[1] – عزيزة الداوي، عائشة بابة، مرجع سابق، ص29.

[2] – احميدة عميراوي، **السياسة الفرنسية في الصحراء...**، مرجع سابق، ص118-119.

[3] – René Bazin.Charles; op;cit, p.96.

[4] – انظر ملحق رقم 04، ص133.

من الجنود الفرنسيين، ووصل إلى بني العباس. ولعدم وجود رجل دين مسيحي هناك، قام هو بالطقوس الدينية بعد أن حصل على إذن من لافيجري"[1].

وأثناء هذه المرحلة، تم تعيين لابرين قائدا أعلى على منطقة الواحات بالصحراء الجزائرية. وحقق لابرين[2] حلم شارل دي فوكو، وذلك من خلال التوغل في الجنوب. وقاما معا برحلة في الجنوب، ثم تركه في منطقة عين صالح. فبدأ دوفوكو في هذه الفترة عمله كمستكشف مثلما فعل في المغرب. وسجل المعلومات عن الأهالي، ورسم المخطوطات، وتعلم اللهجة المحلية، أي لغة تخاطب، وهي لغة تماشيق. ثم ذهب إلى غرداية، ثم إلى الساورة. كما أن دي فايرييه كان من أبرز المساعدين لدي فوكو، حيث اتبع واهتدى بمعالمه الاستكشافية. كما كان دائما على اتصال معه، وتربطهما علاقة وطيدة. وكان جل حديثهما على الطوارق[3]. ومن ذلك استقر دو فوكو في تمنراست منذ سنة 1905، واحترف حياة الطوارق رجالا ونساء وأطفالا، بحيث علمهم أشياء لم يكن يعرفونها ويجهلونها، لأنهم بعيدون عن الحضارة، وأنهم من مناطق نائية. وأثناء هذه المرحلة، بدأ دي فوكو يؤلف قاموسا تماشيقيا. وهكذا بقي دي فوكو في الهقار لفترة طويلة إلى غاية اغتياله من طرف السنوسيين التابعين للحركة السنوسية في ليبيا.

ومن ذلك فإن دو فوكو اعتبر من أكبر المستكشفين المنصرين للصحراء الجزائرية من خلال تأليف عدة مؤلفات حول الصحراء الجزائرية، خاصة الهقار. ومن بين هذه المؤلفات هي:

---

[1] – عبد الرؤوف قرناب، **جهود علماء الجزائر في الرد على التنصير إبان الاحتلال الفرنسي 1830-1962**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص مقارنة الاديان، اشراف محمد الامين بلغيث، جامعة الجزائر 2014-2015، ص 104.

[2] – لابرين: قام هذا الحاكم بجولات على عرض هضبة تادميت والأطلس والهقار. وكان يستعين بقبائل المهاري الصحراوية في رحلاته. ينظر الى الحاج امحمد الحاج ابراهيم، **المؤسسة التنصيرية في الجزائر في نهاية القرن 19م (ميزاب والهقار نموذجا)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر 'اشراف فاطمة الزهراء قشي، جامعة قسنطينة 2011-2012، ص103.

[3]– René Bazin.Charles, Op, cit, p 310.

1- كتاب Reconnaissance et itinéraire au Maroc حيث أن هذا الكتاب به معلومات تخص المغرب[1].

2- كتاب نحو لغة تيفيناغ.

3- قاموس فرنسي –طارقي نشر في مجلدين، ويبلغ عدد مجموع صفحاته 1450 صفحة.

4- رسائل مع أصدقائه وأهله في فرنسا. حيث تعتبر هذه الرسائل الخاصة أحد المصادر القوية لتأريخ السياسة الاستعمارية في الجنوب الجزائري[2].

5- نصوص طارقية مترجمة إلى اللغة الفرنسية تشكل مجلدين من الشعر والنثر الطارقي. إن ما تركه يعتبر كمرجع للأكاديمية البربرية في فرنسا[3].

ثالثا: البعثات الاستكشافية للضباط الفرنسيين

- دوماس Dumas

دوماس ملشيور جوزيف أوجينا (Melchior-Joseph-Eugene)[4]. كاتب فرنسي. ولد في 04 أكتوبر سنة 1803 في ديلمور بسويسرا[5]، وتوفي في 29 أفريل 1871 في كمبلان جيروند. انخرط متطوعا سنة 1822 كملازم مساعد[6]. وغادر إلى الجزائر سنة 1835. عين قنصلا في سنة 1835م في دولة الأمير عبد القادر بمعسكر، وتميز في مهامه الصعبة التي كلفه بها الجنرال لاموريسير[7] مدير الشؤون العربية بمقاطعة قسنطينة. وفي سنة 1841

---

[1] – الحاج امحمد الحاج ابراهيم، مرجع سابق، ص 103.

[2] – زينب يوبي، مرجع سابق، ص 72.

[3] – احميدة عميراوي، مرجع سابق، ص115.

[4] – انظر ملحق رقم 12، ص141

[5] – Louis Veuillot, **Les Français en Algérie souvenirs d'un voyage fait en 1841**,Imprimeurs, Librairies, Tours, 1846, p208.

[6] – وحيد بن بوعزيز، **الجنرال أوجين دوماس منطلق المقاومة ومنظورية الآخر**، benbouaziz https://wordpress.com شوهد:19-03- 2017 على ساعة 15:10.

[7] – يحياوي مسعودة، **الصحراء في تقرير الاستعمار الأوربي أثناء القرن التاسع عشر**، الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 18-19م الموافق لـ 25 جانفي2012، المركز الجامعي بالوادي ص354.

1841 شجعه الجنرال بيجو باكتشاف الأراضي الجزائرية التي من خلالها ألف كتابا عن رحلته في الجنوب القسنطيني[1] بعنوان الصحراء الجزائرية. كما كانت له عدة مؤلفات أخرى ومن بينها كتاب القبائل الكبرى وحياة العرب والمجتمع المسلم[2].

قام هذا الجنرال برحلة استكشافية عظيمة في ربوع الصحراء[3]، حيث قدم لها من الشمال. وفي طريقه، مر على عدة مناطق تمثلت في: مراكز سبدو، سعيدة، تقدمايت، تيارت، بوغار، بسكرة، سعيدة. وكان في اعتقاده أنه أصبح في وسط الأراضي الصحراوية وفقا لمعلوماته السابقة التي نقلها عن الجغرافيين القدامى. لكن عند وصوله إلى الصحراء، وجد مجموعة من الملاحظات. حيث ذكر لنا دوماس أن هذه المناطق كانت خالية من السكان والنبات إلا بعض القبائل التائهة بين الرمال، وهي ذات عدد قليل ولا تتعدى واحة صغيرة بحسب تعبيره[4]. كما ذكر دوماس أن حدود هذه الصحراء بعيدة على بعضها البعض، البعض، وهي ذات شاسعة كبيرة. وكانت هذه المنطقة عبارة عن لوحة رملية بها مساكن، عبارة على مدن وقرى وخيام مصنوعة من وبر الجمال.

وبدأ رحلته من الجهة الشرقية للصحراء التي كانت أولا مهامه الوصول إلى ورقلة، حيث مر بعدة مناطق من بينها البليدة، بالبراقية، ببوغار، وادي مود، وصولا إلى تاجموت في اليوم الرابع عشر من الرحلة. ثم إلى مدينة العريوات والتي قدم معلومات قيمة عن هذه المنطقة وحدد لها موقعها وأهم القرى التابعة لها حيث قال: أن منطقة العريوات هي منطقة موجودة على خط عرض ْ48 و ْ33 وخط طول ْ48 وهي مركز خليفة الحاكم عن هذه المنطقة وبقية قراها. كما أن هذه المنطقة محاطة من الشمال بجبال عمور، وشرقا بأولاد نايل، وجنوبا ببني مزاب، وغربا بقبيلة العريوات كسال، حيث أن هذه المنطقة تحتوي على

---

[1] – أدموند بورك، **فرنسا و سوسيولوجيا الإسلام الكلاسيكية 1798–1962**، تر: يونس لوكيلي مؤمنون بلا حدود ،مؤسسة الدراسات وأبحاث، المغرب، د.س .ن، ص10.

[2] – Narcisse Faucon ،op, Cit ،p197-198.

[3] – انظر للملحق رقم 05، ص134.

[4] – عبد القادر الميهي، **الصحراء الجزائرية**، مرجع سابق، ص 6.

عدة مدن وقرى وهي[1]: الواطية، العسافية، عين ماضي، قصر الحيران. وأن منطقة العريوات ككل تحتوي على سبعمائة أو ثمانمائة بيت مبنية على منحدرات الشمال والجنوب بجبل صغير. يوجد واد يسمى وادي ميزاب. كما أن هذه المنطقة محاطة بسور مستطيل ذي شرفات ومحمي بحصنين عاليين. كما كان بناء هذه المنطقة مبنيا بناء غير جيد. البعض منها مبيض من الخارج. وتقريبا كلها مبنية من الداخل. كما تعتبر هذه المنطقة قديمة جدا حسب دوماس وذلك وفقا للمعلومات التي استفاد منها، حيث أن المنطقة كانت تابعة للمغرب الأقصى والأتراك معا قبل الدخول الفرنسي. كما يوجد بالعريوات سوق كبير جدا يجمع مجموعة من القبائل المجاورة للعريوات[2].

وأهم مناطق العريوات التي زارها دوماس والذي وصفها من كل الجوانب هي:

تاجموت: هي قرية صغيرة بها حوالي مائة منزل. تقع على السهل على بعد 28 كم شمال قرية عين ماضي و40 كم شمال غرب العريوات. وليس بهذه المنطقة أسوار خارجية لكنها تحتوي على حدائق محاطة بها كالسور إضافة إلى أن هذه المنطقة تحتوي على بابين باب في جهة عين ماضي ويسمى سفاين وباب بجهة العريوات ويسمى أولاد محمد. كما ذكر دوماس أنه يوجد بها زاوية سيدي عطا الله وتابعة لها ثلاثة منازل. كما أن هذه الزاوية ومنازلها لونها مغاير، فهي مطلية باللون الأبيض. أما المنازل التابعة لها فهي مطلية باللون الرمادي، إضافة إلى التشوهات القديمة[3].

الحويطة: هي قرية من قرى العريوات تقع على بعد 20 كم من عين ماضي و48 كم غرب العريوات. تحتوي على خمسين منزلا مبنية فوق منحدر بجواره منبع مائي.

لعسافية: تقع هذه المنطقة بقرب العريوات. بها منازل ملتصقة في بعضها البعض. كما أن هذه المنطقة في صراع دائم مع العريوات.

---

[1] – Eugene Daumas ،**Le Sahara Algérien**…, paris.,1845, p 16.

[2] – دوماس، **الصحراء الجزائرية**، تر، قندوز عابد فوزية، غرناطة لنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص36.

[3] – Eugene Daumas, **Le Sahara Algérien**…,op ،cit ،p 18.

قصر الحيران: هي منطقة مبنية على بعد 20 كم بالجنوب الشرقي من العريوات. وفيها مئة وعشرون منزلا بها ساحات. كما أنها مبنية بأسوار سميكة[1].

عين ماضي: هي مدينة مبنية على ربوة صغيرة على بعد 60 كم غرب العريوات بسهل محدب. كما أنها قريبة من قرية تاجموت. منازل هذه المنطقة قريبة من بعضها البعض، ومحاطة بسور به الشرفات. كما تتميز هذه المنطقة بمنظر جميل، حيث وصفها دوماس أنها على شكل بيضة نعامة مقطوعة إلى اثنين، كما ذكر أنه عند الدخول إلى عين ماضي، يوجد بها بابان واحد من الشرق والآخر من الشمال الغربي[2]. أما فيما يخص المنازل فإنها مبنية بالطوب والحجارة. إضافة إلى أن هذه المنطقة كانت في صراع دائم مع الأتراك والأمير عبد القادر.

العزازلية: هي قبيلة تقع بين سيدي خالد وتقرت وبني ميزاب وهي مقسمة إلى: أولاد سيدي سليمان وأولاد سيدي يحي بحيث هؤلاء السكان هم رحالة. يذهبون إلى المناطق المجاورة من بينها تماسين و تقرت[3].

سيدي عطاء الله: هي قبيلة صغيرة من الزاوية تخيم بالقرى بالقرب من تاجموت.

وفي اليوم الموالي خرج دوماس من العريوات، أي في اليوم الخامس عشر للرحلة، اتجه إلى غرداية لمواصلة الطريق إلى ورقلة. ولكن عند الوصول إلى بني ميزاب، وصف هذه المنطقة ووقف عندها، حيث وصلها بعد عشرين يوما من رحلته. وذكر دوماس أن هذه المنطقة تقع في وسط الصحراء، وهم يختلفون عن بقية سكان الصحراء وذلك يتبين في عاداتهم ولهجتهم. كما أن سكان هذه المنطقة هم من سلالة مرابطية. وهذا ما ذكره أحد الشيوخ اليهود هناك وفقا لزيارته التجارية في هذه المنطقة.

---

[1] – Eugene Daumas, **Le Sahara Algérien**…, op ،cit ،p20.

[2] – دوماس، مصدر سابق، ص50.

[3] – نفسه، ص 62 .

كما ذكر دوماس مظاهر اختلاف هذه السكان مع بقية الصحراويين، فهم يتميزون ببشرة بيضاء وأعين زرقاء وشعر أصفر، ولهجتهم هي المزابية وهي بربرية حسب دوماس. كما أنهم يختلفون حتى في ديانتهم وهم يسمون بالخوارج نسبة لمذهبهم؛ كما يعد هؤلاء أنهم متمسكون بالشريعة الإسلامية عن بقية السكان[1].

كما أن هذا البلد حسب دوماس يمتد من القرارة شرقا إلى متليلي غربا وإلى غاية ورقلة. كما يوجد بهذا البلد من الجهة الشمالية منحدرات وجبال صخرية شديدة الانحدار. وتحتوي هذه المنطقة على مجموعة من المدن وهي: غرداية، مليكة، بونورة، بني يزقن، العطف، بريان، القرارة.

غرداية: تقع هذه المنطقة على الضفة اليمنى من وادي ميزاب توجد على 20° طول و25 و33° عرضا كما أن هذه المنطقة كبيرة جدا تشبه الجزائر العاصمة. كما أن لهذه المنطقة أسوارا تحيط بها. تحتوي على شرفات ومحمية من مسافة إلى الأخرى، كما يوجد بغرداية ثمانية أبواب أهمها البرابشة، باب الجديد، باب أولاد نايل.

كما أن منازل هذه المنطقة مبنية أحسن بناء ومبيضة بالجير، كما أن بها أثر مدينة كبيرة يسمونها باب سعيد وهي قائمة على جبل، كما يوجد بها أحواض مزخرفة زخارف تربيعية تعود إلى العهد الروماني حسب دوماس[2].

مليكه: هي مدينة بوادي ميزاب بها ثلاثمئة منزل على الضفة اليسرى بجنوب غرداية مبنية على جبل يسمى سيدي عيسى أو العرقوب. كما أن هذه المنطقة محاطة بسور ولها ثلاثة أبواب.

بونورة: توجد على بعد 400 كم جنوبا وهي مدينة صغيرة لبني مزاب كما لها سور تعلوه أربعة حصون كما لها ثلاثة أبواب: باب السور، باب يزقن، باب مليكة.

[1] – دوماس، مصدر سابق، ص 63.

[2] – Eugene Daumas، **Le Sahara Algérien**…, Op ،cit, p 25.

بني يزقن: تقع جنوب بونورة على الضفة اليمنى بوادي ميزاب. وهي مدينة صغيرة بالنسبة إلى غرداية، كما لها بناء جيد، ومحاطة بسور تعلوها خمسة أبواب تسمى أبواب أنتسبة[1].

العطف: وهي تبعد بـ 600 كم عن بني يزقن. لها خمسة أبواب وستمائة منزل.

بريان: تقع بمسافة بعيدة عن غرداية بحوالي 18 كم بها حوالي 30 منزلا.

قرارة: توجد بشرق غرداية بها سور كبير وثلاثة أبواب.

ثم بعد انتهاء دوماس من زيارة هذه المناطق، اتجه في اليوم الواحد والعشرين من الرحلة إلى منطقة ورقلة بعد قطع 52 كم بين غرداية و ورقلة[2].

زار دوماس هذه المنطقة وتعد هذه أول بعثة فرنسية لها وذلك سنة 1842، حيث ذكر أنها توجد على خط[3] العرض ْ30 وْ25 شمالا على بعد 80 كم عن الجزائر العاصمة. كما أن لهذه المنطقة ستة أبواب هي: باب الربيعة، باب بابا أحمد، باب رباح، باب بوسحاق، باب عزي. وكل هذه الأبواب تفتح على قنطرة مبنية تطل من جهة الهواء. حيث تنتشر هذه المنطقة على خمسمائة منزل مبيضة بالجبس وهي مبنية بناء سيئ للغاية، وهذا ما يجعلها تهدم بسهولة وذلك يقلق سكان هذه المنطقة، كما يتميز سكانها بلهجة خاصة تجمع بين الزناتية والمزابية، أما فيما يخص المناطق التابعة لها فهي الرويسات، الحجامة وسيدي عامر، سيدي خويلد و نقوسة[4].

الرويسات: تقع هذه القرية على بعد 6 كم من الناحية الغربية. وهي مجموعة من المنازل حوالي أربعين منزلا ، كما توجد بهذه القرية مستنقعات وآبار عميقة . كما أن بينها وبين ورقلة توجد محاجر من الحجار.

---

[1] – Eugene Daumas, **Le Sahara Algérien**…, op .cit, p26.

[2] – Ibid, P66.

[3] – رضوان شافو، **الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري، ورقلة أنموذجا 1844–1962**، أطروحة دكتوراه قسم التاريخ، إشراف تلمساني بن يوسف، جامعة الجزائر،2011–2012، ص 115.

[4] – دوماس، مصدر سابق، ص99.

حجامة وعين عامر: تقع هاتان القريتان على بعد 6 كم جنوبا عن ورقلة. كما أن هذين المنطقتين متقابلتان بحيث تتكون الأولى من خمسين إلى ستين منزلا، والأخرى حوالي مائة منزل. كما توجد بحيرة مالحة بينهما تسمى السبخة[1].

سيدي خويلد: تقع هذه المنطقة على بعد 20 كم من الجنوب الشرقي. سكانها هم مرابطون يتكلمون اللغة العربية. كما أن هؤلاء لا يدفعون الضرائب أثناء الحكم التركي.

نقوسة: هي قرية تقع على بعد 24 كم بالشمال الشرقي من ورقلة تقع وسط الرمال، كما أنها منطقة صغيرة مكونة من مئة وخمسين منزلا محصنة بخمس وعشرين حصنا على شكل مربعات كما بها اربعةأبواب وهي: باب زغانة، باب علوش، باب تالموناست، باب القصبة[2].

أما فيما يخص الطريق الذي اتبعه دوماس من الجزائر نحو تقرت:

حيث مر دوماس بعدة مناطق من بينها عين خضرة، وادي زيتون وسور الغزلان وبعد 8 أيام من انطلاقه حتى وصل إلى بوسعادة حيث دخل هذه المنطقة وسجل ملاحظات عليها وعلى موقعها فذكر أنها تقع ما بين بسكرة والعريوات كما يوجد بها خمسمئة أو ستمئة منزل. فهي مقسمة إلى ثمانية أحياء من بينها: هليق أولاد سحاركات، العشاشة، الهمانين، أولاد حميدة، الزكوم، هذه الأحياء كأنها قرى صغيرة قريبة من بعضها البعض[3].

وفي اليوم الموالي غادر دوماس هذه المنطقة باتجاه بسكرة مرورا بوادي رومانة ثم إلى وادي المهاري وفخامة ثم إلى بسكرة في يوم الحادي عشر من الرحلة، حيث دخل هذه المنطقة وفعل مثل بقية المناطق التي يزورها، فسجل عليها عدة معلومات، وأوضح دوماس فيما يخص الاسم التي تحمله بسكرة فهو لا يخص هذه المدينة فقط فهذا الاسم يمكن أن يطلق على كامل القرى السبعة التابعة لها بحيث يوجد بها حوالي أربعة آلاف ساكن. كما تعتبر بسكرة العاصمة السياسية للزيبان. حيث أنها مغلقة من الجهة الشمالية بسلسلة من

[1] – دوماس، مصدر سابق، مصدر سابق، ص100.

[2] – نفسه، ص112.

[3] – نفسه، ص113.

الجبال يسكنها قبائل عصاة. وتمتد هذه السلسلة إلى غرب القنطرة إلى مقاريس عند أولاد سلطان وهي الأبواب التي تفتح ممرا للتوجه من التل إلى الصحراء[1].

كما سميت قرية القنطرة في بسكرة بهذا الاسم نسبة إلى الجسر الروماني الموجود على النهر الذي يتلقاه عدد من الأخاديد.

بحيث أن الزيبان مقسمة إلى ثلاثة أقسام مسماة الزاب القبلي، الزاب الشرقي، الزاب الظهراوي. ويضم عدة قرى من بينها العمري البرج، فوغالة، زعاطشة، بسكرة، سيدي عقبة. أما فيما يخص الزاب الشرقي فيضم شتمة، سيدي خليل، عين الناقة، القايد مرورا على بعض القبائل كما زار بقية المناطق الأخرى ومن بينها قبيلة الشرفة وأهل علي[2].

ثم انتقل دوماس نحو تقرت وكان ذلك نتيجة السيطرة على بسكرة التي فتحت أبوابها على المناطق الأخرى حيث قطع حوالي 304 كم إلى المقر ومنها إلى تقرت. كما أوضح أن هناك الكثير من الطرق التي تؤدي إلى تقرت والتي تلتقي عند المغير، لكن دوماس بقي يفضل الطريق الذي سلكه التجار والقوافل[3].

حيث ذكر دوماس أن تقرت تبدأ بمغرير وتحتوي هذه الواحة على 35 قرية على خطين من النخيل يسميها العرب استعارة نهر رواغة نسبة إلى سكانها أولاد غير، فهي عبارة عن واد خصبة التربة وسط الرمال، تتوسطها حدائق بساتين ،كما أن هذه القرى هي المغير، سيدي خليل، دندوقة، بارد، الزاوية، جامعة، تقددين، سيدي سليمان.....الخ. وعند مغادرته هذه المنطقة ،مر على عدة قرى تابعة لها، ومن بينها بوجنان حيث تقع هذه المنطقة على أربعة كيلومترات جنوب تقرت، وبها ستون منزلا مبنيا بناء سيئا. ثم ذهب إلى تماسين وهي مدينة صغيرة مكونة من أربعمائة أو خمسمائة منزل بعيدة بحوالي 32 كم عن الجنوب

[1] – Eugene Daumas، **Le Sahara Algérien**…, op ،cit ،p 103.

[2] – Ibid, p 104.

[3] – Ibid, p 105.

الغربي من تقرت، محاطة بسور وبها ستة مساجد ،منها اثنان بها صومعة عالية[1]، كما أنها أقل قوة من تقرت وهي مستقلة عنها، إضافة إلى الصراع الدائم معها. كما تتبعها بعض المناطق من الوادي. ثم انتقل دوماس إلى بلدة بني عامر تقع على 24 كم من تماسين، وهي مدينة صغيرة مكونة من مئة منزل محاط بحزام به شرفات وخندق. كما أن هذه المنطقة تابعة لتقرت.

وبعد خروجه من تقرت، اتجه نحو ورقلة و نقوسة ومنها إلى وادي سوف لينتقل إلى نفطة، حيث مر على عدة مناطق أهمها بومسود، وادي جدار، أرماس وهي منطقة تسمى ورماس. ومنها الدخول إلى منطقة الوادي والتي قدم عنها مجموعة من المعلومات حيث ذكر[2] أن منطقة سوف لا تخص لوحدها مدينة الوادي. وهذه الكلمة تشمل مجموعة من القرى السوفية ومن بينها، الزقم، الوادي، كوينين، تغزوت، قمار[3]، البهيمة، الدبيلة. كما وصف دوماس المساكن السوفية وعن حالتها السيئة للغاية حيث منازلها لا تتوفر عن جدران خارجية، وتجمع سكانها عبارة على قرى بإمكان المسافر الغريب أن يجد مأوى، كما يوجد سكان يعيشون مكدسين مع الدواب، حيث يشغل هذا المكان البائس مساحة جرداء رملية لكن بها عدد من النخيل وتقطعها حدائق، ومن هذه المنطقة أتم طريقه إلى نفطه بتونس[4].

أما فيما يخص رحلته الأخرى التي بدأت من الجزائر العاصمة إلى عين صالح، فحيث سلك نفس الطريق الذي سلكه إلى منطقة ورقلة من قبل حيث وصل إلى سيدي بوزيد بعد 21 يوما من الانطلاقة، ثم إلى جبل عمور ومنه إلى متليلي، ثم دخل دوماس هذه المنطقة حيث قال أنها هضبة صغيرة تشرف على وادي متليلي سورها مبني بناء غير جيد وبها

---

[1] – دوماس، مصدر سابق، ص160.

[2] – نفسه، ص 170.

[3] – مدينة قمار حسب المستكشف زاكون، هي مدينة من مدن وادي سوف، التي زارها خلال رحلته، حيث وصف هذه المدينة هي شبيهة بقرية كوينين ومن خلال بيوتها ذات قبب كروية الشكل، انظر: G. Zaccone, **Batna, Tugguert et Souf**, Paris, Libairie Militaire, rue et Rassage Dauphie 30, 1865, p265.

[4] – عبد القادر ميهي، **الصحراء الجزائرية**، مرجع سابق، ص 25.

شرفات وثلاثة أبواب وأنها قريبة من إقليم الزاب[1]. ثم توجه إلى القليعة ،حيث ذكر أنها تقع على جبل صخري وهي من قصور الصحراء وبها 200 بيت محاطة بجدار يحميها وهو عالي جدا مبني بالحجارة وله باب واحد. ثم خرج منها وذهب إلى توات حيث كانت هذه المنطقة كبيرة جدا، دخلها من الشمال الشرقي وهي إلى الغرب بالقرب من المغرب يحدها شرقا جبل باطن على طولها وهي واحة صغيرة تتخللها هضاب رملية وهي مقسمة إلى خمس مقاطعات من الشمال إلى الجنوب[2] وهي:

1- مهارزة مقرها بلكورة.

2- القرارة ومقرها تيميمون.

3- أوقروت ومقرها قصبة الحمارة.

4- توات ومقرها سما.

5- تيدكلت ومقرها عين صالح.

مهازرة: هي بلدة رملية مملة مبسطة منقسمة ببعض الهضاب مقر دائرتها طبلكوزة المكونة من مائتي إلى مائتين وخمسين منزلا وهي محمية بسور سيئ البناء.

أوقروت: مقر دائرتها قصبة الحمارة متكونة من مئة منزل حيث تخضع إلى مقر دائرة وتخيم بها أولاد طاع الله. الخنافسة، أولاد عميش[3].

دائرة توات: موجودة بجنوب الدائرة السابقة مكونة من مئة منزل تقريبا.

تديكلت: حيث تعتبر أكبر إقليم وهي تنقسم إلى الشرق والغرب بحيث نوجد قرية تكابرتان وتسابيت شرقا وبودا و تتاون غربا. كما أوضح دوماس في اتخاذ الاسم الخاطئ باعتباره مدينة فهي تخص إقليم. فالمدينة هي عين صالح حيث ذكر أن هذه الأخيرة تتكون من

---

[1] – سليمان بن الصديق، **تاريخ مدينة متليلي في نصوص الرحالة والجغرافيين**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج 9، ع 1، 2016م،جامعة غرداية ، ص 864.

[2] – Eugene, Daumas: **Le Grand Désert ou Itinéraire d'une Caravane du Sahara au Pays des** Negrer ,paris ،1848, p36.

[3] – عثمان حساني، مرجع سابق، ص66.

خمس أو ستمائة منزل ليس بها أسوار كما أن هذه المنطقة باتصال مستمر مع التوارق كما أن القرى التابعة لها هي دار متة وتياد وعين رار[1].

كما وصف دوماس أيضا إقليم الهقار وقال :أنه من غير المستطاع تحديد هذا الإقليم بحيث يوجد هؤلاء الشعب في مكان فسيح من تديكلت إلى تمبكتو، ويجتاز نهر النيجر من الغرب إلى الشرق، ثم يصعد عن طريق فاس إلى غدامس. ومن أهم القبائل التي تسكن في صحراء الجزائر هم المريدير و العزقر و الفقاس[2].

2-جنرال كفينياك Général Cavaignac:

وهو إيجان لويس[3] ولد في 15 اكتوبر1802، بباريس. أبوه جون بابتيسيت كافينياك، الحاكم القديم للجزائر. هو أحد طلبة المدرسة المتعددة الفنون والعلوم، تميز منذ صغره بالنبوغ والعبقرية، وقد حصل على رتبة ملازم أول في 1 أكتوبر 1827[4]، شارك هذا الضابط قبل أن يرتقي إلى رتبة جنرال عام 1848، إلى جانب الجنرال كلوزيل في حصار مدينة تلمسان سنة 1835، ولما انتصر الأمير عبد القادر على كلوزيل، انسحب هذا الأخير إلى الجزائر، لينتقل إلى فرنسا طالبا النجدة فترك وراءه كافينياك على رأس حامية عسكرية في قلعة لحماية تلمسان ومراقبة تحركات الأمير، وقد قام أخيرا بحملة في الصحراء خلال شهر أفريل وماي[5] 1847[6].

[1] – دوماس، مصدر سابق، ص329.

[2] - General Daumas, **Moeure et coutumes de L'Algerie Tell –Kabylie –Sahara** ، Op, Cit, p360.

[3] – انظر ملحق رقم 13، ص142.

[4] – Narcisse Faucon .Op. Cit p154-156.

[5] – انظر: ملحق رقم 6، ص135.

[6] – محمد الهقاري، مرجع سابق، ص 37.

وتطرق من خلال حملته إلى التعريف بمسالك الصحراء لم يسبق أي أوربي الوصول إليها. ثم حاول أن يحقق ما يريده للمعمرين الفرنسيين الذين هم في حاجة إلى ربط الصلة بالصحراء والصحراويين لتنشيط التجارة في المنطقة الجنوبية وما يليها من بلدان مجاورة[1].

وفي عام 1847م ، كلفت بعثته بمعرفة ما تحتويه الصحراء الجزائرية من معلومات علمية لخدمة المشروع الفرنسي للتوسع في الصحراء الجزائرية. فقد تمثلت هذه البعثة في حملة هدفها التعرف واستكشاف كل ما تحتويه الصحراء ولم يكن لهذه الحملة دافع فضول ، بل من أجل تلبية المتطلبات التجارية وضمان مستقبل المستعمرة ومقتضيات الحرب،[2] وكذلك التوغل لإعادة تشكيل القوافل التي تمثل مصدر ربح لهم. ومن جهة أخرى تمكنهم من الاتصال بسكان المناطق الداخلية[3] ،حيث يقول في ذلك وهو يعلن أهدافه الاستعمارية في الصحراء الجزائرية "أن ازدهار الجزائر في مستقبلها ومصالحها التجارية العليا مرتبطان بمعرفة الطرق الكبرى التي تتبعها القوافل، والبحث عن وسائلها لجلبها إلى أراضينا أو على الأقل تزويدها بمنتجاتنا. وأخيرا بتحديد اقصر وأسهل طرق اتصال ببلاد سودان "[4].

وخلال انطلاقاته للصحراء الجزائرية اعتمد على خريطة ريتشارد صون[5] James Richardson ، كما اعتمد على كتاب الرحالة كاريت Carete صاحب كتاب أبحاث في جغرافية وتجارة الجزائر الجنوبية[6] فانطلقت البعثة من تلمسان في أفريل 1847، باتجاه

---

[1] – سميرة انساعد، الصحراء الجزائرية في عيون الرحالة الفرنسين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين تسجيل فوتوغرافي أم تخييلي، مجلة الدراسات، ع2، ديسمبر 2012، ص 22.

[2] - Félix Jacquot, **Expédition du Général Cavaignac dans le Sahara Algérien en Avril et mai 1847**, Gide et J. Baudy lib .Edi,paris ،1849, pp1-9

[3] – فايكس جاكو، مصدر سابق، ص 16.

[4] – نفسه، ص 200 .

[5] – ريتشارد صون: وهو رحالة ألماني كلفته الحومة البريطانية برحلة تمتد من طرابلس إلى إفريقيا الغربية من أجل البحث عن فوائد التجارية التي قد تجنيها بريطانيا من معرفة دقيقة بطرق القوافل وبدأ رحلته في سنة 1845 وقد مر بقبائل الطوارق ويتوفى هذا الرحالة عن عمر لا يتجاوز العشرين ويعتبر أول أوروبي اجتاز الصحراء ينظر: **إسماعيل عربي تاريخ الرحلة ولاستكشاف**...مرجع سابق، ص397 .

[6] – محمد هقاري، مرجع سابق ص27 .

الضاية، ثم تحولت إلى منطقة الغور، وبلغت الشط الشرقي في 16 أفريل، وهى المنطقة الفاصلة ما بين التل وبداية الصحراء. وفي أواخر شهر أفريل ،شرع في اكتشافه جبال الأطلس الصحراوي وقصور الجنوب الوهرانى وواحاته، ودخل واحة عسلة في 22 أفريل سنة 1847م، وشق طريقه نحو واحات توات[1].

وقد أعجب كافينياك بالصحراء الجزائرية ،حيث يقول في ذلك :"لا تعمر الصحراء أي مدينة تضاهي هذا القدر من التباين بين الحياة والموت وثراء التربة والقحط المطلق"[2]. وهنا أخذ يصف كافينياك العلاقة الموجودة بين سكان الصحراء الحضر والبدو، حيث أن سكان الواحات لا يمكن أن يستغنوا عن سكان البدو الذين يمثلون وسيلة اتصال بين القصور الصحراوية ، فيمثلون همزة وصل بينهم وبين الساحل بفضل ترحالهم الدائم من الواحات الجنوبية إلى غاية التل ،حيث إن البدو في حاجة إلى القصور الجنوبية التي تزودهم بالتمور والمناطق التلية التي تمونهم بالحبوب. ويصف كفينياك أهمية القبائل، وذلك بكونها تتكفل بنقل المواد المصنعة في الحواضر، وجلب المواد الطبيعية من السودان. فبدون تلك القبائل تتخلى القصور عن تجارتها المربحة. كما ركز كفينياك عن أهمية تربية الماشية في منطقة الواحات وذلك إن القطعان لا تمثل مصدر غذاء فحسب بل مصدر الصوف الذي يعتبر منتجا أساسيا لأهالي القصور.

وفي الخامس من ماي، توجهت القافلة نحو عين الصفراء ثم سفيسيفة. وهنا يصف كفينياك استعداد أهالي هذه المدينة لمواجهة العدو، حيث كانوا يضعون على شرفات القصر حجارة تخللها بنادق[3]، ومنها توجه كافينياك مباشرة نحو سبدو التي دخلها يوم 21 ماي 1847م. وتمكنت بعثة كافينياك من دراسة ووصف الشطوط والمرتفعات التي اجتازها،

[1] –حمزة بن قيطون ، **المشروع الاستيطاني الفرنسي بإقليم عين الصفراء العسكري (1882–1914)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر، إشراف داده محمد، جامعة أحمد بن بله وهران، 2015–2016 ص29.

[2] – فايكس جاكو، مصدر سابق، ص 244.

[3] – نفسه، ص 259.

وسجلت الرسومات المنقوشة في كل من تيوت ومغرار التحتاني.كما وصف قصور الجنوب الوهراني والأطلس الكبير كما سماها، منها قصر عسلة، تيوت، قصر مغرار الفوقاني والتحتاني و سفيسيفة[1].

وكما تطرق في رحلته إلى الهقار، وصف سكان الطوارق الذين حسب قوله أنهم يحتلون الصحراء الجزائرية بعد فرارهم من الاحتلال في الشمال. وبالإضافة إلى وصفهم فيما يخص لباسهم وعاداتهم والأسلحة والسكن. وتعرض إلى أهم مدنهم وهى رات واهير وغدامس. وصف بيوتهم المبنية بالحجر الأحمر المستديرة تعلوها قباب من القش وبها أربعة أبواب متجهة نحو اتجاهات سماوية الأربعة. أما سكان جبال القهار فهم يسكنون تحت الخيام ويقدم كفينياك دليلا للسلطة الفرنسية على خطورة البدو والرحل حيث يقول " إن تمكنا أن نحكم قبضتنا على البدو والرحل، الذين قد يبدو من الوهلة لأولى قادرين على الإفلات من سيطرتنا إذا تفصل عنهم تلك الربوع الشاسعة .... والتي تصعب على جيوشنا عبورها وكما أنهم ينتقلون في الصحراء بسرعة تفوق سرعة تحركنا"[2]، وهكذا استطاع أن يجمع وان يسجل جنرال كافينياك معلومات حول سكان ومظاهر السطح واشكال الحكم ونشاط التجارة الصحراوية بين التل والصحراء الجزائرية.

3- المستكشف س ترومليي: (C.Trumelet) عالم وضابط فرنسي. ولد برميس في فرنسا سنة 1820[3]. دخل إلى مشوار العمل 1839 كعقيد في الجيش الفرنسي، ثم ذهب إلى الجزائر سنة1851، وشارك في العديد من الثورات. تقلد عدة مناصب في الجيش الفرنسي، حيث كان من مجرد ملازم إلى أن أصبح عقيدا. كما اعتبر من بين المؤرخين للمستعمرة. ثم

[1] – حمزة بن قيطون، مرجع سابق، ص 29.

[2] – فايكس جاكو، مصدر سابق، ص 273

[3] – رضوان شافو، **الجنوب الشرقي الجزائري** ....مرجع سابق ص 115.

أصبح عضوا في الجمعية التاريخية؛ كما كانت له أعمال منها: الفرنسيون في الصحراء وتاريخ التمرد وأولاد سيدي الشيخ 1864-1880[1].

إن هذا المستكشف قام ببعثة إلى الصحراء الجزائرية، والتي كانت ناتجة عن عدة أسباب جعلت هؤلاء يتوغلون ببعثات استكشافية إلى الصحراء. ومن بعض هذه الأسباب: هو جهل الفرنسيين لهذه المنطقة، وحصولهم فقط على بعض التقارير للضباط العسكريين أو أعمال الجنرال دوماس. كما أن الفرنسيين، حسبما ذكره ترومللي، كانوا منشغلين في بلاد القوقاز ولم تكن وجهتهم من قبل لهذه المنطقة. أما عن أهم سبب مجيئهم، هو تلك الشخصيات التي كانت تحكم في مناطقها، وخاصة ورقلة. حيث سارت هذه البعثة في ربوع الصحراء بعد مواجهة العديد من الصعوبات التي اعترضتم في طريقهم، لاسيما المناخ وبعد المسافة[2].

لقد مرت على ورقلة عدة أنظمة حكم قبل المجيء الفرنسي. فكان هناك نظام الملكية ثم الديمقراطية إلى الديكتاتورية. وفي 1847، انتخب سكان ورقلة سلطانا لهم بإيعاز من السيد حمزة قائد أولاد سيدي الشيخ، وكان هذا الانتخاب حقدا على حاكم نقوسة الذي أراد أن يسيطر على ورقلة بمجموعة من الحملات التخريبية وذلك بقطع النخيل وترك خيوله يفسدون المحاصيل الزراعية. لكن هذه الحملات لم تأت له بالنصر، لكنها كانت ذات ناتج إيجابي بالنسبة للفرنسيين، وذلك بالتدخل غير المباشر في شؤونهم[3]. وعندما اعتلى السيد حمزة مركز السلطان، أراد حاكم نقوسة الذهاب إلى التل للفرنسيين، ومنها إلى تيارت التي ينتمي إليها سياسيا. ولكن عند رجوعه، مات في الطريق سنة 1851. وعندما تم تنصيب ابنه أبي حفص في الحكم، وقع صراع بينه وبين أخيه الطيب بابية[4]. وأثناء هذا الصراع، وصل نبأ

---

[1] – Narcisse Faucon .op ,cit .p 606-610.

[2] – س ترومللي، **الفرنسيون في الصحراء يوميا حملة في حدود الصحراء الجزائرية**، تر: محمد المعراجي، غرناطة للنشر وتوزيع، الجزائر، 2013، ص 12-15.

[3] – Trumelet (colonel), **Les Français dans le Désert**, Daizieme Edition، paris ،1885p 80.

[4] – س ترومليلي، مصدر سابق، ص 57-58.

إلى الفرنسيين أن هناك سلطانا مجهولا أصبح حاكما على ورقلة. ولكن في البداية أدرك الفرنسيون أنه إشاعة، ولكن تم التأكد من هذا الأمر، فوجدوه صحيحا. وهذا السلطان هو محمد بن عبد الله الذي كان خليفة لهم في تلمسان، والذي ذهب بعد ذلك إلى مكة، والتقى بالسنوسي هناك، فنصحه بأن يقوم بفتح جبهة الصراع في الصحراء[1]. مما عجل بظهور بعثة ترومیلي إلى الصحراء. وعند ذلك ربطت فرنسا علاقاتها مع السيد حمزة لجلب الأخبار عن المنطقة، لكن هذا الأخير لم تكن السلطات الفرنسية تثق به. وأثناء هذه الفترة، تم سقوط الأغواط وتراجع محمد بن عبد الله. مما زاد من نجاح الفرنسيين في توغلهم. ومنها انطلقت البعثة من سعيدة رفقة القائد الأعلى لدائرة سعيدة والضباط العاملين في الشؤون العربية والمرشدين و ترومليي. وسارت البعثة عن طريق التل بعد ساعتين، وأمر المرشدون بالتوجه نحو الجنوب عن طريق جبلي صاعد ومخيف يؤدي إلى الهضاب العليا[2].

ثم دخلت مفرزة البعثة إلى بلاد الحساسنة وهي على الحدود الجنوبية لإقليم قبيلة يعقوب، ثم إلى دار مليحة أين نصبوا خيامهم هناك، ثم بعد ذلك ساروا من هناك بعد الإرشادات التي أخذوها عن طريق سكان الحساسنة، واتجهوا نحو الجنوب الشرقي وصولا إلى غدایر غوزران، بحيث لم يوجد بهذه البركة لا طرق ولا ممرات، والمرشدون هم الذين يعرفون الطريق. كما أن هؤلاء وقعوا محل شك لدى ترومليي الذي قال: وتسأل لماذا هؤلاء المرشدون يبعدونا عن الخط المستقيم أم لا يحبون أن نعرف الطريق أم يخشون أن نتخلى عنهم؟ لكن ترومليي أجاب نفسه فقال: إن هؤلاء لا يعرفون السقامة مثلنا، المتحضرين في أوربا[3].

بعد ذلك وصلوا إلى ضفاف الشط، ومنه إلى بركة بروتي، بحيث تمتعوا في هذه المنطقة بفضل تغير المناخ، ونسوا كل معاناة البرد في الهضاب العليا، ونصبوا خيامهم

[1] – س ترومليي، مصدر سابق، ص 69-70.

[2] – Trumelet (colonel), op ;cit p173.

[3] – Ibid, p174.

هناك. وبعد ذلك، توجهوا إلى الجنوب نحو إقليم الفضالة الذي لا يتغير عن سابقه. حيث تعيش فيه نباتات الحلفاء والشيح. وبعد المرور على هذه المنطقة، صارت هناك نباتات نادرة والأرض رملية، وصار الإقليم غير مستوي[1]. ثم سارت البعثة إلى قارة سيدي أحمد بن يحي وهي هضبة قليلة الارتفاع فوق الأرض، ثم إلى سهل رملي أم الفيران، ثم إلى سهل السلوقي. وقاموا بنصب الخيام هناك. وهناك تغيرت التجهيزات بأمر من القائد، وبها جرى حوار بين أحد المرشدين اسمه قدور وترومللي حيث أن هذا المرشد أخبره عن تلك المنطقة وأنها كانت مصرع حرب في القديم.

وبعد ذلك خرجوا من هناك نحو وادي الناصر، ثم وصلوا إلى العسكورة ثم اكتشفوا العليات وهما جبلان مخروطان في الصحراء. وبعد السير من هذه المنطقة، أمر المرشدون بالتوجه نحو الجنوب الغربي لسهل سيدي علي بن عيسى لجبل عمور[2] ، حيث ذكر ترومللي أنها كتلة جبلية وهي نوع من الالتواءات، تحدها مساحة منبسطة من الصحراء، وتحده قبائل الأحرار وأولاد خليف وأولاد نايل وأهل يعقوب والأغواط. وبهذا الإقليم تضاريس عديدة وهو ثري بالمياه. كما أقيم هناك مخيم. وبعدها توجهوا نحو وادي تاويالة وصولا إلى منطقة الخضرة، وهي أيضا منطقة من جبال عمور، يوجد بها عشرون دارا، وهي محاطة بجدار. وبعد نصف ساعة، وصلوا إلى وادي حمويدة وتوقفوا هناك، ثم ساروا إلى وادي الملح، ثم واصلوا طريقهم نحو الجنوب. وهنا عند هذه المنطقة، غادر قائد المكتب العربي بتيارت النقيب سيربز كما كان هؤلاء يتأسفون على مغادرته. ومنها اتمت المفرزة سيرها نحو الجنوب[3].

بحيث كلما تقدموا أصبحت الأرض تتغير وليس هناك بلطم والحلفاء وأصبحت اكثر رملا وابيضت القمم وصارت نحو المعاية وهي بوابة الصحراء. فهنا وصلوا إلى الواحات

[1] – س ترومللي، مصدر سابق، ص277–280

[2] – نفسه، ص 320.

[3] – نفسه، ص 321.

فوجدوا منطقة الصحراء. كما أنه عند وصولهم إلى هذه المنطقة لم يعجبهم المكان، لكنهم فرحوا بذلك. ثم نصبوا خيامهم هناك لكن سكان هذه المنطقة لم يرحبوا بهم وهم ينظرون إليهم نظرة اللامبالاة[1]، ثم غادروا المخيم وانطلقوا نحو الجنوب، بحيث بدأ توقف البرد غير أن كثرة الرياح الشمالية قد هبت بشدة ورفعت أمامهم زوابع رملية، وهذا ما أخر من توغلهم نحو الجنوب. واشتدت الكآبة لدى أعضاء المفرزة. وبعد ذلك قطعوا شريطا أخضر يفصل بين التل والرمال، ومنه وصلوا إلى المنيعة وهنا أمر المرشدون بالتخييم هناك. ثم انتقل والي متليلي[2]، حيث اخذ العقيد حرسا مكونا من اثني عشر من السبايس وعشرة فرسان إلى قاع اللوحة، وهي مجرى مائي عريض غني بالأعشاب ومنها إلى وادي سيدي مناع وأقاموا مخيماً هناك وسط الرتم. ثم وصلت رسالة إلى العقيد من السيد حمزة وهو في انتظارهم، وسارت المفرزة نحو مجرى الوادي الرملي لوادي متليلي بحيث تقيم هناك دار الضباط الذين رحبوا بهم ومن بينهم قائد مفرزة تهيرت والملازم دو كلومب.

ومنه أتمموا سيرهم حتى الضفة اليمنى للوادي، فلقي هناك خطا من المشاة والفرسان الفرنسيين، فقال ترومللي: بالأمس كنا نجهلها واليوم مزدحمة بنا، حيث كان هذان الجيشان تحت قيادة الرائد نيكو وقيادة الرائد دوبيري، حيث واصلت الحملة طريقها للوصول إلى مدينة متليلي. ووصف ترومللي أن هذه الواحة تتكون من العديد من غابات النخيل على طول أربعة كيلومترات تقريبا والمدينة تقع في فرجة كبيرة وسط الغابة. ويذكر أيضا بأن تاريخ المدينة يسوده الغموض. كما تتكون هذه المدينة من مائة وأربعة وأربعين منزلا، بما فيها المتواجدة في البساتين. يشق سورها ثلاثة أبواب ذات علو ثمانية أمتار في الشمال وأربعة في النواحي الثلاث الأخرى[3].

---

[1] – Trumelet (colonel), Op;cit, p330-322.

[2] – سليمان بن الصديق، مرجع سابق، ص 864.

[3] – نفسه، ص 865 .

إن بناءها يتشكل من الطين الميبس في الشمس، وجدرانها مهدمة ومنفتحة ومتساقطة. وفي الجهة السفلية للمدينة، كانت البيوت على أحسن حال وطرقاتها نظيفة ومستقيمة، وهذا يرجعه ترومللي إلى فضل الفرنسيين. أما فيما يخص أبواب المنازل، فهي قصيرة جدا. كما تفتح هذه الأبواب على فناء مربع، أعادت حوله المخازن والبيوت السكينة. فالديار ذات سطوح وبعضها يحتوي على طابق علوي. وسكانها يكونون متجمعين خارج المدينة. وقد ذهب أعضاء المفرزة لهم، يهددونهم على عدم الوقوف بجانب محمد بن عبد الله ثانية، وأن يقفوا بجانب السيد حمزة[1]. ومن هذه المنطقة سارت المفرزة نحو بني ميزاب. وذكر ترومللي أن هذه المنطقة تعتبر أهم كونفدرالية؛ وهي تتكون من بني يزقن، وغرداية، ومليكة وبونورة والعطف. دخلت الحملة إلى بني يزقن، ثم إلى غرداية. وكانت هذه المنطقة مبنية على شكل مدرج على جناح ربوة تتقدم في وادي، ومحصنة بجدار من حجر وطين، طوله ثلاثة أمتار وعرضه ما بين عشرين وخمسين سنتمترا. كما تنفتح هذه المدينة على سبعة أبواب. أما فيما يخص منازلها، فهي مبنية على شكل أطباق يعلوها سطح. ويوجد بها أروقة، وبناؤها يشبه بناء بني يزقن. كما أن هذه المنطقة رحبت بهم واستضافتهم، وكاد أن يقع صراع بينها وبين بني يزقن حول من سيستضيف القائد وفرقة البعثة[2].

ثم واصلت المفرزة طريقها فزار أعضاؤها بقية قرى وادي ميزاب، ومنها: مليكة، وبونورة التي هي أقل أهمية من بقية القرى. وهي مشيدة على مدرج، وتشبه مبانيها المدن الأخرى. وهي في أسوأ حال. جدرانها منقلبة من الناحية الشرقية. وهي تنتمي إلى بني يزقن. وعند هذه المنطقة أمر القائد بالمغادرة وهو في عجل بغية تنفيذ مهمة، وهو السير نحو ورقلة. وهذا ما أحزن ترومللي، الذي لم يكن يرغب في مغادرتها[3].

[1] – س ترومللي، مصدر سابق، ص420.

[2] – Trumelet (colonel), Op ;cit, p340.

[3] - Ibid, p 380.

ومنها سارت المفرزة نحو وادي ميزاب، مرورا على بونورة، ووصولا إلى العطف التي هي أيضا من المدن التابعة لبني ميزاب. كما أن هذه الأرض جرداء، ويوجد بها نحو ألفي ساكن. وقد رحب هؤلاء كثيرا بأعضاء البعثة. كما أنهم خدموهم في السير معهم في الطريق[1]. وقد أمر القائد في هذه المنطقة بتخفيف الحملة، رغبة في الوصول بسرعة إلى ورقلة. ونفدت كل مؤونة الحملة، وذلك بعد دوام ثلاثة أشهر. ولم يصلوا إلى ورقلة، ولكن عند قرار القائد بهذا الأمر، حزن حزنا شديدا بسبب اشتياقه الوصول إلى هناك. ولكن بعد ذلك اقتنع القائد. ثم انطلقت البعثة نحو وادي ميزاب لأنه أقرب طريق إلى ورقلة، ومنها المرور على وادي النمل ثم إلى وادي النساء، ومنه إلى وادي الحاسي. وفيه التقوا بشخص يدعى التومي، رافقهم إلى ورقلة. وتتواجد هذه المنطقة في منخفض مغمور بمياه المطر التي تأتي من وادي المعاية[2].

كما أنها لا تختلف عن بقية المناطق الصحراوية. وعند الدخول إلى ورقلة، استقبلهم السيد حمزة في قصره، ونصبوا خيامهم بجانب قصره. وبقوا في ورقلة ثلاثة أيام، ثم ساروا مع السيد حمزة إلى بقية المناطق التابعة لها؛ فزاروا نقوسة، وتمت استضافتهم من قبل سلطانها. وفي الأخير انتقلوا من ورقلة[3]، وساروا إلى الأغواط . وتم تنصيب السلطان حمزة قائدا عليها. وذكر ترومليي أن هذه المدينة قبل السيطرة، كانت عبارة عن مظهر عام للقصور، وكان بها سبعمائة دار تقريبا مبنية بالتراب المجفف في الشمس، مثلما هو الأمر في مدينة يزقن. كما أن هذه المنطقة مقسمة إلى حيين: حي للفرنسيين، وحي لبقية السكان[4].

---

[1] – Trumelet (colonel), Op ;cit, p 381.

[2] – س ترومليي، مصدر سابق، ص 467–480.

[3] – Trumelet (colonel), Op.cit.,P.420 .

[4] – Ibid p 440.

ثم بعد ذلك اتجهت الحملة نحو الشمال في طريقها إلى الجزائر، ومرت بتاجموت، ثم قصر سيدي بوزيد. ومن هذا القصر، اتجهت إلى الهضاب العليا، ثم إلى تهيرت، ومنها إلى العاصمة[1].

- فلاترتز Col-Flatters :

ولد الكولونيل فلاترز[2] في 16 سبتمبر 1832 بباريس. دخل إلى مدرسة سانت سير في الثامن من نوفمبر 1851، وتخرج منها برتبة ملازم في 01 أكتوبر 1853 في الفوج الثالث من الزواف[3]. ثم ترقى إلى رتبة نقيب سنة 1864، ثم قائد كتيبة سنة 1871. قضى معظم حياته في الشؤون العربية بالجزائر. وتقلد خلالها العديد من المناصب، وذلك راجع لقدرته وذكائه وخبرته. تعلم اللغة العربية للتمكن من تسيير مهامه[4]. ودعته الحكومة الفرنسية من أجل القيام بمهمة في الصحراء الجزائرية؛ وأن يكون عضوا في الجمعية للدراسات العليا لدراسة مشروع السكة الحديدية العابر للصحراء، وصولا إلى بقية إفريقيا. وقام فلاترز بهذه المهمة لكنه اغتيل في 16 فيفري 1881[5]. وترك هذا المستكشف العديد من المؤلفات عن الجزائر، وأكثر من 273 مذكرة على تاريخ وجغرافية المنطقة[6].

ومن الأسباب التي دفعت فلاترز لقيادة بعثة إلى الصحراء الجزائرية[7]، هو القيام بالمهمة التي كلفه بها وزير الأشغال العمومية دو فرسين (de Frecine)، وهو أن يترأس مهمة الاستطلاع لتسطير خط السكة الحديدية بين الجزائر والسودان. وجاء في رسالته: "أكلفك بقيادة استطلاع تحت حراسة الأنديجان للبحث في تسطير أولي لطريق السكة

---

[1] – س ترومللي، مصدر سابق، ص570.

[2] – انظر ملحق رقم 14، ص143.

[3] – Narcisse Faucon ،op ;cit p273.

[4] – رضوان شافو، **الجنوب الشرقي الجزائري إبان العهد الاستعماري**....، مرجع سابق، ص117.

[5] – مسعود الخوند، **الموسوعة التاريخية الجغرافية**، ج 11 ، سن الفيل، بيروت لبنان، د.س.ن، ص217.

[6] – Flatters,**les deux Missions du Colonel Flatters**, paris, 1884, P3.

[7] – انظر ملحق رقم 07، 136.

الحديدية الذي يصل إلى السودان بين النيجر وبحيرة تشاد؛ ولتقيم العلاقات مع رؤساء التوارق والحث عن مساندتهم. وأدعوك بأن تعلمني في أقرب الآجال قواعد تنظيم الرحلة، والكيفية التي تحتفظ بواسطتها على الطابع السلمي، وهو شرط المهمة "[1]

وغادر فلاترز يوم 07 جانفي[2] 1880 إلى الجزائر التي وصلها في يوم 09 جانفي، ثم إلى بسكرة، وهي نقطة انطلاق رحلته[3] ، ومنها إلى وادي ريغ، حيث كان الطريق الذي سلكه طريقا صحراويا وجافا وبدون ماء. وساعدهم القائد العام السابق للدائرة العليا ببسكرة الذي وفر لهم كل الشروط المناسبة للعيش، ولتسهيل عبور الطريق؛ ومنها انتقلوا إلى أم الطيور التي لم تختلف هي أيضا عن منطقة وادي ريغ. فهي كذلك تتميز بالأرض الجرداء والقاحلة[4]

وفي 08 فيفري، اتجهت البعثة إلى تقرت، ولكن قبل ذلك قام العقيد فلاترز برحلة إلى أحد المراكز المهمة هناك من أجل شراء الجمال التي تقاوم السفر في الصحراء. ثم نزلوا في تقرت في يوم 14 فيفري، ثم إلى واحة تماسين التي كانت مليئة بالنخيل، ومرتبطة مع تقرت. وكانت هذه المنطقة تتميز بجمالها وبنائها المزخرف[5]. ثم انتقل في 19 فيفري من منطقة تماسين للسير نحو ورقلة. وكان هذا الطريق كالعادة صعبا، فلم تكن هناك مياه صالحة للشرب، إضافة إلى عرقلة سير الجمال في الرمال، ومنها وصلت البعثة إلى واحة تابلبالت ومنها إلى ورقلة، ثم انتقلت إلى حجيرة التي تميزت بالعديد من الغابات. ومن هذه المنطقة غادرت البعثة ورقلة نحو الجنوب وصولا إلى الرويسات على بعد 6 كيلومترات من ورقلة وبها تم تنسيق وتنظيم قوافل الجمال وتحميل الأمتعة. وشاركهم في ذلك آغا ورقلة. ثم

[1] – حسن مرموري، مرجع سابق، ص 13.

[2] – علوي مصطفى، " **فصل الصحراء الجزائرية في الاستراتيجية الفرنسية** ". مجلة الدراسات، ع1، جامعة بشار الجزائر، 2012، ص 53.

[3] – انظر: الملحق رقم 07، ص136.

[4] – Flatters, Op.cit PP. 06-08.

[5] - Ibid, P. 20.

غادرت البعثة نحو عين طيبة التي وصلتها يوم 19 مارس، ليبدأ الجزء الأكبر صعوبة والذي يؤدي إلى البيض[1]. وفي27 مارس، تركوا البيض وساروا عبر الكثبان الرملية التي تمتد إلى الجنوب. وتميزت هذه المنطقة بالمنحدرات وهضبة سوداء عارية، والعديد من الشقوق التي عطلت تنقل القافلة[2]. ثم سارت البعثة على وفق مسار إسماعيل بوضربة للوصول إلى عين الحجاج، وتكات، وواد سامن، وإغرغارن، وتباتي إلى أن تصل إلى بحيرة منغور يوم 17 أفريل. واندهش أعضاؤها من أبعاد هذه المنطقة ونباتها. وهنا نصبوا خيامهم في انتظار رؤساء توارق أزجر، ولكنهم لم يأتوا إلى هناك. وأخذت المؤونة تنفد، فاتخذ فلاترز قرار الانطلاق نحو الشرق، لكن هناك اعترضتهم قبيلة أمنغساتن وأوقفتهم لعدم حصولهم على ترخيص من الزعماء، حيث لم يتركوهم يواصلون طريقهم. وهنا أصبحت البعثة في ورطة، وهي طبيعة الرمال. وبالإمكان أن تقوم قبيلة أمنغساتن بالقضاء عليهم، لكن فلاترز سيجمع مساعديه ويعرض عليهم الوضعية، وأن يغادر هذه المنطقة في أقرب وقت، والعودة بسرعة إلى الأغواط عن طريق ورقلة للتزود بالمؤونة، وإعادة تنظيم الرحلة. وفي يوم 20 أفريل، غادروا المكان. وتمكنت القافلة من الهروب ليلا. وفي الصباح لم يجد التوارق لهم أثرا حتى تلاشت القافلة في وادي تجوجلت، ودخلوا ورقلة يوم 15 ماي.

وانطلقت البعثة من ورقلة في اتجاه الأغواط، وكانت تضم عشرة أعضاء وهم: فلاترز، وموسون نقيب قائد أركان الحرب، وبرانجة مهندس الجسور والطرقات، وروش مهندس المناجم، وبرنار النقيب في سلاح المدفعية، وغيارد الطبيب، ولوشاتولييه، وبروسلار مسيري الجسور. ومنه نلاحظ أن كل هذه البعثة تحتوي على فرقة علمية[3].

ومنها انطلقت البعثة يوم21 ماي 1880 متجهة نحو منطقة بني ميزاب سالكة دروبا جديدة، ومنها قدم فلاترز عدة معلومات قيمة عن هذه المنطقة، فوصف رملها وصخورها

---

[1] -Flatters, Op .cit p28.

[2] - Ibid,p,70.

[3] – حسن مرموري، مرجع سابق، ص 115– 116.

وأشجارها والغزلان والحدائق. ثم غادرت البعثة منطقة العطف، واتخذت مجرى وادي ميزاب إلى أن وصلت إلى بني يزقن، والتي قامت باستضافتهم هناك. وبعد التجول في ربوع منطقة غرداية، غادرتها يوم 28 ماي متجهة إلى منطقة بريان التي قضت بها يومي 29 و30، ثم واصلت طريقها إلى الأغواط في 03 جانفي، وكان القائد بولا مرحبا بهم[1]. ومنها ذهب فلاترز إلى باريس لتقديم بعض المعلومات عن المهمة رغم فشلها عن الأمر المرغوب فيه، حيث لم تتمكن من الوصول إلى غايته، إضافة إلى عدم ربط علاقات مع السكان. لكن رغم ذلك حققت بعض النجاحات، ومنها رسم خريطة لمسار الرحلة، واقتراح طريق السكة الحديدية على طول 610 كم من ورقلة إلى إغرغان، وهي أراض سهلة حسبما اعتبره روش حيث لا يوجد بها انكسارات أرضية. كما أنها مهيئة لتخطيط مسار جيد للسكة الحديدية. ولاحظ هناك طبقات جوفية في كل مكان وفي مختلف الأعماق، وذلك حسبما اعتقده سابقوه أن لا يوجد ماء في الصحراء.

لقد أعجبت اللجنة بتقرير المهمة الأولى، لذا قدم له مهمة ثانية إلى أقصى الجنوب الجزائري واكتشاف بلاد التوارق، ودراسة الخط الحديدي عبر الفيافي. وأظهرت هذه البعثة مظهرا آخر، وهو مظهر الاستكشاف العلمي والسلمي.

وتضم هذه البعثة أحد عشر فرنسيا وسبعة وأربعين جنديا من الأهالي واثنين وثلاثين سائق بعير وثمانية من رجال الشعانبة للاستدلال عن المسالك وأربعة توارق[2].

التقو هؤلاء بالأغواط الذي غادره يوم 18 نوفمبر 1880 ليصل إلى ورقلة على القورارة، ويغادرها مرورا بالحاسي و انيقل ليصل إلى وادي انسوكي في يوم 25 نوفمبر. وبهذا المكان تلقوا خبرا بأن أمنوكال الهقار متواجد في عين صالح، حيث بعث له فلاترز رسالة من أجل السماح له بالمرور إلى الهقار، لكن هذا الحاكم رفض ذلك، ومنعه من تقدم

[1] – إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية**، مرجع سابق، ص 423.

[2] – _____، **الصحراء الجزائرية في ظلال وادي سوف (دراسة تاريخية)**، دار هومة، الجزائر، 2014م، ص 65.

نحوها[1]. لكن فلاترز تجاهل الأمر وأتم طريقه إلى سهل المسقم، ثم إلى عين الحجاج، ووادي أمقيد، وصولا إلى منطقة تخسيس في 23 فيفري 1881 بالقرب من بئر الغرامة، فنصبوا خيامهم هناك. ومنها غادر فلاترز والنقيب ماسو المعسكر إلى اتجاه بئر الغرامة ، وعند وصولهما إلى هذا البئر، وجدوا هناك فرقة من التوارق. وجهز فلاترز وزميله مسدسيهما، وعلى إثرها دارت مقاومة عنيفة قتل فلاترز على إثرها[2].

ومنها اضطربت المهمة بعد فقدان قائدها، وغادرت المكان ورجعت من حيث أتت. وهنا اشتدت قلة مؤونة البعثة، ومنها اشتروا تمرا من بعض الخيام والذين ادعوا أن هذا التمر أصابهم بالجنون. وهم في طريقهم، لاحقهم كيل الهقار المياه بأمقيد لتبدأ معركة أخرى مات فيها الملازم دونوس والقائد الجديد مع 13 رجلا، وأسر عدد كبير منهم، وفر حوالي 34[3].

استمر الأعضاء الباقون من المهمة في طريقهم وقد نالهم العطش والجوع، وأصبحوا يتخاصمون فيما بينهم. وفي 28 مارس وصل أربعة مشاة إلى ورقلة يخبرون الخليفة بوضعية تواجد الباقين والجرحى والذين تم مساعدتهم بإرسالهم كتيبة وصلت يوم18 فيفري 1881.

وعن أسباب عدم نجاح فلاترز في هذه المهمة، قال: Gautier أن من عدم نجاحه أولا: عدم الاستفادة من المهمة الأولى التي نال منها بأعجوبة، إضافة إلى عدم وصول الأسلحة والعتاد التي طلبهما، وكذلك التوغل في الهقار مع عدم حصوله على رخصة من حاكمها.

لكن عن حادثة اغتياله، أثارت جدلا في الأوساط الفرنسية، حيث في1895 نشر جرادي كتابا بعنوان (الناجحون في مهمة فلاترز) أن هذا الأخير لم يمت بال يعيش هناك في واحة تاقيس مع ابنته بالتبني. أما في عام 1993 نشر قاست ملفا سريا ينفي فيه حاكم

[1] – حسن مرموري، مرجع سابق، ص117–118.

[2] – Flatters, Op; cit, p214.

[3] – Ibid, p 256.

الهقار مسؤوليتهم بالاغتيال، وذلك في لقائه مع الجنرال روك حاكم مناطق الصحراء سنة1890[1].

وبهذه المهمة أصابت صدمة عنيفة للعمليات الاستكشافية وتعطيلها سنوات عديدة.[2]

[1] – حسن مرموري، مرجع سابق، ص 118.

[2] – زندري عبد النبي، **بوادر استيطان بدو الطوارق في الوسط الحضري**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص علم الاجتماع الثقافي، إشراف عبد الغني المغربي، الجزائر، 2006–2005، ص37.

الفصل الثالث

الصحراء الجزائرية من منظور المستكشفين الفرنسيين ونتائج البعثات الاستكشافية

أولا: الصحراء الجزائرية من منظور المستكشفين الفرنسين

- الحياة الاجتماعية
- الحياة الاقتصادية
- الحياة الثقافية

ثانيا: نتائج البعثات الاستكشافية

- دراسات المستكشفين حول الصحراء
- مشروع السكة الحديدية
- مشروع البحر الداخلي
- ردود فعل السكان

أولا: نظرة المستكشفين الفرنسيين للصحراء الجزائرية

لقد اهتم المستكشفون الفرنسيون منذ دخولهم إلى الصحراء الجزائرية بالتدقيق في جميع ملاحظاتهم حول هذه المناطق، وجمع العديد من المعلومات عن سكانها والتي دونوها في مذكراتهم الشخصية، حيث درسوا كل جوانب حياة السكان، ومن بينها الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

- الحياة الاجتماعية:

-التركيبة السكانية: اهتم الفرنسيون كثيرا بهذا الجانب، وذلك لتخطي الكثير من المشاكل والتي صرح بها بليسييه[1] في قوله: [قررنا التواجد وسط العرب كحكام ومستعمرين، مثلما فعلنا في بلاد الغال والذي أنتج أمة متماسكة. لذا يجب علينا السيطرة على هؤلاء: معرفتهم وفهم سكانهم، وذلك بالتقرب منهم، وجعل قيادتهم من ذويهم حتى لا يتمردوا علينا][2].

ومن خلال ذلك، تمكن الفرنسيون من دراسة التركيبة السكانية للمناطق الصحراوية. وذكر كفينياك أن سكان هذه المناطق ينقسمون إلى اثنين: منهم العرب والبربر. كما أن هذين الشعبين مختلفان عن بعضهما البعض، وذلك من خلال الأصول والنمط المعيشي. إضافة إلى أن البربر هم سكان أهالي القصور، والأعراب هم السكان الذين يقطنون بالخيام[3]. كما أوضح أن السكان الأصليين هم البربر. فهذه الفئة هي من نتاج شعبين مختلفين بدائيين، سكنوا شمال إفريقيا منذ أزمنة غابرة، وهم الليبيون في الشرق، والجيتوليون في الغرب. ثم اختلط فيما بعد في العهد الروماني. كما أن البربري بقي محافظا على

[1] – لقد كان ضابطا في قيادة الأركان للجيش وعضوا في اللجنة العلمية الفرنسية. كما تولى قنصلية بلاده في كل من تونس وطرابلس وقد عاش في الجزائر 12 سنة، من عام 1830 إلى 1842. وشارك في حملة على الجزائر. انظر: كمال بلحمر، **صورة المجتمع الجزائري La Revue Africaine 1856-1962**، أطروحة دكتورا في علم اجتماع التنمية إشراف ميلود سفاري، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010، ص 549.

[2] – E-Pelissier;**quelques mots sur La colonisation militaire en Algérie**, paris,1847.P. 441.

[3] – فايكس جاكو، مصدر سابق، ص267.

خاصيات متميزة، من خلال أعماله. وأنه لا يعمل في مجال الرعاة، بل كان من الفلاحين المستقرين، إضافة إلى جانب اللغة، حيث أن البربري يتكلم لغة مختلفة عن اللغة العربية[1].

كما أن البربري والعربي يختلفان في المظاهر الخارجية والفعلية. وكانت نظرتهما إلى المستعمر تختلف. فالعربي عند قدوم الفرنسيين، يرحل ويستسلم؛ أما البربري فكان عكس ذلك يتصدى بردود أفعال عنيفة. والعنصر المشترك هو عنصر الدين فقط. وهذا الانقسام هناك من أراد استغلاله، ومن بينهم المستكشف بول بورد الذي قال: من المفروض على السلطات الفرنسية الاستعمارية استغلال هذا الوضع وإشعال فتيل النزاع بينهما[2].

هذا فيما يخص العناصر السكانية ككل، لكن سنوضح ذلك من خلال سكان كل منطقة من المناطق الصحراوية على حدى:

-سكان منطقة ورقلة: لقد كان بورقلة أجناس مختلفة، وهذا حسب ما ذكره المستكشف دوماس الذي وصف سكانها بأنهم مجتمع مختلط يتشكل من أفراد سود وبيض، وذلك راجع إلى اختلاط الأجناس بها[3]. كما أن هناك بعض الدراسات تؤكد على وجود أربعة أصناف يتشكل منها هذا المجتمع خلال القرن 19م وهي: البربر والعرب واليهود والزنوج. حيث أن البربر والعرب كانوا أكثر عددا من اليهود والزنوج الذين تزايدوا خلال هذا القرن فقط، وذلك راجع إلى قيامهم بالأعمال المختلفة، حيث نجد اليهود يحترفون الصياغة حسبما ذكره دوماس في كتابه الصحراء الجزائرية بأن فئة اليهود هي فئة كانت تعمل في الصياغة، وذلك من خلال إقامة مجموعة من ورشات النحاس. أما الزنوج فقد بلغ عدد عائلاتهم 1250 عائلة سنة 1877 حسبما أكده دوني بيلي.[4]

- سكان منطقة توات: حيث يصفهم دوماس بأنهم سكان هذه المنطقة، ومنقسمون إلى صنفين كبيرين ومن أصل مختلف:

---

[1] - فايكس جاكو، المصدر السابق، ص 268.

[2] - Baule Baurde ،op,cit ،p159.

[3] - دوماس، مصدر سابق، ص 105.

[4] - رضوان شافو، **الجنوب الشرقي الجزائري** ...، مرجع سابق، ص 48-49.

– أهل توات هم الذين يسكنون المدن والقصور، وهم سكان ذوو بشرة سمراء اللون وسود، لا يشبهون الزنوج. وتكون صفات أنفهم أقني، وشفاههم رقيقة، وأرجلهم مقوسة. يدعون زناتة، ويتكلمون اللهجة الزناتية. وهؤلاء ينتشرون قليلا في منطقة مهارزة. أما الصنف الثاني فهم قبائل من أصل عربي؛ أصحابها يتميزون بالبشرة البيضاء. كما كان اختلاطهم مع الزنوج قليلا جدا. ويسمون أنفسهم النبلاء. ويعتبرون أنفسهم مميزين عن السكان السود[1].

– سكان منطقة تقرت ووادي ريغ: إن هؤلاء يتشكلون من الرواغة[2] والمستاوة[3] والمجاهرية[4] حسبما ذكره هنري دي فايرييه. وأن كل فئة لديها حي خاص بها. فالرواغة يسكنون في حي تليس في شرق المنطقة، أي في الحدود الشمالية لبلاد الزنوج، وذلك لتأكيد إحدى العجائز التي جرى حوار بينها وبين دي فايرييه، فقالت له: نحن نسكن في فم باب الوصفان. أما المجاهرية فيسكنون في غرب المدينة، واسم حيهم يحمل اسمهم. أما المستاوة فهم يسكنون في شمال المدينة[5].

أما العرب في وادي ريغ فهم قبائل السالمية وقبائل لرحمان وقبائل أولاد مولات[6] كما كما

[1] – دوماس، مصدر سابق، ص 362.

[2] – الرواغة: هم سكان ينحدرون من إقليم زناتة البربرية. وأغلب سكان وادي ريغ الذين عمروا هذا الإقليم يعود أصلهم إلى تالة وسفاوة، انظر عبد الحميد قادري، **التركيبة البشرية لسكان وادي ريغ أيام بني جلاب الملتقى الوطني الثالث**، متحف المجاهد تقرت 23–24 أفريل 1998، حي صحن الاول الوادي، ص20.

[3] – خيرة خليف، مارية شاكو، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في اقليم وادي ريغ خلال القرن 19م**، مذكرة لنيل شهادة ليسانس، إشراف بلحاج ناصر، جامعة الوادي ، 2011–2010، ص30.

[4] – المجاهرية: هم سكان تقرت ينطبق عليهم ما ينطبق على الحشاشنة. وقد عدهم الكثير بأنهم قبيلة متميزة، ومنهم من توهم أن نسبهم إلى الأصل اليهودي، ومن بينهم شارل فيرو، وفي رحلة محي الدين الأغواطي. ولكن رغم ذلك، فإن أسماء هذه العائلات ترجع إلى الأصل العربي مثل الكافي والطرابلسي والوزاني، عبد الحميد قادري، مرجع سابق ص 24.

[5] – هنري دي فايرييه، مصدر سابق ص 143.

[6] – أولاد مولات: تتشكل هذه القبيلة من ثلاثة أعراش وهم: أولاد دباب، وأولاد حمد، والواتة. انظر: محمد الطاهر بن دومه، دومه، مخطوط **أخبار وأيام وادي ريغ. تح بن عون محمد الحاكم** www;ahmadalhasso: com 23.04.2017

ذكر شارل فيرو[1]، وأن هناك قبائل أولاد السايح وأولاد سعيد وأولاد عامر، وهي قبائل تتجمع بمنطقة تماسين[2].

– سكان منطقة واد سوف: حيث يذكر دي فايرييه أن أول من جاء لهذه المنطقة هم من العرب وهم أولاد أحمد، وينحدرون من قبيلة قريش. حيث غادروا بلاد الشام في زمن سيدنا عثمان بن عفان. أما طرود فهم الذين غادروا القاهرة بعد أن تمردوا عن حاكمهم، ووصلوا إلى تونس، لكن سلطان تونس طردهم، وبهذا اتخذوا اسم الطرود.[3] أما العبايدية فهم أيضا من أوائل سكان المنطقة. ويتكونون من قبائل رئيسية مثل: الربايع والطرود حسبما ذكره لاجو. كما أن طرودا ينتمون إلى قبائل بني سليم بن منصور من الجزيرة العربية[4]. أما أدوار أدوار كات فتحدث عن مجتمع وادي سوف فذكر أن هناك اثنتين أو ثلاث فصائل لهذا المجتمع وهم العدوانيون: ويعتبرون من أقدم سكان هذه المنطقة، إضافة إلى الطرود الذين أتوا من تونس في القرن الرابع عشر، وكذلك الشعانبة الذين أتوا من ورقلة قبل مائة سنة. ويمثل هؤلاء مجموعة أقل عددا من الطرود والعدوانيين. حيث تمركزوا في منطقة عميش[5]، وامتهنوا حرفة قطاع الطرق. أما المجموعات الأخرى ومنهم أولاد سعود، وهم يختلفون عن بقية سكان هذه المنطقة في طبيعة أعمالهم. حيث أن أولاد سعود هم حضاريون يسكنون واحات النخيل طيلة أيام السنة بخلاف الطرود فهم بدو يرتحلون كل تسعة أشهر، ويملكون قطعان الماشية. وبعد الدخول الفرنسي، انقسموا إلى قسمين. البعض انحاز إلى حزب

[1] – شارل فيرو، هو لورنت حفيد العسكري الفرنسي من مواليد مدينة نيس في 05 فبراير 1829 وأنجز معظم أعماله العلمية والتاريخية والأثرية، ثم شارك ضمن سلك المترجمين العسكريين للجيش الإفريقي. انظر: محمد الأمين بلغيث، **الشيخ بن عمر محمد العدواني والطريقة الشابية**، ط2، دار كتاب الغد للتوزيع والنشر، الجزائر، 2007، ص 21–20.

[2] – CHarles Feraud ;**les Ben-djelleb Sultans de Tougourt** R.. A.F ،.N° 23 Année 1879 Alger, P.353.

[3] – هنري دي فايرييه، مصدر سابق، ص 23.

[4] – عبد القادر ميهي، **الصحراء الجزائرية**، مرجع سابق 63.

[5] – E-Cat,op cit p 180.

بوعكاز، والبعض الآخر إلى محمد بن قانة، وهم المصاعبة والأعشاش. وجعلت فرنسا قائدا من بين هذه الفئات لخدمة مصالح فرنسا تحت القيادة في بسكرة[1].

– سكان بسكرة: كان مجتمع بسكرة أو الزاب يتشكل من مجموعة من السكان، بمختلف حياتهم. فهناك من كان من البدو الرحل، وهناك من كان من السكان الحضريين المستقرين، وكانت هذه التجمعات في كل من الزاب الشمالي و الزاب الجنوبي و الزاب الغربي. كما كان سكان هذه القرى حسب ما ذكره دوماس حضريين، ولا يرجع أصولهم إلى الجنس العربي من خلال أخلاقهم في عاداتهم السياسية والدينية والفلاحية[2].

كما تعيش بعض القبائل بالقرب من الزيبان، ومن بينهم أهل بني علي الذين كانوا يدينون بدين المسيحية. وكانوا يعيشون في طبنة على المنحدر الجنوبي لجبل أولاد سلطان. كما كانت هذه القبيلة إلى جانب الفرنسيين أيام احتلال بسكرة. ويعتبرهم العرب خونة [أصبحوا ينادونهم كلب الكلاب والخونة أبناء الخونة][3].

أما قبيلة الشرفة فكان أجدادهم يعيشون في فاس. وهناك بقية من سكانهم استقروا في مدينة تافيلالت. وقبيلة قراميرا من أوائل المهاجرين إلى إفريقيا، وكانوا يسكنون على ضفاف الساقية الحمراء وعميرة؛ ثم عند انتقالهم، سكنوا بلدة أولاد نايل تحت خيامهم[4].

لكن بعد الدخول الفرنسي إلى بسكرة، تزايد سكان هذه المنطقة، وصاروا أكثر اختلاطا. واستقرت بالمنطقة بعض أجناس أوربيين من غير الفرنسيين. وبدأ التدفق البشري تدريجيا على بسكرة كالسياح والمستعمرين الذين فروا من الحضارة الأوربية للتمتع بالعيش في هذه المنطقة التي تتميز بمناخ دافئ في فصل الشتاء[5]. وهكذا أضحت بسكرة منتجعا شعبيا، نجد نجد بها الأنجليز والسويديين والهولنديين. وسكنت هذه الفئات في المدينة الجديدة. أما بقية

---

[1] -- E-Cat,op cit P.181.

[2] – دوماس، مصدر سابق، 145–156.

[3] – Dumas: **Sahara Algérien**, op ,cit p104.

[4] – دوماس، مصدر سابق، ص 170.

[5] – Jean Hurabielle ,op ,cit ،p6.

السكان الآخرين فسكنوا بضواحي المدينة، ومنهم الميزابيون الذين كانوا منتشرين في باقي المناطق الصحراوية الأخرى، كوادي ريغ وبعض المدن التونسية. وترجع أصولهم إلى البربر بسبب تشابه ملامحهم الفيزيولوجية. كما كان هؤلاء يعملون في شتى الأعمال، وكان عددهم سنة 1882 حوالي 30.200 نسمة. لكن هذا العدد كان أقل في منطقة بسكرة عن غرداية[1].

أما البربر فهم يعدون من السكان الأصليين لمنطقة بسكرة، ويعيشون في الدواوير المحيطة ببسكرة تحت خيامهم. وهم شعوب قديمة سكنت المغرب، وكانوا يمتهنون حرفة الزارعة والصيد والفلاحة[2].

أما اليهود فكانوا بنسبة قليلة في واحة بسكرة، عكس المناطق الشمالية التي تضج بهم، ووصل عددهم في الجزائر حوالي 50.000 يهودي. وكان هذا النزوح راجعا إلى امتيازات منحتها لهم فرنسا عند دخولهم إلى الجزائر[3]. وكان هذا التشعب والتنوع في المنطقة قد أحدث صراعات داخلية حسب لاجو، ولا ينتهي إلا بتدخل الشرطة[4].

– أما منطقة الأغواط: فكان سكانها ينقسمون إلى ثلاثة عناصر حسبما ذكر بول سولييه[5]. ويتألفون من العسكريين ومن المدنيين والأهالي. وسيطر عنصر العسكر على الإدارة والعدالة وكل أعمال الحكومة؛ أما المدنيون فهم يشتغلون بالتجارة، وخاصة الحاجات الاستهلاكية. أما الأهالي فهم من سكان إفريقية الغربية. وهم من أقدم العائلات في الأغواط، ويتشكلون من العرب واليهود وبني ميزاب[6].

---

[1] – Jean Hurabielle, op,cit, p 16.

[2] – Ibid,p165-175.

[3] - Ibid;p180.

[4] -Victor Largau, op, cit, 05.

[5] – بول سولييه: من مواليد 1842 بفرنسا. اهتم بالاستكشاف والترحال من صغره، وزار الجزائر سنة 1866م. ثم انضم إلى صفوف الجيش الفرنسي صنف المشاة. اغتيل سنة 1888 بالصحراء الجزائرية. انظر: Nacisse Faucau, P580.

[6] – Paul Soleillet: l'Afrique occidentale ,Algérie, Mzab ,Tidikelt ,avingnon imp de f;seguin aine,brue,bouquerie p99.

- النظام الاجتماعي:

هي الطريقة التي تحدد العلاقات بين الناس الذين يعيشون في مجتمع معين بغض النظر عن اجتماعهم أو تفرقهم. حيث كانت علاقاتهم مختلفة ومتعددة، وتضم شتى المجالات[1]. وأن النظام الذي ساد الصحراء الجزائرية في وقت سابق، باستثناء المدن الكبرى التي كانت تحت النفوذ الفرنسي، هو نظام الجماعات والقبائل العربية والبربرية. كما أن هذا النظام قد أزعج الحكم الفرنسي بسبب تماسك المجتمع والتفافه حول شيخ يحكمه. لذا نجد الكثير من الرحالة المستكشفين طالما تحدثوا عنه في مدوناتهم[2].

-مقاطعة تقرت:

تخضع هذه المنطقة إلى حاكم يحمل لقب الشيخ، ويلقبه العرب بلقب السلطان حسب دوماس. فهو يحكم بمعية جماعة أو مجلس يترأسه الخليفة. كما كان هذا النظام وراثيا، والعائلة الحاكمة آنذاك هي عائلة أولاد بني جلاب. كما تحتوي هذه العائلة على مجموعة كبيرة من الشيوخ [3]. ولكن في سنة 1845، حكم تقرت خليفة وهو طفل، فنتج عن ذلك صراع بين أقاربه وأمه لالة عيشوش، التي اتصلت بالفرنسيين الذين استغلوا الوضع[4].

- مقاطعة وادي سوف:

كانت قرى منطقة سوف تحكم كل واحدة منها جماعة تدرس مصالحها العامة. وفيما يخص العدالة، فيتكفل بها القاضي دائما. كما أن هذه الجمهورية الصغيرة حسب وصف دوماس، لم تكن مستقلة، بل هي تتبع تقرت وتماسين. كما تتبعها كل من: كوينين وتغزوت والزقم. ويرجع هذا الانقسام لحكم بني جلاب في تقرت.[5]

---

[1] - تقي الدين النبهاني، **النظام الاجتماعي في الإسلام**، ط4، دار الأمة، لبنان، 2004، ص 7.

[2] - حسن دواس، مرجع سابق، ص43

[3] - نفسه، ص160.

[4] - CHarles Féraud: OP.CIT., P. 343.

[5] - Daumas, **SaHara Algeria,** op, cit, p190.

- مقاطعة ورقلة:

إن نظام الجماعة في ورقلة يتمثل في السلطة التنفيذية، عكس ما هو سائد في باقية الصحراء. وتتكون هذه الجماعة من اثني عشر عضوا. وكل حي يمثله 4أشخاص. وبالإمكان تعيين القائد أو عزله من منصبه. كما أن العدالة يمثلها قائد الحي الذي كان يسمى آنذاك سي محمد وليد سيدي عطا الله. ومثلا على بعض القوانين في ورقلة، بحيث كان الحكم على السارق صارم وذلك بوضعه على عمود في ساحة عمومية ويدفع الضرائب ،أما فيما يخص معاقبة الزنا ليست بشدة وذلك لان الأخلاق مسترخاة حيث أن المراءة اذا خانت زوجها ترفض من طرف زوجها فقط[1].

- مقاطعة بسكرة:

كانت تحكمهم عائلة بن قانة بعد الدخول الفرنسي. واعتبرتها الكاتبة رجيس[2] من أصدقاء فرنسا نظير ما قدمته من خدمات جليلة للحكام الفرنسيين.[3]

- مقاطعة غرداية:

تسير غرداية هيئة وطنية مكونة من اثني عشر عضوا، يرأسها قائد سام ليس له حرية اتخاذ القرار من تلقاء نفسه دون أن يستشير المسؤول عن الناحية الدينية المسمى الشيخ بابا، الذي كانت كلمته تنافس قوة القانون. ليس هذا فقط على منطقة غرداية، بل على كل المناطق التابعة لها. وهذه الهيئة تعتبر بمثابة الحكومة الدينية[4].

- مكانة المرأة في الأسرة والمجتمع:

تشكل العائلة نواة مؤسسة يتمحور حولها المجتمع. وتتصل اتصالا عضويا بالمؤسسات الأخرى، وتقوم بوظائف أساسية تشمل: الإنجاب والتنشئة والإعالة المادية والنفسية والتوسط

[1] – دوماس، مصدر سابق، ص 99.

[2] – رجيس: كاتبة فرنسية من مدينة مرسيليا، تنتمي أسرتها إلى عائلة أرستقراطية، قامت برحلة إلى بسكرة وتنكرت في زي رجل ينظر، هيبة كنيوة، مرجع سابق، ص 31.

[3] - Louis Regis, **Constantine, voyages et sejours**, éditeur Calmann Levy, Paris,1880, P.214.

[4] – دوماس، مصدر سابق، ص 82.

بين الأفراد والمجتمع لفك النزاعات، وتنظيم العلاقات. كما أن حقوق المرأة مكفولة في الدين الإسلامي غير أن حقوقها في المنطقة العربية عامة، والمنطقة الصحراوية بصفة خاصة تحتل مرتبة دونية، وذلك راجع لعدة أسباب اقتصادية واجتماعية[1]. أما فيما يخص نظرة المستكشفين الفرنسيين لها، فتعد نظرة حالكة السواد، وقد ذكر ذلك بنجامين غاستيون قائلا: [في الجزائر هناك الصحراء، الواحة، البحر، الجبال، سماؤها صافية وأرضها خصبة، الذهب، الفضة.و كل هذه الثروات والجمال ،ولكن ليس لها امرأة]. [كما يذكر ايضا أن حقوق هؤلاء النسوة مهضومة؛ وحتى إذا ذهبت إلى القاضي، تصير المرأة مستسلمة لقسوة الرجل. فهي تعمل في العشيرة كطباخة أو خبازة، كما أنهن يعرفن القليل عن العلاقة الزوجية، ويعتقدن أن الأعمال المنزلية بها تكون وافية للرجل][2].

وتقريبا نفس الرأي ذهب إليه فرومتنان، حيث أكد على الوضعية التي تعيشها المرأة العربية عموما والصحراوية خصوصا، فهي: العاملة، الأم، الحاضنة، الحرفية. كما اعتبرها بهيمة المنزل[3].

أما الأب جون هربيال فذكر أن نساء المجتمع الصحراوي يقمن بأعمال منزلية مختلفة، فمنهم من ينسجن الصوف، والبعض الآخر يجففن الحناء، وأخريات يفتلن الكسكس. أما الرجال فلا يبذلون أي مجهود. فهم يجلسون أمام دكاكينهم الموزعة على الأزقة الضيقة، أو يقومون بجني المحاصيل في أوقاتها، وبقية الوقت فهم مستلقون على الرمال[4].

---

[1] – حلمي بركات، **المجتمع العربي المعاصر بحث استطلاعي اجتماعي**، ط5، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1996، ص 220.

[2] – Gastineau Benjamin, **Les femmes et les mœurs de l'Algérie**,Paris,1861, p 5.

[3] – Fromentin Eugenne ,op,cit, P.47.

[4] – عبد القادر بومعزة، مرجع سابق، 71.

أما نظرة ترومللي اتجاه المرأة: فهي أن الرجل العربي لا يبحث عنها لإضافاتها القلبية ولا الذهنية، ولا حتى في الجمال، ولا في صفاء الأشكال. فجمال المرأة يكتمل عندما تكون سمينة، والتي لا تكون سمينة، لا تختار الثري أو القوي[1].

أما المرأة التارقية فهي ليست كالمرأة العربية، فهي موازية للرجل، وكثيرا ما تكون متعلمة، ولها حق اختيار الزوج. ونظرا لقيمتها التي تتمتع بها داخل المجتمع، توكل مهمة تربية الأبناء لها، كما أن تعدد الزوجات غير منتشر في المجتمع الطارقي رغم أنهم يدينون بالإسلام.[2]

-القيم الاجتماعية:

لقد تجلت في كتابات الفرنسيين الكثير من مظاهر الحياة الاجتماعية للفرد الصحراوي، من بينها: الكرم وحسن الضيافة اللذين يمتاز بهما الصحراويون، مما جعل سلوكهم محل استغراب من المستكشفين، لأن هذه الصفة الحميدة لم تكن معهودة في مجتمعهم الأناني، الذي يقدس الذات الفردية، بعكس الفرد العربي الصحراوي الذي يؤثر غيره على نفسه ولو كان به خصاصة، تطبيقا لسلوكه القويم، وتعاليم مبادئ دينه الإسلامي. وكان كلاماجون Clamageran من أوائل من أكد ذلك بقوله: " إنه كرم فخم، عظيم. فالعظمة تكمن في سلوك الجزائريين، وهم يكرسون هذه القيم في نفوس أبنائهم، بل حتى البسيط منهم يتصف بمثل هذه الصفات الإنسانية الرائعة. ويتمثل ذلك في حركاتهم، وملامحهم، ووجوههم المعبرة عن الوقار والود والاستئناس"[3].

كما أكد ذلك دوماس Dumas عن كرم أهل توات. فذكر أنهم: " كرماء مضيافون، يتسابقون لإكرام الغريب.[4] وتحدث أيضا عن سكان سوف فقال: الطابع العام لسكان سوف

---

[1] – س ترومللي، مصدر سابق، ص 112.

[2] – حسن دواس، مرجع سابق، ص 49.

[3] – Clamageran _j, **l'Algérie .impressions de voyage 17 Mars-4 juin 1873**,Paris, librairie Germer Baillière,1874, P.175.

[4] – دوماس، مصدر سابق، ص325.

هو تلك اللطافة؛ إنهم كرماء جدا. لا يتمتع كل مسافر يمر بأرضهم بالاستقبال فقط، بل يتمتع كذلك بحق ممنوع لكل أجنبي يسمح له بالدخول[1].

- حسن الضيافة:

حسن الضيافة عند سكان الصحراء من العادات البارزة في حياتهم، وتقديم الضيافة للغريب تأخذ لدى المجتمع البدوي الصحراوي بعدا عقيديا، وتكتسيها هالة القداسة. يتسابق إليها الوجهاء والأثرياء والفقراء[2]. كما قال فرومنتان Fromentin: "أنه استضيف في إحدى الخيام الصحراوية عند شيخ يسمى الجيلاني. وكانت الضيافة تحتوي على أضخم الأطباق، فقدم لهم خروفين مشويين مرفوفين بالزبدة، قدمت لهم ساخنة مع الفواكه المجففة، وصلصات مبتلة والفلفل الأحمر والكسكس. وتتشكل المشروبات من الماء والحليب واللبن،كما كانت صفة الأكل على الطريقة العربية، دون استعمال سكين ولا فرشاة للأكل، بل كان ذلك إما بملاعق خشينة أو باليد"[3].

ولا تخلو الصحراء من خيام الضيافة. وقد أشار إليها دوماس بقوله: غالبا ما يتكون الدوار من سبعين إلى مائة خيمة في فضاء واسع و7 أو 8 خيام للضيافة، تنصب من طرف أغنياء الدوار، ويسهر عليها بعض الخدم ليلا ونهارا، مكلفين بخدمة الغرباء[4].

- الأخلاق:

هناك بعض المستكشفين من كانت لهم نظرة إيجابية حول المناطق، وهناك من كانت له نظرة سوداوية. وكان من بين هؤلاء: الأب جون هربيال Hurabielle الذي نال إعجابه المجتمع البسكري. فهم يتميزون بالأخلاق الحميدة، وبعدم اختلاط النساء بالرجال. فلا

[1] – Dumas, Sahara Algérien ,op, cit 195.

[2] – فرج محمود فرج، مرجع سابق، ص 36.

[3] – Fromentin Eugenne, op ,cit., PP, 18 -19 .

[4] - Daumas ,Sahara Algérien op cit p 85.

تصادف في الشوارع رجلا يتحدث مع امرأة. كما أن الفتيات لا يخرجن من البيوت، ويلبسن الكثير من الملابس. وأرجع ذلك الأب جون هربيال إلى السترة والحشمة[1].

ووصف دوماس سكان توات الذي قال: إنهم يمتازون بأخلاق حميدة ويغضون البصر طوعا أمام نزوات نسائهم[2]. وبالنسبة لسكان ورقلة، كان لدوماس نظرة مغايرة، حيث قال: بأن أخلاقهم منحلة جدا. فهم يرتكبون الزنا بالقرب من مساكنهم، ويأتون بأجمل الفتيات للصحراء، وهذا ما أكده له سكانها[3].

-الآفات الاجتماعية:

السحر: هو فن يدعي أصحابه القدرة على القيام بأعمال تعجز عنها القدرة البشرية العادية، وذلك بالاستعانة بقوى خارقة للطبيعة، أو عن طريق السيطرة على بعض القوى الخفية في الطبيعة. وقد عرف الشر منذ فجر التاريخ، ولجأ بعضهم إليه للسيطرة على أفراد مجتمعاتهم وعلى القوى الطبيعية. وهم يسمون الطالب أو العزام، والنساء الشوافة و التقازة، ويدعون معرفة الغيب، ويتكسبون من النساء.[4]

كما أنه رغم تغلغل الإسلام في الوسط الصحراوي، إلا أن الطارقي بقي يقوم بالطقوس السحرية. وأكد هنري دي فايرييه أن هذا المجتمع بقي متخوفا من هذه القوى، وهذا ما أثر في حياة الفرد والمجتمع، فيتصرفون تصرفات تبدو غريبة. حيث أن التارقي لا ينام تحت الأسقف أبدا، خوفا من أن يبقى محبوسا من طرف الجن[5]. كما كان هذا الطلسم حسبما وصفه لاجو عبارة عن حرز، وهو ورقة وسخة يكتب عليها المرابط بعض الآيات القرآنية أو

---

[1] – Jean Hurabielle, op,cit ،PP. 194-195.

[2] – دوماس، مصدر سابق، ص 326.

[3] – نفسه، ص 105.

[4] – علي غنابزية، **مجتمع وادي سوف من الاحتلال إلى بداية الثورة التحريرية 1830-1945**، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عمر بن خروف، جامعة الجزائر، 2008-2009،ص365.

[5] – حسن دواس، مرجع سابق، ص107.

العبارات السحرية. قطعة الورقة هذه تطوى بعناية وتوضع بداخل كيس جلدي صغير، وتعلق في العنق، ويمسح بها على موضع المرض[1].

وهناك طريقة أخرى يلجأ إليها السحرة وهي عبارة عن رسم هندسي، وعليه رموز أو أرقام أو أسماء الجن أو أسماء النجوم. والجدول عادة ما يأخذ شكل مربع، غير أنه توجد جداول مثلثية ودائرية[2].

أما عن طريقة علاجه، فيقول أندري جيد[3]: أنه التقى بعجوز زنجية تدعي إخراج الجن؛ تقوم بوضع حوض من النحاس، وتبدأ بالرقص حوله وتحريك الحوض بعصا. ثم تغتسل منه المرأة المسكونة ليخرج الجن من جسدها[4].

الدعارة: من المظاهر السلبية التي انتشرت في القرن التاسع عشر وسط المجتمع الجزائري ظاهرة الدعارة، التي جلبت أنظار المستكشفين عندها. حيث أشار هوداس Houdas في كتاب أنثوغرافيا الجزائر بقوله: كانت الدعارة نادرة في المجتمع الجزائري قبل مجيء الفرنسيين، ولكنها الآن انتشرت عن طريق نساء المدن والبربر. أما في الجنوب فإن الدعارة اشتهرت عند قبيلة أولاد نايل[5].

لكن دى فايريه يذهب إلى الرأي المضاد، حيث قال: منذ احتلالنا لهذا البلد، حاولنا الحد بشتى الطرق من انتشار الدعارة في وسط النساء اللواتي كن من وادي سوف ووادي ريغ يمتهنّ الحرفة في تقرت، وهن في بعض الأحيان أرامل[6].

---

[1] - Victor Largeau, Op, cit, p83.

[2] – حسن دواس، مرجع سابق، ص108.

[3] – أندري جيد، هو من عائلة برجوازية تعتنق المذهب البروتستانتي. قام بالعديد من الرحلات إلى شمال إفريقيا سنة 1893 انظر: André Gide ,**Silegrain ne meurt** ,édition du groupe ebooks libres gratuits ,liban ,1926, P.5

[4] – هيبة كنيوة، مرجع سابق، ص 71.

[5] – Houdas octave ,**Ethnographie de L'Algérie** ,leclerc éditeurs, Paris, 1886, P. 92.

[6] – هنري دي فايريه، مصدر سابق، ص 170.

كما يؤكد دوماس أن نساء منطقة العزازلية ببسكرة يذهبن إلى تقرت و العريوات من أجل الدعارة وإلى القصور الصحراوية الأخرى[1].

كما ذكرت إيزابيل أن هناك ظاهرة انتشرت، وهي ظاهرة الحلاجين، وهم نوع من الرجال المخنثين يمكن رؤيتهم بشعر أبيض وهم يرقصون ويتمايلون مع النساء في الحفلات العمومية، خاصة في منطقة تماسين[2].

- الحياة الاقتصادية:

تتميز الصحراء الجزائرية بدور اقتصادي مهم. وخلال عملية الاكتشاف والغزو الاستعماري إلى الجنوب، اهتم الفرنسيون بدراسة الإمكانيات الاقتصادية التي تتوفر عليها هذه المناطق[3]، وهذا ما يؤكده مارشال دوماس بقوله:" استكشافنا هذه الصحراء الشهيرة ومن المهم دراستنا من أجل العلاقات التي تربطها بين القبائل البدوية وسكان المناطق الحضرية التي ستصادفنا كثيرا. ما هي تجارتهم؟ ما هي صناعتهم في حال ما إذا كانت تجارتهم وصناعتهم ذات أهمية؟ أليس علينا البحث عن مدى الاستفادة منها[4]؟ ولهذا فقد كانت هذه البعثات الاستكشافية تركز على الحياة الاقتصادية والتجارية في الصحراء الجزائرية، مما جعل أغلب كتابات الرحالة الفرنسيين تركز على الجانب الاقتصادي.

-التجارة وأهم الأنشطة الاقتصادية :

لقد تميزت الصحراء الجزائرية بنشاط تجاري واسع، وعلاقات تجارية مع دول وسكان المناطق المجاورة. ومن أهم العلاقات التجارية هي التي ربطتها مع الدول المجاورة مثل: تنبكتو وتونس وطرابلس وبلاد السودان. ومن أهم السلع التي تستورد منها حسب إحصاءات بول سوليية Paul Solleiet هي: الشمع، العاج، القرون، الكركدن، وجلد النمر الجاف الذي يصل إلى 14 كغ وثمنه في عين صالح 05 فرنكات، إضافة إلى الذهب على شكل غبرة

[1] – دوماس، مصدر سابق، ص90.

[2] – إيزابيل إيبرهات، **عودة العاشق المنفى**، مصدر سابق، ص174.

[3] – يحي بوعزيز، **ثورات القرن التاسع عشر والعشرين**، مرجع سابق، ص 328.

[4] – دوماس، مرجع سابق، ص 6.

ويضعونه في أنابيب ريش مغلق بالشمع[1]. ويستورد أيضا من غدامس ويصل من5 إلى 600 مثقال ذهب في سنتين ومن 1500 إلى 3000 مثقال يقدر هذا بـ 45.000 فرنك من المبادلات. أما الصادرات فتتمثل في الألبسة المصنعة والتمور والتبغ والحبوب والشعير الذي يعتبر نادرا في غدامس. أما قابس فيستورد منها: حجارة البنادق والكبريت والرحي والبنادق والمعاول و أفخاخ الغزال....الخ. ومن أهم المبادلات التجارية الداخلية بين المناطق الشمالية والجنوبية للجزائر، تتمثل في أهم الصادرات وهي: التمور، جلود الماعز، أوراق التبغ، الملابس الصوفية، الزيت، القمح، الجمال، السمن، اللحم المجفف، فسائل النخيل والملح. أما الواردات من الشمال فتتمثل في: القنطس (من التوابل) السمن، الصوف، الماعز، القمح...الخ[2] ، بالإضافة إلى دباغة الجلود في تافيلالت والمغرب، والحنة التي تزرع على مساحات كبيرة في توات التي، من خلال هذا المنتوج، أصبحت محطة للتسوق عبر القوافل التجارية لكامل المغرب، وثمنها 0.10 إلى 0.20 سنيتم للرطل(500 غرام)[3].

أما جلود النعام في السوق فتباع من قبل الصيادين أنفسهم[4]. وتعتبر كذلك منطقة ورقلة محطة القوافل من غات والقليعة[5]. وكان لهذه القوافل التجارية الصحراوية وكلاء وأدلاء ومرافقون ومزارعون يعدون لها البضائع ويخبرونها بالأسعار والسلع المطلوبة، وأوضاع الحركة التجارية وتقلباتها. وقد بقيت هذه القوافل التجارية تمارس نشاطها التجاري بالصحراء الكبرى حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، فاستفاد منها السكان استفادة واسعة[6]. وكذلك من الرحلات التجارية الأخرى نجد الرحلات التي يقوم بها رجال الهقار الذين

[1] – عثمان حساني، مرجع سابق، ص 97.

[2] – هنري دي فايرييه، مصدر سابق، 182.

[3] – عثمان حسانى، مرجع سابق، ص 97.

[4] – هنري دي فايرييه، مصدر سابق، ص 181.

[5] – نفسه، ص 36.

[6] – يحي بوعزيز، **طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى**....، ص13.

تتجه قوافلهم إلى أسواق تديكلت[1] وتوات. وهي تبدأ من الهقار في شهر يناير وأوائل أبريل، وتنتهي في أبريل. وفي هذه الأسواق يقايض فيها أموهاغ[2] الجمل والغنم والماعز والحمير ومنتجات الألبان مثل: السمن والجبن، وذلك مقابل التمر والملابس والقطن وأغطية الصوف التي تصنع في قورارة وغرداية وبقية مناطق توات و تيكدلت. وأما تجارة العبيد فيرى هنري دي فايرييه أن الطوارق يملكون العبيد السود الذين يأتون بهم من السودان بواسطة القوافل التجارية، ويباعون بأرخص الأثمان. فهؤلاء يهتمون بالحياة ويرعون القطعان ويسيرون مع القوافل وأسيادهم في التنقلات الطويلة[3].

- الأنشطة الاقتصادية:

تتميز منطقة الواحات من الصحراء الجزائرية، وخاصة في منطقة الجنوب الشرقي، بانتشار أشجار النخيل ولاسيما خلال القرن 19م، حيث وصل عدد النخيل في منطقة واد سوف في سنة 1865 إلى 135.000 نخلة[4]. وفي سنة 1900 وصل إلى 300.000 نخلة[5]، وبلغ في تقرت 180.000 نخلة[6]، وفي واد ريغ بلغ عددها 359000 نخلة[7]. وهذه وهذه الأخيرة تؤثر على مردودية إنتاج التمر. وبلغت الكمية خلال سنة 1916 حوالي 7.500 طن بمنطقة الزيبان، وحوالي 6000 طن بمنطقة وادي سوف. أما وادي ريغ فقد

[1] – تيديكلت: تمتد هذه المنطقة من مدينة أولف إلى مدينة الزوا بدائرة عين صالح شرقا، على مسافة تقدر ب150 كم. وهي بهذا تقع في الجهة الشرقية لمدينة رقان، أي عند سفح صخري مرتفع من هضبة تادمايت، وتحتوي على مجموعة أودية مثل وادي جارت، والقصور مثل قصور أقبلي انظر: أسماء أبلالي مرجع سابق ، ص 54.

[2] – أموهاغ: تطلق على المجتمع التارقي. وهي لفظة تارقية حقيقية، باعتبار أن لفظة التوارق إنما هي اسم مأخوذ من المنطقة التي سكنها التوارق على الأرجح. انظر: رمضان حيوني،" **النغم والحركة وسيادة المرأة التارقية**". مجلة التراث، ع 11، 2011، ص 113.

[3] – Henri Duveyrier, **Les Touareg du Nord** , Editeur Challamel Ainé, Paris, 1864, P 6.

[4] – عبد القادر ميهي، مرجع سابق، ص61.

[5] – نفسه، ص 113.

[6] – هنري دي فايرييه، ص 160.

[7] – Jus ،**Les Oasis de l'Oued Rir 'en 1856 et 1879**, suivies du Résumé de travaux de sondages executes dans le department de Constantine de 1878 à 1879. imprimerie de Lmarle, Paris,1879 P10.

بلغ إنتاجها حوالي 4000 طن[1]. وكانت فرنسا تبني سياستها الضريبية عن طريق الاعتماد على هذه الإحصاءات وهذا ما يؤكده كات في قوله: "إن قيمة الحدائق في سوق كبيرة جدا وتتناسب مع عدد النخيل يصل ثمنها في كثير من الأحيان إلى 5000 فرنك للنخلة الواحدة، وحتى ثمن الأرض غير المغروسة أو القابلة لذلك"[2].

ويتم سقي هذا النخيل عن طريق الآبار الارتوازية التي يتم حفرها على عمق 70 إلى 80 مترا تحت سطح الأرض، ويكون ذلك من قبل عمال يتم تدريبهم منذ الصغر على هذا العمل الشاق، ومع ذلك فإن الكثير منهم قد لقوا حتفهم لأن الأمر صعب. فهو يتطلب اختراق ثلاث طبقات من الأرض وطبقتين من الماء. الطبقة الأولى راكدة، والطبقة الثانية متصاعدة، وهكذا يكون العمل. أي ما يبذله حافرو الآبار، هو جهد لا يمكن تصوره؛ وعليه فالعامل ليس بمأمن من الخطر. فأحيانا يسحب مختنقا بسبب الغاز والماء المتدفق[3].

كما تتميز الواحات بوجود أنواع عديدة من التمور أهمها: الغرس، والدقلة، والدقل، والعماري، ودقلة نور، وتنسين، و الحمراية، والقايد، وتفزوين، والكنة، وعبد العزاز...الخ[4]. ولكن إذا تجاوز اليوم، فإنه يبدأ في التخمر ليصبح فيما بعد مسكرا. وإلى جانب هذه الزراعة توجد الزراعة المعاشية، كزراعة الخضر والفواكه. ووجدت كذلك زراعة بعض الفواكه كالبطيخ الأحمر وبعض أشجار التين والرمان والمشمش[5]. ووجدت في واحات وادي ريغ سنة سنة 1856م 40.000 شجرة فواكه[6]. وإلى جانب تربية المواشي، تنتشر الماشية انتشارا كبيرا، خاصة لدى قبائل الحيمان[7] التي تجوب عين الصفراء. ويذكر دوماس قائلا: لقد كان

---

[1] – عبد القادر ميهي، مرجع سابق، ص 113.

[2] – نفسه، ص71.

[3] – أندري جيد، **رحلة إلى شمال أفريقيا**، تر، محمد عبد الغني، دار المعرفة، ط1، 2012م، ص 146.

[4] – هنري دي فاريه، مصدر سابق، ص 146.

[5] – دوماس، مصدر سابق، ص 168.

[6] – Jues ،Op. Cit. p10.

[7] – الحيمان: وهي قبيلة تقع في عين الصفراء وتنقسم إلى حيمان الشراقى و حيمان الغرابة وهم الشفاعة انظر: حمزة بن قيطون، مرجع سابق، ص78.

كل منهم يملك قطعانا كثيرة تبلغ 2000 رأس لأكبر الأغنياء من حيمان، ترعى موزعة على 400 رأس لكل مجموعة[1]. وتعتبر الماشية موردا رئيسيا للبدو والرحل من ماعز وأغنام وإبل. وتستغل لأغراض عديدة، كتوفرها لمادة الصوف والجلود التي تستعمل لعدة أشياء[2].

كذلك من أهم الأنشطة الصناعية في الصحراء، هي حرفة نسيج الصوف التي تنتشر بكثرة في الواحات. ويتم تبادل هذه السلع في أسواق التل وصحراء غدامس[3]. وتتم هذه العملية برصد الصوف وتجفيفه في الشمس. ثم تقوم النساء بحياكته، أو غزل هذا الصوف، وذلك بوضع عمودين على الأرض ثابتين، وتكون هناك امرأتان على كل طرف. وتبدأ كل منهما بعملية الغزل يدوياً، ثم يصبح في قمة الجودة بعد الحياكة[4].

دراسة المستكشفين حول الحياة الثقافية:

لقد ساد المجتمع الصحراوي مجموعة من المظاهر الثقافية التي رسمت بصمتها على واقعها. فكانت هذه الثقافة متغيرة عن المجتمعات الأخرى. كما أنها أثارت دهشة الرحالة والمستكشفين في نظرتهم من هذه الثقافة وتغيرها عن مجتمعهم.

العمران:

يعتبر العمران صورة المجتمع ومرآته الحضارية. ومن خلال النمط العمراني، نستطيع معرفة الكثير من الخصائص التي تميز بها المجتمع والمدن الصحراوية. فهذه المدن[5] شغلت شغلت الكثير من الرحالة والمستكشفين الفرنسيين، ومن بينهم: فيكتور لاجو الذي وصف العمران في منطقة وادي ريغ، حيث يبلغ طول السكن بهذه المنطقة من 7 إلى 8 أمتار وعرضها من 1.50 إلى 2 م. وأن سكانها يفضلون بناء جدرانهم أكثر ارتفاع، بل يفضلون

[1] – حمزة بن قيطون، المرجع سابق، ص 78.

[2] – Victor Largeau,Op.Cit.p24.

[3] – عبد قادر ميي، **الصحراء الجزائرية**، مرجع سابق، ص 73.

[4] - Paul Soleillet, **L'Afrique de la France en Afrique**, challanel ainé libraire ED. Paris, 1876, 1876, p19, 20.

[5] – حسن دواس، مرجع سابق، ص 81.

الحفر في داخل المساكن الخام الملبسة بالجير[1]. أما مدينة تقرت فيصفها دوماس بأنه تم بناؤها بالطوب، ويحيط بها خنادق مليئة بالمياه الراكدة. تتوفر على أربعة أبواب، باب خوخة الذي يفتح في جهة الشمال، والباب الثاني يسمى باب السلام، وهو موجود في جهة الغرب[2].

أما في الجهة الشرقية من المدينة فتوجد قصبة تضم بنايات كبيرة قليلا، وهي غير مرتفعة، بناها بنو جلاب. وفي سنة 1859، بنيت في القصبة ثكنة عسكرية تضم غرفا فسيحة ومرتفعة ومتشبعة بالهواء؛ كما تحتوي القصبة على بنايات حديثة. ويمتد السوق من طريق القصبة إلى طرف آخر. وشوارعها الأساسية مغطاة ومظللة، يحجبها عن الشمس أقواس دعامات مربعة[3].

أما شارل فيرو فيصف البناء العمراني في تقرت، أنه يأخذ الشكل الدائري، ويحيط به مجرى كان زاخرا بالماء. ويرتفع منه سور علوه متران، ويقع قرب أبراج صغيرة، ويبعد عنها بحوالي 60 م. ويبلغ عرض الواحدة منها ثلاثة أبواب متصلة بالقصبة ، وهو عبارة عن مساحة واسعة مربعة الشكل، ومتصل بها أربعة شوارع كبيرة. وأما قصور سلاطين تقرت فيقع أغلبها على الطابق الثاني، وبها مجموعة غرف، بعضها غير مسقوفة. وتتصل هذه الغرف بالطابق والساحات الداخلية [4].

أما العمران في مدينة وادي سوف، فهو حسب فيكتور لاجو، يختلف بعض الشيء عن النمط الموجود في الصحراء الأخرى. إذ يشيد السقف من أغصان النخيل تعلوه قباب[5] صغيرة كروية الشكل تشبه قباب الأضرحة الصوفية. ويصل طول المنازل في أغلب الأحيان من 7 إلى 8 أمتار و2.5 متر عرضا[6]. وما يميز الصحراء الجزائرية أيضا القصور وتوجد

---

[1] – عبد القادر ميهي، **الصحراء الجزائرية**، مرجع سابق، ص62.

[2] – دوماس، مصدر سابق، ص 166–167.

[3] – هنري دي فايرييه، مصدر سابق، ص 166.

[4] – CHarles Féraud ,op, cit, P, 354.

[5] – القباب: مفردها قبة والتي تغطي أغلب السطوح. وهي ميزة تتصف بها مدينة سوف انظر: Isabelle Eberhardt ;**Dans L'ombre chaude de L'Islam**; librairie charpentier Fasquelle Paris 1921p 258،

[6] – عبد القادر ميهي: **الصحراء الجزائرية**، مرجع سابق، ص 72.

خاصة في الجنوب الغربي. وتعد هذه القصور من الشواهد المعمارية التي ميزت الجنوب عن شمال إفريقيا بصفة عامة والجنوب الجزائري بصفة خاصة بالطابع المعماري المميز. حيث قام المستكشف الفرنسي دو كلومب برحلة لاستكشاف قصور قورارة وتوات و تيدكلت، التي وصفها بكونها عبارة على جزر مخضرة وسط محيط من النار.

ويصف دوماس الشكل الهندسي للقصر في الأغواط فيقول أن قصرا يكون محاطا بسياج ذي أربعة أمتار في الشمس. وهناك برجان قويان لهما شكل هرمي مبتور، له قاعدة واسعة، يرتفعان إلى الأعلى، ويكملان نظام التحصين للمدينة بارتباطهما بالجدران. ولهذين البرجين ارتفاع ما بين ثمانية إلى عشرة أمتار.[1].

ويذهب كفينياك إلى وصف قصر عين الصفراء الذي يراه من أحسن القصور بناء وتحصينا. ويحيط بهذا القصر جدران منفصلة من الطين والجير وفيه خندق عمقه من 2 إلى 3 أمتار. ويتراوح عرضه بين 2 و3 أمتار. يختفي الخندق في بعض جوانب القصر.[2]. ويرى دو فوكو أن هذه القصور تستمد أهميتها ووظيفتها الدينية بانتشارها في المجال الصحراوي بحكم انتشار الزوايا والأضرحة[3].

التعليم: لم يكن التعليم مهيكلا بمؤسسات قائمة. فقد كان يخضع للموروث التقليدي. وكان يتم داخل الكتاتيب والزوايا والمساجد. ويقول دوماس في ذلك أن التعليم الابتدائي كان أكثر انتشارا. وقد أظهرت علاقتنا مع أهالي المقاطعات الثلاث قليل من الأشخاص من جنس الذكور الذين يعرفون القراءة والكتابة، يساوي على الأقل المتوسط الذي أعطته الإحصائيات عن الأرياف. ولم يكن جميع الأطفال قد تعلموا القراءة والكتابة.." وقد قدر دوماس بحوالي 2000 أو 3000 في كل مقاطعة عدد الشباب الذين يزاولون في المدارس القرآنية الدورس

[1] – يمينة بن صغير حاضري، " **القصور الصحراوية صورة الإبداع الهندسي** ". مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 15، جامعة غرداية، 2011، ص136.

[2] – فايكس جاكو، مصدر سابق، ص 251–252.

[3] – بويكراوي الحسن، الفقير عبد العالي، **المجال الصحراوي المغربي من خلال كتاب –استكشاف في المغرب** –مجلة م، ش المغرب ع 6,8، كلية أداب علوم إنسانية مراكش، 2012، ص 55.

المتوسطة، وبحوالي 600 أو 800 عدد أولئك الذين تمكنوا من دراسة علوم القانون وعلوم الدين[1].

ويؤكد بول بورد هذه القدرة على تعليم اللغة الفرنسية ليس فقط للكبار، ولكن عند الأطفال أيضا. وعند وصول البرلمانيين الفرنسيين إلى الجزائر في شهري سبتمبر وأكتوبر من سنة 1879 وصلوا إلى السوق، فاندهشوا جدا حين وجدوا أن كل أهالي المدينة يتكلمون الفرنسية قليلا أو كثيرا دون النبرة أو اللحن. أما الأطفال فتكلمونها في العموم جيدا. وكثير منهم من يعرف القراءة أو بعضهم يعرف القراءة والكتابة.[2].

أما رجيس تذكر أن الجزائري ليس أقل من الأوروبي لو أنه فقط يغتنم الفرصة ويقترب من المؤسسات الفرنسية التعليمية. ففي هذه الحالة، فإنه سوف يصل في دراسته إلى المراتب العليا. وعند بحثها عن سبب قلة إقبال الجزائريين المسلمين على الدراسة، وجدت المشكل هو عدم الرغبة في دراسة لغة الفرنسية ، التي لم تفتح أمامها أبواب واسعة للعمل والوظائف. فليس لهم سوى أربع مراتب وهي: القايد، والقاضي، والشيخ، و الصبايحي. وهذه جميعا تخدم الحكومة الفرنسية والسياسة الاستعمارية[3].

كما يرجع تعليم الأطفال في بسكرة إلى المدرسة الفرنسية العربية التي تم إنشاؤها فيما بعد احتلال منطقة بسكرة عام 1844، وكان يديرها دو كلومب الذي عين كمدرس فيها. فقام بتعليم اللغة الفرنسية، ومن أجل التواصل مع أطفال المنطقة[4]. وقد كرس كولمبو نفسه لتدريس الأهالي بمبادرة شخصية. فهو ينتظر الحكومة من أجل تنظيم التعليم الجدي لأطفال المنطقة. ثم يضيف بورد إن دروس السيد دو كلومب، لم تكن تحتوي على دروس خاصة بأخلاق التلاميذ. ويظهر ذلك من خلال أن الأطفال الذين يدرسون عنده، لم يكن لديهم حقد

[1] – آسيا بلحميس رحوي، " **وظيفة التعليم غداة الاحتلال الفرنسي** ". مجلة دراسة نفسية وتربوية. مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، مجلة مولود معمري، تيزو وزو، ع7 ديسمبر 2011، ص 60.

[2] – حسن دواس، مرجع سابق، ص 132-133.

[3] – هيبة كنيوة، مرجع سابق، ص 93.

[4] – هنري دي فايرييه، مصدر سابق، ص 16.

على أهل البلد الأقل ثقافة منهم. لهذا يتأسف لعدم فعل الحكومة الفرنسية المستطاع لاستيعاب أولئك الأطفال[1].

الفنون الصحراوية الشعبية:

لقد ظهر كميدان جديد من ميادين الدراسة خلال القرن الثامن عشر في كل من ألمانيا و أنجلترا عندما اهتمت مجموعة من الباحثين بأساليب المعيشة والآثار الشعبية للمجتمع. وفي عام 1846، أطلق على هذا النوع من الدراسات اسم فلكلور. وقد أصبح يعنى بدراسة الفنون الشعبية، واستوعب كافة المظاهر الثقافية التقليدية، بما في ذلك التراث الشعبي كالرقص والموسيقى والشعر[2].

– الشعر: يعتبر الشعر مرآة المجتمع، يتصف بها العالم العربي بما فيها الجزائر التي تعد جزء من العالم العربي. فهي تتصف بالفطرة، وكل أفرادها يتذوقون الكلمة ويقدسونها، بحيث أكد أحد الشعراء أن المجتمع الجزائري تجده في كل مكان محبا للشعر، في المدينة، الريف، الصحراء، عكس المجتمعات الأخرى[3]. وهذا ما يعترف به المستكشف دوماس، حيث قال: إذا كان الشعر قليلا عند فئة من المجتمع الأوروبي عكس المجتمع العربي، فتجدها تنتشر في كل مكان[4]. كما أكد الرحالة أن العنصر العربي هو من يتصف بهذه الميزة، عكس البربري الذي كان بعيدا على هذا الفن؛ وهذا ما يؤكده الرحالة هوداس حيث ذكر أن: البربر ليس لهم أدب مكتوب، عدا الأدب الشعبي الذي يتكون من عدد محدود من أشعار الحب والحرب والأساطير والحكايات والخرافات الحكمية. ولكن البربر المستعربة فهم يشبهون العرب.[5]

[1] – هيبة كنيوة، مرجع سابق، ص 92.

[2] – نفسه، ص 39.

[3] – حسن دواس، مرجع سابق ص 157.

[4] – Daumas ;**mœurs et coutumes** op,cit ;P.106.

[5] – Houdas op;cit p 119-118.

– الرقص: الرقص مصطلح يطلق على لغة متميزة ومعقدة جدا، وهي لغة الجسد والحركة. ويعتبر من أهم الفنون الشعبية الفلكلورية التي لا غنى عنها بالنسبة لعالم الأنثروبولوجيا أو عالم الاجتماع في فهم خصوصية شعب من الشعوب التي يراد دراستها. وهو موروث شعبي ثقافي تشترك فيه جل المجتمعات على اختلاف ثقافاتها[1]. ويصف فرومنتان الرقص فيقول: الرقص العربي بمقابل رقص الجنوب يعتبر بطرافة أكثر واقعية، أكثر عفة وطهارة، وبلغة إيمانية وأكثر أدبية حيث تبدأ الراقصة ووجهها شاحب، تحيط بها ضفائر الشعر المكثفة وطرق الطبول[2].

بعض أنواع الرقصات الصحراوية:

رقصة النخ: هاته الرقصة رقصة شعر تطبق في الأعراس العائلية للبدو والرحل خاصة عند الطرود و الشعانبة وبعض المناطق الاخرى للوادي، ولا سيما في عميش –أولاد حميد – في قمار –أولاد العلندة، الرقيبة. هاته الرقصة لا توجد الا في المناطق العربية كطرابلس وتونس وقرية الفوار 30 كم غرب مدينة دوز في جنوب الجريد، حيث يعتقد أن من ادخل هذه الرقصة إلى الوادي هم قبائل الربايع عن طريق القوافل القدامى من الجريد، حيث تطبق هذه الرقصة في المساء تحت شعاع القمر، وتقام نغمات من الرتم بشعر نسائي طويل به الرائحة البدوية، تشارك به النساء غير المتزوجات والارامل والمطلقات. كما أن النخ يرادف الرداسي بحيث يغنى جالسا متبوعا برقصات الشعور والنخ. أما النخ فينفذ واقفا. حيث أن النقيب بونمان هو أول الأوروبيين الذين حضروا أول عرس عند بدو عميش، وشاهد الرقصة والشعر وذلك سنة 1856[3].

أما فيما يخص الرقص عند الطوارق، فكانت هناك رقصة أسوات وشروا:

[1] – حسن دواس، مرجع سابق، ص 143.

[2] – Froumentin eugenne; op, cit p31-32.

[3] – André-Roger Voisin ;**le Souf monographie**, édition el-walid;Algérie,2004, P. 139-140.

– أسوات هي رقصة يؤديها الشباب تحت أهازيج النساء بدون آلات موسيقية، بحيث يدورون حول المغنية الرئيسية التي تدعى أسوات.

– الرقصة شروا: وهو رقص خاص يتخذ شكل اللعبة أو المبارزة. يؤديه الشباب بلباس خاص، ويشرف عليه رجل خبير في أصول المقارعة. والغرض منه على استعمال وسائل الدفاع، وتعلم فنيات المعارك والحروب[1].

– رقصة البطن: هي رقصة تؤدى في الافراح والمناسبات وحتى في المقاهي الليلية. وتعتبر من فنون التمثيل الإيماني[2].

– المحفل: هو يقام أثناء الزواج حيث يصفه دي فايريه أن هناك مجموعة من النساء يشكلن حلقة يدرن ظهرهن لبعضهن البعض ويزغردن للشبان[3].

– الموسيقى: الموسيقى هي فن تنظيم وتنسيق الأصوات والنغمات المصاحبة للكلمات أو الرقص أو الطقوس الدينية والسحرية. وتعتبر الموسيقى من وسائل التعبير الفنية الاكثر تجريدا، ومن مكونات ثقافة الشعوب وتراثهم، ومن مستلزمات الحياة الاجتماعية والثقافية، وقد أجمعت الكثير من الدراسات النفسية الحديثة أن الموسيقى تلطف المشاعر الانسانية، كما تتميز الموسيقى الجزائرية باللحن بالإيقاع في الوقت نفسه، وذلك أنها متأثرة بالموسيقى الافريقية المتسمة باللحن. كما تتميز بثراء بحسب اختلاف البنيات الجزائرية والصحراوية[4].

ولقد أشار العديد من المستكشفين الفرنسيين إلى الموسيقى الجزائرية، ومن بينهم: المستكشف سوليية، الذي راح يثني على جمال إيقاعاتها التي لا يمكن للمرء أن يدرك سحرها

[1] – عبد السلام بوشارب، مرجع سابق، ص 70.

[2] – هيبة كنيوة، مرجع سابق، ص 94.

[3] – هنري دي فايريه، مصدر سابق، ص 54.

[4] – حسن دواس، مرجع سابق، ص 135.

من الوهلة الأولى ليعقد مقارنة بين الموسيقى العربية والجزائرية والموسيقى الأوربية بحيث أن الموسيقى العربية تعمل على عزل المستمع داخل أحاسيسه الشخصية[1].

كما لم تخل الدراسات الأنثروغرافية التي خصها الفرنسيون لدراسة المجتمع الجزائري ووصف ثقافته مع اهتمامهم بالموسيقى والرقص. وقد أشار **هودا** في كتابه انثوغرافيا الجزائر إلى أن الجزائريين لهم إمكانيات ضخمة في مجال الإبداع وبان الفنون ستستغرق تطورا مذهلا في المستقبل، أما عند المجتمع الصحراوي فإن الموسيقى لم تقترن للترقية والمتعة ولكن ارتبطت بنمط حياتهم التي تعبر على الرحيل والسفر[2]، حيث ذكرها **فرومنتان** "لم تكن الموسيقى بالنسبة للبدو والرحل مجرد وسيلة للرقص، وإنما وسيلة للحث على السير أثناء الرحيل"[3].

ثانياً: نتائج بعثات المستكشفين:

-دراسات المستكشفين الفرنسيين حول الصحراء :

خلال قيام المستكشفين برحلاتهم إلى الجنوب، اهتم الفرنسيون بدراسة مجموعة من الإمكانيات ومن بينها الاقتصادية وكل الخيرات التي تتوفر عليه المناطق من المظاهر الجغرافية والطبيعية والتضاريسية، والمناخية ومصادر المياه وذلك لاستغلالها واستثمارها، فهناك من درس جغرافية منطقة توات ومناخها وأساليب السقي والإنتاج الفلاحي والأوضاع التقليدية والعمرانية[4].

كما درس أوجير الجوانب العلمية والفلكية لواحات الساورة وتوات، أما باجول هو أيضا تحدث عن التكوين الجغرافي والطبوغرافي والآبار المائية لصحراء ورقلة، والتي تمتد من واد

---

[1] – Gros,Jules;**Les Voyages et decouvertes de paul soleilet dans le sahara et dans le soudan** ,Paris maurice dreyfous;editeur 1881p35.

[2] – Houdas op,cit p 114.

[3] - Froumentin eugenne,op:cit p 230.

[4] – يحي بوعزيز، **ثورات القرن التاسع عشر والعشرين**، مرجع سابق ص328.

مية إلى واد ايغرغر[1]، أما موريس فلقد توسع في دراسته خاصة على مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والدينية لسكان التوارق بالهقار، والتعرف على عاداتهم وتقاليدهم، وبعض جوانب تاريخهم السياسي والحضاري.

أما بيربيروجي[2]، فقد اهتم بدراسة الآبار المائية، والانتاج الفلاحي لمنطقة وادي ريغ، كما توسع **برنار**[3] في دراسة حوض الساورة ، كما بيسي، ومنطقة تيدكلت من الناحية الجغرافية والسكان والسلالات والعادات، ومصادرة الثروة، كما تحدث على كل من الهقار، وأدرار وتنزروفت[4].

كما اكتشف كل من **زور** مع مجموعة من الضباط على آبار الجنوب –شرق –غرب ورقلة من بينها مغيرية، حاسي قدور، تامسقيدة، واتي دونها في الجمعية الجغرافية والأثرية بوهران عام 1871.[5]

كما تحدث جاك بوركا عن النتائج العالمية والجيولوجية والعسكرية التي توصلت اليها بعثة أولسف لسوف، وتقرت، و ورقلة، وتامنرست.

ودرس كانيل جغرافية عرق إيقيدي ووادي الساورة، وتعرض كابوري لاهمية أبار وادي ريغ من الناحية الاقتصادية والسياسية، كما ركز كاسون على دراسة عادات وتقاليد التوارق على غرار دراسة موريس، ولكنه أضاف إلى ذلك اهتماماته بدراسة تجمعات السكان في الأقاليم الصحراوية[6].

---

[1] – يحي بوعزيز، **تاريخ الجزائر في التاريخ الجزائر في الملتقيات الدولية**، مرجع سابق، ص 75.

[2] – بيربيروجي، عضو في لجنة الاستكشاف العلمي في الجزائر باعتباره مختصا في مجال التاريخ وعلم الآثار. ينظر إلى أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج6، مرجع سابق، 85.

[3] – برنار هو نقيب السلاح في المدفعية وكان ضمن الرحلة الاستكشافية الأولى لفلاترس المتجه إلى الصحراء وذلك عام 1880. ينظر: إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي**، مرجع سابق، ص 423.

[4] – يحي بوعزيز، **تاريخ الجزائر في الملتقيات الدولية** ،مرجع سابق، ص 329.

[5] – إبراهيم مياسي، **الصحراء في ظلال واد سوف**، مرجع سابق، ص 83.

[6] – يحي بوعزيز، **تاريخ الجزائر في الملتقيات الدولية**، مرجع سابق ص 76.

كما أن الاب ريشار[1] وزميله قدم معلومات جغرافية هامة اثر جولتهما لمنطقة بلاد أجر.

كما اهتم دوماس بالمظاهر الجغرافية والتاريخية للمناطق الصحراوية بين سكان بسكرة وورقلة وغرداية[2]، والاغواط[3].

إضافة إلى بول سوليبه الذي قدم معلومات قيمة على الصحراء، ومن بينها معلومات على هضبة تادميت إضافة إلى تقديم أهمية المسالك التجارية للقوافل وأوضح أنها كانت قائمة منذ العصور الوسطى. وهذه الطرق هي: طريق مراكش إلى تمبكتو مرورا بتندوف، ثم طريق فاس مكناس إلى تمبكتو مرورا بوادي الساورة إلى توات، طريق وهران تمبكتو مرورا بعين الصفراء[4]، طريق الجزائر العاصمة إلى تمبكتو مرورا على الاغواط [5]، طريق طرابلس طرابلس إلى تمبكتو مرورا على سناوس وتماسين.[6]

-مشروع السكة الحديدية:

لقد ظهرت فكرة مد الخط الحديدي العابر للصحراء على غرار الخطوط العابرة للقارات كالخط العابر لكندا والخط العابر لسيبيريا، لذا تبلورت فكرة القيام بهذا المشروع ترجع إلى المهندس دي بونشال الذي قدم الدراسات الاولى منذ 1874 أشار فيها إلى الخط الذي بإمكان فرنسا التوغل إلى بقية إفريقيا ومنها منافسة خط انجلترا الذي يمر بالقاهرة، بهدف تسهيل عمليات تنقل قواتهم العسكرية والاستقرار في المراكز العسكرية التي ستنشأ في

[1] – الأب ريشار هو أحد المبشرين في الصحراء الجزائرية. قام برحلات تجسسية في الصحراء حيث كان يتنكر بانه طبيب كما أنه يتقن اللغة العربية جيدا وفي رحلته الثانية لقي حتفه هو ورفقاه بقرب من غدامس. ينظر: إبراهيم مياسي **الاحتلال الفرنسي**، مرجع سابق، ص 426.

[2] – يحي بوعزير، **ثورات القرن التاسع عشر وعشرين** ، مرجع سابق، ص 330.

[3] – احميدة عميراوي ، **من ملتقيات التاريخية الجزائرية**، ط 2، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص 143.

[4] – إبراهيم مياسي، **الصحراء الجزائرية من خلال قبل وبعد الاستكشافات**، مرجع سابق، ص63.

[5] – يحي بوعز، **ثورات في القرن التاسع عشر**، مرجع سابق ص331.

[6] – نفسه، **تاريخ الجزائر في الملتقيات الدولية**، مرجع سابق، ص 77.

الواحات مستقبلا، وربط مستعمراتهم المختلفة خدمة للتجارة الفرنسية، وكما قاموا بدراسة الكتب والطرق الصحراوية القديمة كما أشرنا اليها من قبل[1].

حيث كان قبل ذلك أن الفرنسيين دشنوا مشاريع النقل الصحراوي وذلك باقتراح من كاباني مشروع الخط الحديدي الذي يمتد من الجزائر إلى بوسعادة وورقلة، والآخر من عين صالح إلى الهقار وذلك عام 1853.[2]

ومنه برزت الفكرة لدى بونشيل[3] واهتم بهذه الدراسة حيث انتقل إلى الجزائر ليجمع وينسق كل المعلومات الهامة حول الصحراء والسودان وينشرها في كتاب سنة 1878. ولهذا اهتمت الحكومة الفرنسية بتنفيذ المشروع وذلك بعد إقناع البرلمان الفرنسي باعتماد ثلاثة مشاريع لثلاثة خطوط عام 1880، ومنه أعد المهندس بويان مشروعا لثلاثة خطوط واحد من تيارت إلى المايه والثاني من سعيدة إلى رأس الماء ومشرية، والثالث من مشرية إلى المقرار[4].

كما قدم السيد فرانسييه وزير الأشغال العمومية تقريره يوم 12 جويلة 1879 الفت انتباه رئيس الجمهورية للفرصة لتتمكن فرنسا من التوغل في الصحراء الجزائرية مؤكدا على فوائده الضخمة التي تحقق من طرف هذا المشروع، كما كان تقريره موجها الى نظرة السياسية والاقتصادية[5].

---

[1] – إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي**، مرجع سابق، ص437.

[2] – يحي بوعزيز، **تاريخ الجزائر في ملتقيات الدولية** ، مرجع سابق، ص 80.

[3]– بوشنيل: ولد في فلوداك سنة 1821 وهو مهندس للجسور والطروقات نشر عدة أعمال تحتوي على افكار اصلية وممتازة ومن بينها مشروع السكة الحديدية ينظر: إيمان قرين،السياسة الفرنسية في فصل الصحراء الجزائرية 1965–1962،مذكرة مكملة لشهادة الماستر تخصص تاريخ معاصر ،إشراف رابح لخميسي ،جامعة محمد خيضر بسكرة 2013–2014م، ص32.

[4] – يحي بوعزيز، **ثورات في القرن التاسع عشر**.. .، مرجع سابق ، ص 334.

[5] – ابراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي**...، مرجع سابق ص 438.

وبما أن الخط الحديدي العابر للصحراء[1] قد يتعدى ويتفاوت حدود الصحراء الحالية فانه يمكن لهذا المشروع جلب كل التيارات التجارية الدولية إلى الصحراء الجزائرية لأنها تخدم المستعمر وذلك عندما وضع موريس أونوري رسالة دكتورا في النقل الصحراوي، والتوسع الفرنسي في افريقيا واستعرض بها مختلف المشاريع التي قام بها كل من روني كايي ودوبشنيل وحلل بها الفوائد الاقتصادية والتجارية والسياسية لهذا المشروع، اضافة أن فرنسا عندما أرادت القيام بهذا المشروع هو أن تفتح مواصلاتها إلى بقية مستعمراتها قبل أن تقع أيادي انجلترا[2].

كما أن السيد رولند، مهندس المناجم، قدم حسابات حقيقية حول الأرباح المتوقعة لهذا الخط ب 10 آلاف و500 فرنك بينما مصاريف كل قطار يوميا 5500 فرنك وبذلك يمكن لهذا الخط منافسة الملاحة كما أنه ورغم التكلفة الباهضة لفرنسا لكنها عزمت على هذا المشروع لأنها ترى فيه انه يعطيها الأداة الفعالة لاستثمار أوسع بالقارة الإفريقية[3].

وحيث كانت خلاصة هذه المشاريع في النصف الاول من القرن العشرين ووضعها إلى ثلاثة خطوط حديدية، ولكنها لم تعبر الصحراء بأكملها، وذلك لانشغال فرنسا على هذا المشروع، اضافة إلى قسوة الطبيعة والمناخ، وتطور الطيران وهذا ما جعل فرنسا تتخلى عن المشروع الذي بقي حبرا على الورق حتى قيامه في الجزائر المستقلة[4].

- مشروع البحر الداخلي:

لقد واجه الفرنسيون صعوبات كثيرة في غزو الجنوب الجزائري والصحراء وذلك يرجع إلى عدة أسباب بشرية وطبيعية ومن بينها مقاومة السكان الرافضين لهذه البعثات[5]، إضافة

[1] – انظر ملحق رقم 08، ص137.

[2] – يحي بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر في ملتقيات** ،مرجع سابق ، ص 334.

[3] – قرين إيمان، مرجع سابق، ص 33.

[4] – إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي**، مرجع سابق، ص 444.

[5] – محمد بن محمذن، مرجع سابق، ص163 .

إلى القساوة الطبيعية المتمثلة في الارتفاع الشديد لدرجة الحرارة والجفاف إضافة إلى تباعد المراكز العمرانية عن بعضها البعض[1].

وأثناء الاحتلال الفرنسي للجنوب نجح فيرديناند دو ليسبس في حفر قناة السويس، وتحفزوا وتشجعوا على إحداث البحر الداخلي الصحراوي لتخطي الظروف الطبيعية القاسية ويسهل عليهم عملية التوسع والتوغل، حيث أن ضابط الأركان العامة فرانسوا رودير تحمس لهذا المشروع الضخم، حيث وطد صلاته بعدد من المغامرين وعلى رأسهم دوبليس، وعلى إثر ذلك تكونت في فرنسا هيئة خاصة لهذا المشروع واتخذت منطقة الجريد كقاعدة ونواة لهذا البحر الداخلي الذي تمكن من تحديد معالمه، حيث أن هذه المنطقة تدعى بالعرق الشرقي الكبير، وهي منطقة محصورة بين خليج قابس شرقا وجبال اولاد نايل وهضبة ميزاب وجبال الأوراس غربا والظهر التونسي شمالا وجبال مطاطا والهقار جنوبا [2]. كما كانت بهذه المنطقة مجموعة من الشطوط والمنخفضات بحيث اكدت الدراسات سابقا بان هذه الشطوط والمنخفضات كانت بحيرة داخلية وتدعى بحيرة تريتون وتحدث عنها كل من هيرودوت وسيلاكس، بحيث لهذا البحر ثلاثة منافذ إلى البحار ومنه إلى البحر الابيض المتوسط والمحيط الاطلسي وخليج قابس لكن هذا البحر جفت بعض أحواضه وبقيت منه الا بعض الشطوط والمنخفضات.

وهكذا شاعت هذه الفكرة لدى الجيولوجيين بأنه يمكن خلق بحر داخلي في هذه المنطقة، أو إحياؤها وبعثه من جديد وذلك من أجل تغيير في مناخها الذي سيؤدي إلى التغيير في شتى أوضاعها. وكان من ابرز المتحمسين اليها هو رودير حيث شرع في وضع دراسات حوله منذ عام 1873 واعتمدت الجمعية الوطنية الفرنسية مبلغا ماليا لدراسة منطقة الشطوط دراسة علمية[3]، وذلك أن رودير قام برحلة استكشافية لذلك من قسنطينة إلى بسكرة

[1] – عبد المجيد قدور، **الصحراء والتكيف النفسي للإنسان**، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، ص65.

[2] – يحي بوعزيز، **تاريخ الجزائر في الملتقيات الدولية** مرجع سابق ، ص 88.

[3] – نفسه، **ثورات في قرن التاسع عشر**...، مرجع سابق، ص 339.

ثم إلى ارجاء شط ملغيغ، والذي درس تاريخه وجغرافيته الطبيعية والفلكية والمناخية ومستواها عن مستوى سطح البحر حيث وزع عددا من الخرائط والأشكال، كما قام كل من دوليتير ودي فايريه ضمن بعثة رودير والذين درسوا مستوى الشطوط عن البحر وهندستها الجغرافية.

ورغم دراسة رودير لشط الجريد الذي وجده يفوق مستوى سطح البحر عكس شط الحضنة و الملغيغ لكنه بقي متحمسا له رفقة دوبليس واكدا بان له فائدة من الناحية العسكرية والسياسية، بحيث يسمح هذا المشروع بنقل القوات الفرنسية بسهولة إلى الجنوب الجزائري، وعرقلة السكان من نشاطها ضد المحتل، أما من الناحية الاقتصادية فهذا المشروع يرفع من منسوب المياه الجوفية في الشمال وخلق مساحات واسعة للاستقلال الزراعي بالصحراء ورفع نسبة الرطوبة، لكن هذا المشروع برزت حوله معارضة من قبل أوست بوميل الذي أكد عدم وجود هناك صلة بين البحر وهذه الشطوط في القديم[1].

كما أنه حتى بعد موت رودير عام 1883 بقي دولييس متحمسا لهذا المشروع وحاول أن يقنع جول فيري رئيس الوزراء الفرنسي، لكن دون جدوى، وبقي هذا الامر إلى اواخر القرن 19 لتكرار النقاش من طرف هيئات علمية ورأسمالية وكانت معظم النظريات معارضة بسب التكاليف الباهظة. ودفن هذا المشروع إلى غاية 1952.[2]

- ردود فعل السكان:

المرحلة الأولى: أهم مقومات ضد لاحتلال.

لقد عانى الاستعمار من ويلات المقاومة الشعبية في المناطق الشمالية ولم يتمكن من إخماد نيرانها إلا بصعوبة وكان يخشى أي حركة شعبية وخصوصا بعد نزوح العديد من قيادات الانتفاضة باتجاه مناطق الجنوب والمناطق المتاخمة للصحراء والبحث عن دعم أخر للتنظيم مثلما تجلى في مساندة الزوايا ورجال الطرق الدينية للحركة المضادة للبعثات

[1] - يحي بوعزيز ، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الدولية**، مرجع سابق، ص 89.

[2] - نفسه، ص 90.

الاستكشافية والعسكرية والتبشيرية. ومن أهم هذه الثورات التي قاومت سياسة التوسع الاستعماري ثورة الزعاطشة عام 1849م جنوب غرب مدينة بسكرة بزعامة الشيخ بوزيان وهو من المنتسبين لأتباع الطريقة الرحمانية. وتعود دوافع هذه الانتفاضة إلى رفع فرنسا قيمة الضرائب على بساتين النخيل[1] فأخذ بوزيان ينشط في التحضير للمعركة فاستدعى رؤساء القبائل والأعراش من كل جهة[2] بالرغم من أن الاستعمار استطاع أن يتمكن من إطفاء لهيب المقاومة وقتل زعيمها بوزيان لأنها كادت أن تضعف من معنويات الفرنسيين لولا قوة عددهم وخلال الخمسينيات من القرن التاسع عشر، شهدت العديد من المناطق الصحراوية عديد الانتفاضات الشعبية كالتي عرفتها منطقة ورقلة سنة1851م بزعامة محمد بن عبد الله شريف ورقلة. ورغم إلقاء فرنسا القبض عليه، إلا انه بعد سراحه جعله يشارك في ثورة أولاد سيدي الشيخ[3] بالجنوب الوهرانى في سنة 1864 ، واستمرت إلى غاية 1880، ثم هدأت الأوضاع حتى أعقبتها ثورة الشيخ بوعمامة سنة 1881م والتي اعتبرت الأكثر مراسا واشد عنفا والتي من أسبابها هو فشل البعثة الرسمية لدراسة مشروع الخط الحديدي عبر الصحراء في الجنوب الغربي لإقليم وهران خلال سنة 1879م فقد أجبرت البعثة على العودة على أعقابها بعدما تحرش بها سكان قرية تيوت.

لذلك عزمت الحكومة الاستعمارية على إقامة مركز عسكري للمراقبة في قصر تيوت ومن هذا ثارت القبائل الصحراوية والشيخ بوعمامة فأشعلت نار الثورة في وجه المحتل لتدافع عن المجال الصحراوي[4]. أما الأغواط فقد عرفت بدورها انتفاضة هامة بزعامة ابن ناصر بن شهرة احد فرسان الأمير عبد القادر. وقد طال عمر هذه المقاومة أكثر من أربع وعشرين سنة أي ما بين 1851-1875 وكان ابن شهرة قد وسع حركته الجهادية باتجاه الجنوب

[1] – أحمد مريوش، **التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان هقار 1916**، مجلة مصادر، ع11، الجزائر، 2005، ص122 .

[2] – العربي منور، **تاريخ المقاومة الجزائرية من قرن 19**، دار المعرفة، باب الوادي، الجزائر، 2006، ص 199.

[3] – أحمد مريوش، مرجع سابق، ص 122-123.

[4] – حمزة بن قيطون، مرجع سابق ص 141-142.

الغربي من تونس وذلك بهدف تامين الحدود الشرقية[1]. وهكذا عرفت العديد من المناطق رفض التواجد الفرنسي في أرضهم حيث يقول الجنرال بيليسي "لقد كانوا يدافعون بعنف على أراضيهم، كما أنهم يدافعون على حياتهم وحريتهم. وهذا ما جعل القبائل الصحراوية تقاوم بقوة ولان العرب ملاحظون واذكياء، فقد تمكنوا من معرفة طرق القتال لدينا بفعل المقاومة المستمرة ولقد وجدنا أنفسنا أمام أمة ما زادها الحرب إلا وحدة وقوة...فنحن اذا امام عدو ماهر وصعب وهذا ما يجب تجنبه"[2].

- **المرحلة الثانية: مقاومة البعثات الاستكشافية والحملات العسكرية والتبشيرية.**

وإلى جانب هذه المقاومات هو التصدي للبعثات الاستكشافية والتغلغل العسكري والمسحي من ذلك في سنة 1844 في بعثة دورنو دوري وجوبار حيث تم قتلهما على يد بعض السكان في الصحراء الجزائرية التي لم يسلم منها حتى الرهبان الذين يحاولون الاستطلاع تحت لواء الدين والتنصير عبر الصحراء الكبرى ومثال ذلك بوشار ومينوري وبوليمى قرب مدينة عين صالح عام 1876م إلى جانب فشل بعثة اوربن سنة 1877. كما تعرض الطوارق لثلاثة مبشرين عندما غادروا متليلي قاصدين عين صالح وقاموا بقتلهم، وبذلك فشلت محاولات جمعية الآباء البيض في السيطرة على الصحراء وإفريقيا[3].

وكما قام سكان المنيعة بطرد هنري دي فايريه وهدد بالقتل حيث يقول في ذلك " قد تبدو رحلتي إلى القليعة لأول مرة هزيمة حيث طردت من هذه المدينة تحت التهديد إلى الخروج منها ليلا في ظروف مشينة ومع ذلك فأنا اعتبر هذه الرحلة ناجحة...فانا قد واجهت الشعانبة الذين اقسموا أنهم سوف يذبحوني، وقد أقمت يوما وليلتين في هذه المدينة شبه

[1] – أحمد مريوش، مرجع سابق ص 122–123.

[2] – E,Pélissier, Op ،cit p440.

[3] – إبراهيم العيد بشي، " **دور سكان الجنوب الشرقي الجزائري في مقاومة الاستعمار الفرنسي**" مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 11، جوان 2013، جامعة الجزائر، ص 31–32.

سجين"[1]. وهذا دليل على مدى وعى السكان بما تخططه فرنسا من وراء البعثات. لهذا هدد دي فايريه بالذبح إن وجد مرة ثانية. وحرصوا على عدم تنقله واحتكاكه بالسكان حتى لا يتمكن من جمع المعلومات الخاصة بالسكان[2].

ويصف كفينياك استعداد عين الصفراء لمواجهته "عند وصولنا لعين الصفراء وجدنا العدو على أهبة الاستعداد. فقد كانت الخيالة تجوب السهل، حيث تراءت لنا بواسطة منظار مجموعات منها تمتد إلى حدود الأفق؛ فيما تماثلت لنا تجمعات تسنى رؤيتها بالعين المجردة لا تبعد عن مقدمتنا سوى كيلو مترات... ويتراوح عدد فرسان العدو الذين ظهروا لنا بين 400 و500 فارس على الأقل "ونشبت معركة بين هؤلاء وتسببت بإصابة الضباط الفرنسيين بجروح ولكن ذلك لم يمنعهم من التوغل إلى داخل المنطقة[3]، وكما قام سكان الهقار بإفشال بعثة فلاترز Flatters المنطلقة بحامية عسكرية في 4 ديسمبر والتي تتألف من 150 إلى 200 جندي، وكانوا عازمين على مواجهة العصابات الذين يتربصون لهم وان يقضوا عليهم حتى لا تكون مصدر إزعاج لهم ويتمكن بذلك المستكشفون من التجول بمأمن في الصحراء عام 1880[4] وعند اقترابهم من مرتفعات الهقار، شعر فلارتز بالخطر لان الطوارق كانوا يخططون لقتله، ويبحثون عن آخر تنظيماته[5]، وهنا قتل فلارتز ورفاقه. وبعد مقتله سارعت السلطة الاستعمارية إلى إنشاء أبراج عسكرية في بعض المناطق لضمان امن المعمرين الفرنسيين والأوربيين[6].

---

[1] – عبد الرحمان نواصر، **السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجنوب الجزائري ما بين 1873–1962 منطقة المنيعة نموذجا**، مجلة الروافد للبحوث والدراسات، جامعة غرداية ع1، ديسمبر 2016، ص 112.

[2] – نفسه، ص 112.

[3] – فايكس جاكو، مرجع سابق، ص 224.

[4] – Augustin Bernard ,N,L agroix, **Le pénétration Saharienne (1830-1906)**, imprimerie Algérienne p85.

[5] – M .Bernard ،Deuxième. Op;Cit.,p309-311.

[6] – رضوان شافو، **جوانب من السياسة لاستعمارية بالصحراء الجزائرية**، ط1 ، دار قانة، الجزائر، 2014، ص 26.

وقد مهد مقتل فلارتز سلسلة من اغتيالات الأوربيين في الصحراء الجزائرية من طرف التوارق، ومنهم الرهبان الثلاثة ريتشارد Richard، وبوبلار Bouplarl ومرات Morat قرب غدامس عام 1881م والضابط بلات Palat عام 1886م والضابط كاميل دولس[1] عام 1886م ومركيز دي موريس الذي احتال عليه الشعانبة الغاضبون منه، فتآمروا مع التوارق المسؤولين على إيصال الهدايا مقابل تقديمهم مجموعة من أسلحة وهدايا. وفى 7 جوان ألح التوارق على المركيز ليتخلى عن مستشاره علي بن بسيس الشعانبي باعتباره جاسوسا خطيرا فوافق على ذلك مرغما. وهكذا أصبحت حلقة المؤامرة تضيق حول عنق المركيز الذي أصبح منعزلا عن أنصاره الذين أطلق سراحهم ورجعوا من حيث أتوا، فتكاثر المتآمرون حوله وهو يحاول في عناد وإصرار انتزاع النجاح في مهمته مهما كانت العقبات والصعوبات، وأصبح المركيز وحيدا بين أعداد متفقين على التخلص منه. غير أنه لم ينه أي بادرة حتى أنه افتقد مهريه الابيض الذي لم يجد له اثرا. وقيل له أن الشعانبة الغاضبين هم الذين سرقوه. وفعلا اخفوا المهري في مكان يقع على أميال في الجنوب، فقدم له التوارق ناقة ثقيلة الحركة ليركبها، ولهذا أدرك أنه في مأزق، وخاصة أنه في الصباح اختفت محفظته وبها وثائق سرقت منه ليلا ووجدت مدفونة في المخيم، فأخذها وركب ناقته وأمر الأدلاء بالتوجه شمالا حتى تلقى الرصاص من الشعانبة[2].

وكان هذا نفس مصير فلامون الذي أرسل لبعثة من اجل التعرف على مكونات هضبة تادمايت الجيولوجية والنباتية. وقد توجه انطلاقا من عين صالح. وأرفقت هذه البعثة بطابور عسكري لحمايتها. وفى منطقة تيديكلت أدرك السكان أن حملة موجهة ضدهم فتهيؤوا للمعركة، حيث قام شيخ أولاد حاج مهدي بجمع مقاتلين من القصور المجاورة أين تمكن من

[1] – كاميل دولس: ولد بفرنسا في 18 اكتوبر 1864 وقد قام برحلات بالجنوب المغربي وبالصحراء الجزائرية. وزار تندوف سنة 1887م متنكرا في زاي رجال الجنوب المغربي والصحراوي بعد أن أسرته قبائل الصحراء شاكين في إسلامه، فحملوه إلى زاوية الشيخ ماء العينين بن محمد الفاضل القلقمي فحكم له بالإسلام. ينظر: عبد الله حمادي الادريسي، **تندوف وتجكانت تاريخيا ومناقب وبطولات**، ج2، ط1، 2013،الجزائر، ص497.

[2] – إبراهيم مياسي، **قبسات من تاريخ الجزائر**، مرجع سابق، ص 91-92.

جمع ما يقارب لألفي مجاهد، وفى اليوم الموالى اندلعت معركة وأبلى السكان بلاء حسنا ولكن قوة العدو 99 جملا، حيث تمكن من دخول عين صالح[1].

وكذلك كانت بعثة فور[2] ولامي التي أخذت طريقها للطوارق صفة أخرى من المقاومة وهى مقاطعة وعدم مساعدتهم رفضوا إمداد البعثة بالمياه اللازمة للجمال. وكانت النتيجة موت عدد كبير منها بسب العطش، وبلغت حوالي مائة جمل أسبوعيا. وما لبثت البعثة أن فقدت كل جمالها فاضطرت للاتجاه شرقا إلى بحيرة تشاد، ولكن جيش مملكة برونو بدأ يهاجم الفرنسيين. ودارت معركة في مكان يسمى كوسري انتهت بمصرع لامي القائد للبعثة، وسميت هذه المنطقة باسم القائد بعد مصرعه[3].

[1] – دحمان تواتي ومقلاتى عبد الله، **دور إقليم التوات خلال الثورة التحريرية (1956-1962)**، دار الشروق للطباعة والنشر، الجزائر .2008، ص 14-15.

[2] – فردينو فور (Ferdineau Faureau) ولد بمدينة فرديار (Ferdière) سنة 1850، قام بعدة رحلات في الصحراء، حيث أنجز العديد من التقاري،ر ورسم العديد من الخرائط، انظر: .Narcisesse Foucon, op, cit, p237

[3] – عسي على إبراهيم، **الفكر الجغرافي الكشوف الجغرافية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ،مصر، 2007م، ص204.

الخاتمة

الخاتمة

إن الصحراء الجزائرية بمثابة الجسر العالمي الذي يربط أجزاء مختلفة شمالا وجنوبا شرقا وغربا. ولذا اهتم بها الأوربيون منذ أن خرجوا من قارتهم خلال العصر الحديث بغية الكشوفات الجغرافية ومن ثم توسع الاستعمار. ومع بداية هذا التنافس الأوربي بدأ الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية والذي كان سابقا عن احتلال الجزائر سنة 1830 وذلك ابتداء من رحلة روني كاييه الذي يعتبر أول أوربي يتوغل إلى أعماق الصحراء الأفريقية، وقدم معلوماته الجغرافية والحضارية القيمة ،والتي استفادت منها فرنسا في سياستها التوسعية الأستعمارية في الصحراء والسودان، في حين المعلومات حول مناطق الصحراء الجزائرية كانت ضئيلة جدا و قليلة ، لا تشفي غليلهم .وبعد احتلال الجزائر ونجاحهم في مد نفوذهم على المناطق الساحلية وتحول المناطق الصحراء بما فيها معاقل للثوار الفارين من الشمال بهدف الاستعداد للمقاومة من جديد.

لذلك قرر الفرنسيون التوسع في أعماق الصحراء وجعل أرضيها مناطق للنفوذ الفرنسي .فهي تعتبر نقطة استراتيجية بالنسبة لفرنسا، فتحت لها أفاق على العالم الإفريقي ،فعمدت إلى انتهاج استراتيجية تمكنها من التوسع في تلك المناطق بأقل تكلفة وذلك بإرسال ،البعثات الاستكشافية للقيام بدراسات دقيقة قصد التعرف على إمكانيات الصحراء الاقتصادية والبشرية، وكذلك استكشاف المظاهر الجغرافية المختلفة للصحراء. وقد كانت هذه البعثات المختلفة الاختصاصات من بينها البعثات الاستكشافية للفنانين الأدباء.

ذلك أن القرن التاسع عشر يتميز بحركة أدبية واسعة في فرنسا وكانت من نماذج هذه الفيئة فورمنتان وفيكتور لاجو وبول بورد و إيزابيل إبيرهاردت. فلقد اشتركت هذه الشخصيات بأسلوبها الأكاديمي الذي يحمل في طياته الكثير من الاستعلاء والوهم وكشف عن كل التناقضات الحاصلة في المناطق المكتشفة وذلك لتقليل من شأن المنظور إليه وتلميع حركة الاستعمار في الجزائر .أما المعلومات التي كان هؤلاء يقدمونها فكانت مختلفة حسب تخصص كل واحد منهم، حيث ركز فيكتور لاجو في دراسته حول نباتات وكثبان وحدود وموقع الصحراء الجزائرية.

أما بول بورد بكونه صحفيا فكان يصف الأحداث التي يراها ويدونها. ويذهب فورمنتان إلى وصف الطبيعة والمناخ السائد في الصحراء مع النظرة التشاؤمية التي يحملها أما إيزابيل فكانت تنجذب نحو الطابع العمراني للصحراء مدونة كل التفاصيل. ونجد الشكل الثاني من

الخاتمة

هذه البعثات هو البعثات الاستكشافية للمغامرين ورجال الدين، فنجد بعثة هنري دي فايريه التي كلفت بهدف ربط العلاقات التجارية مع سكان الصحراء لتأمين فرنسا تواجدها هناك فتزايدت بذلك البعثات الاستكشافية وكان من بينهم المبشرون ورجال الدين ومنهم الأب جال هربيال وشارل دوفوكو فكانت انطلاقة من هدف مشترك بينهما وهو التوغل إلى الصحراء عن طريق التنصير، وأهم ما قاموا به هو التعرف على السكان وتوجهاتهم الدينية وعادتهم وتقاليدهم ليمهدوا بذلك للضباط الفرنسيين بالقيام ببعثاتهم العسكرية معتمدين على معلومات من سبقهم ومن بينهم الضابط دوماس الذي قام بدراسة جغرافية وإحصائية وتاريخية، وقام بالتوغل نحو القبائل وعروش ،وتطرق إلى عاداتهم وتقاليدهم وطبيعة

الاختلافات الموجودة بين وسط سكان الصحراء وبقيها .وأما الجنرال كفينياك الذي تحكمت فيه النزعة الاستعمارية بقوة.

فقد اعتمد خلال حملته في الصحراء على تقارير وخرائط للرحالة الذين زاروا المنطقة من قبل، ومن خلال ذلك، قام القضاء على بعض القبائل التي تعتبر مصدر خوف بالنسبة لهم ونفس ما فعلة الضابط س ترومليي الذي كانت بعثته التي تهدفوا لوصول إلى الصحراءوكشف عن خبيها عن ثروة طبيعية ومعدنية وبالإضافة إلى مهمة فلارتز التي كانت من أجل إنشاء مشروع السكة الحديدية وكانت هاته البعثة محمية من طرف الحكومة الفرنسية فمكنه بذلك بتقديم معلومات حول المناطق وموقعها وحدودها .

ولقد كان دور هؤلاء هو تقديم معلومات ودارسات حول مختلف جوانب الصحراء الجزائرية وخاصة عن الجانب لاجتماعي فما يخص التركيبة السكانية وتقسيماتها من حيث أصلها وقبائله وكذلك الحياة لاقتصادية من تجارة وأنشطة اقتصادية مختلفة ومتنوعة وترصد لحركة القوافل التجارية وإحصاء للصادرات والواردات وذلك بهدف استغلال الثروات الطبيعية والمعدنية و الطاقية وتحقيق استثمارها الصناعي إلى أبعد الحدود في الصحراء وبلإضافة إلى الجانب الثقافي بما يحتويه من عمران وتعليم وفنون شعبية وغيرها من مختلف الحياة الثقافية التي تهدف للاستعمار من دراستها إلى القضاء على مقوماتها وإحلال محلها الثقافة الغربية .

وقد كانت المشاريع الفرنسية كنتيجة حتمية لهذه البعثات حيث استفادت الإدارة الفرنسية من خلال تقارير ودراسات هؤلاء المستكشفين والضباط وأقامت مشاريعها التوسعية في

الصحراء الجزائرية وذلك عن طريق مد خطوط السكة الحديدية لتستعين بها في نهب خيراتها وثرواتها وتأمين أمدادها وقواتها العسكرية المنتشرة في كل المناطق وضواحي إقليم الصحراء وكذلك مشروع البحر الداخلي الصحراوي الذي يسمح لهم بتخطي الظروف الطبيعية القاسية ويسهل عليهم عملية التوسع والتوغل. ولقد تبعت هذه المشاريع وهذا التواجد الفرنسي في الصحراء الجزائرية بمقاومات مختلفة بما فيها التعرض للبعثات لاستكشافية وإفشال بعضها بقتل والوقوف دون إكمالها ولكن مع ذلك لم تتوقف فرنسا عن إرسال البعثات الاستكشافية، بل تواصلت إلى حدود نصف القرن العشرين وانتهت باحتلال مختلف مناطق الصحراء الجزائرية.

الملاحق

ملحق رقم 01: خريطة مسار رحلة فورتنمان[1]

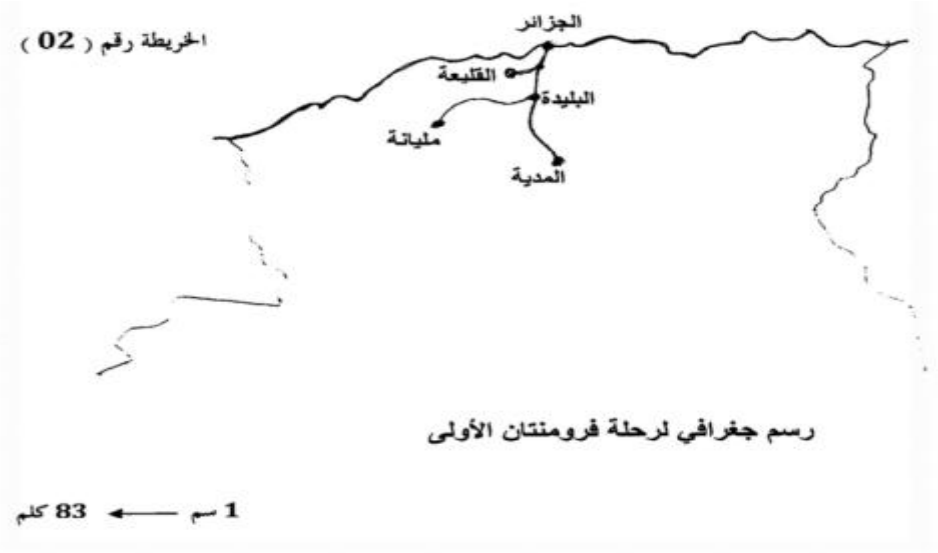

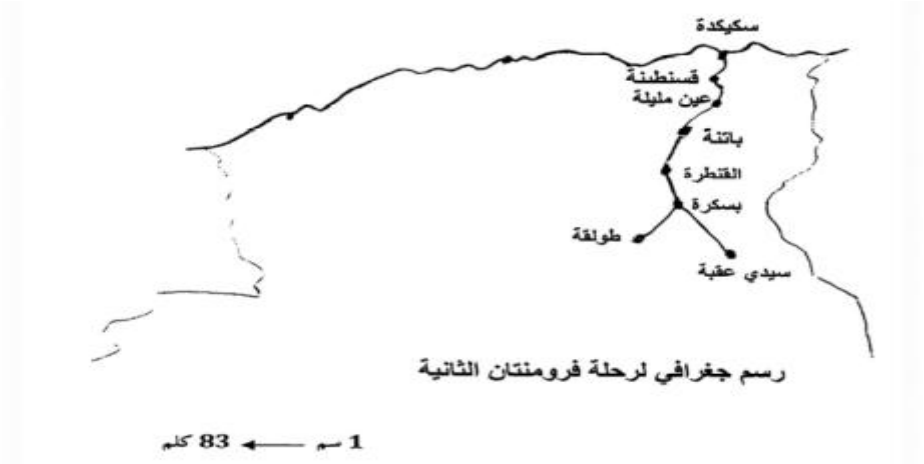

[1] – يحي برغيث، مرجع سابق، ص ص 155، 156.

ملحق رقم 02: خريطة مسار رحلة فيكتور لاجو[1]

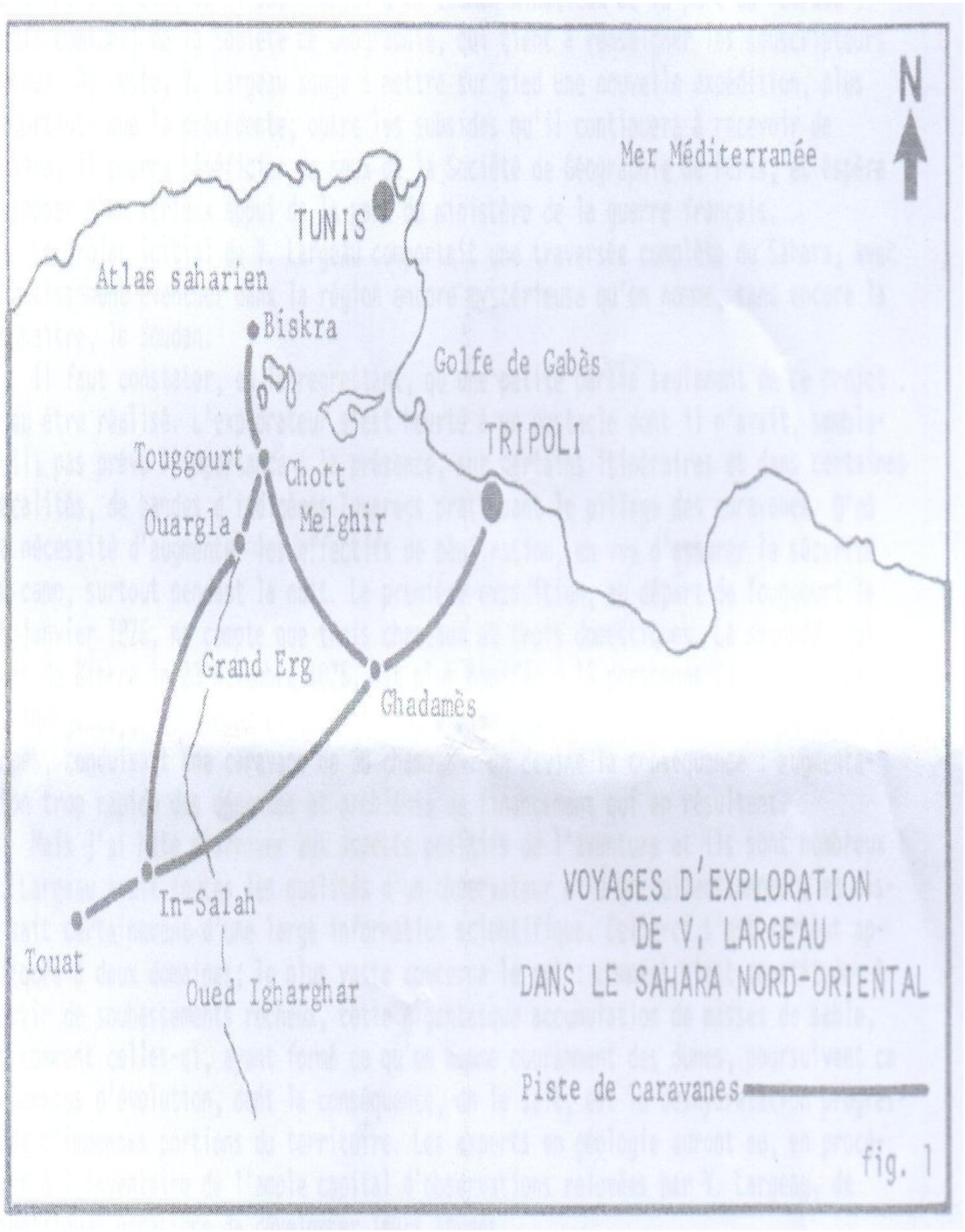

[1] - Emile candaux. Op. cit. p79.

ملحق رقم 03: خريطة مسار رحلة هنري دي فيرييه في الصحراء الجزائرية[1]

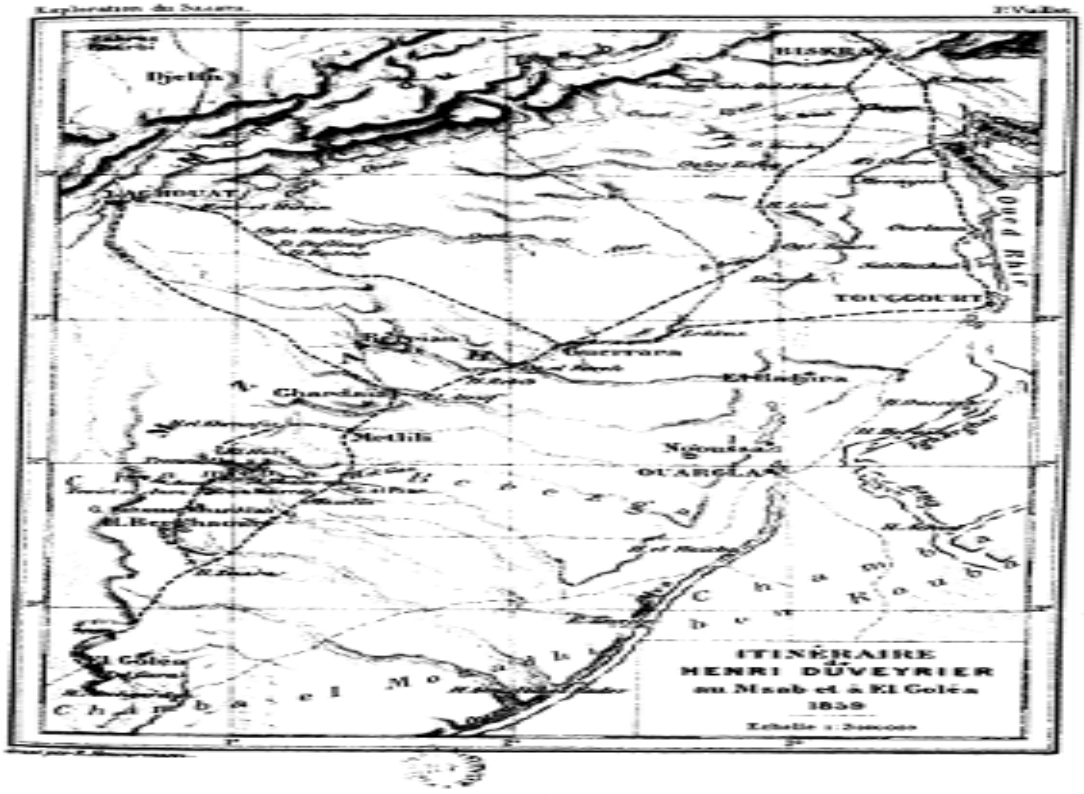

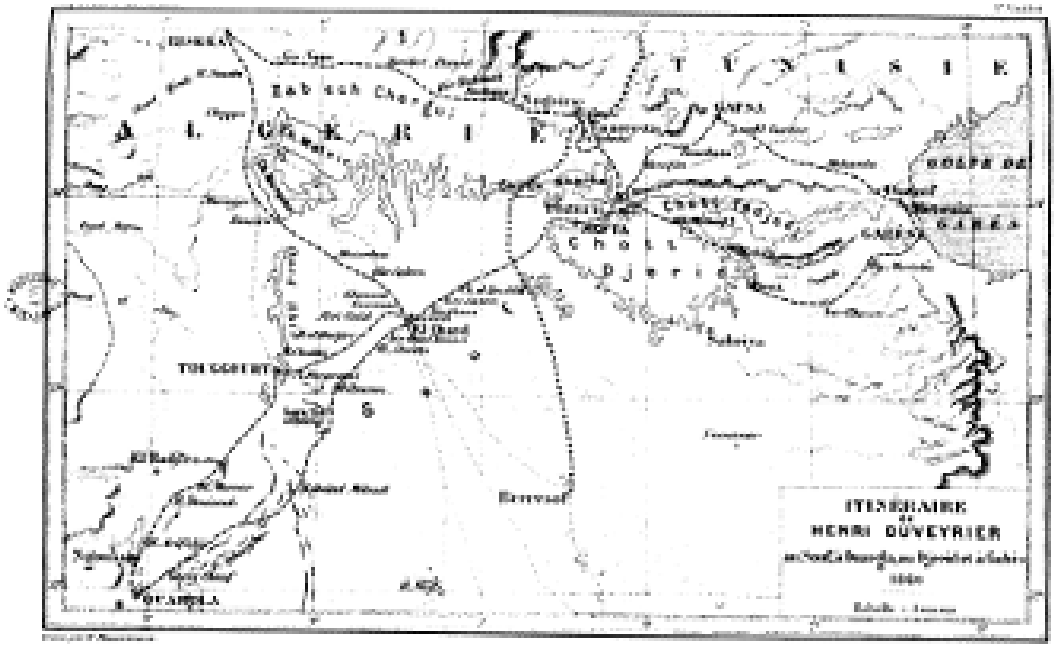

[1] - Paul vauillot, Op. cit, p 61,65.

ملحق رقم 04: خريطة مسار رحلة دوفكو في الصحراء [1]

[1] - Rene bazin, Op. cit, p5.

ملحق رقم 05: خريطة مسار رحلة دوماس[1]

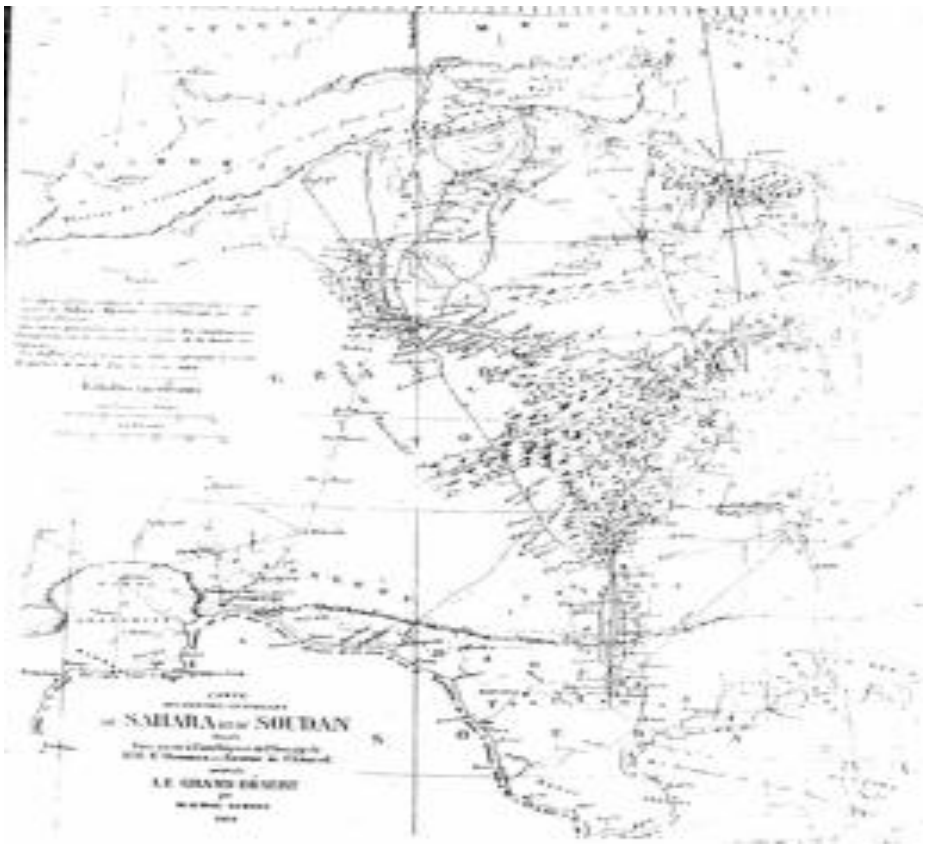

[1] – عثمان حساني، مرجع سابق، ص150.

ملحق رقم 06: خريطة مسار رحلة كفينياك في الصحراء الجزائرية[1]

[1] - Félix jacquot, Op. cit, p351.

ملحق رقم 07: خريطة مسار رحلة فلارتز [1] .

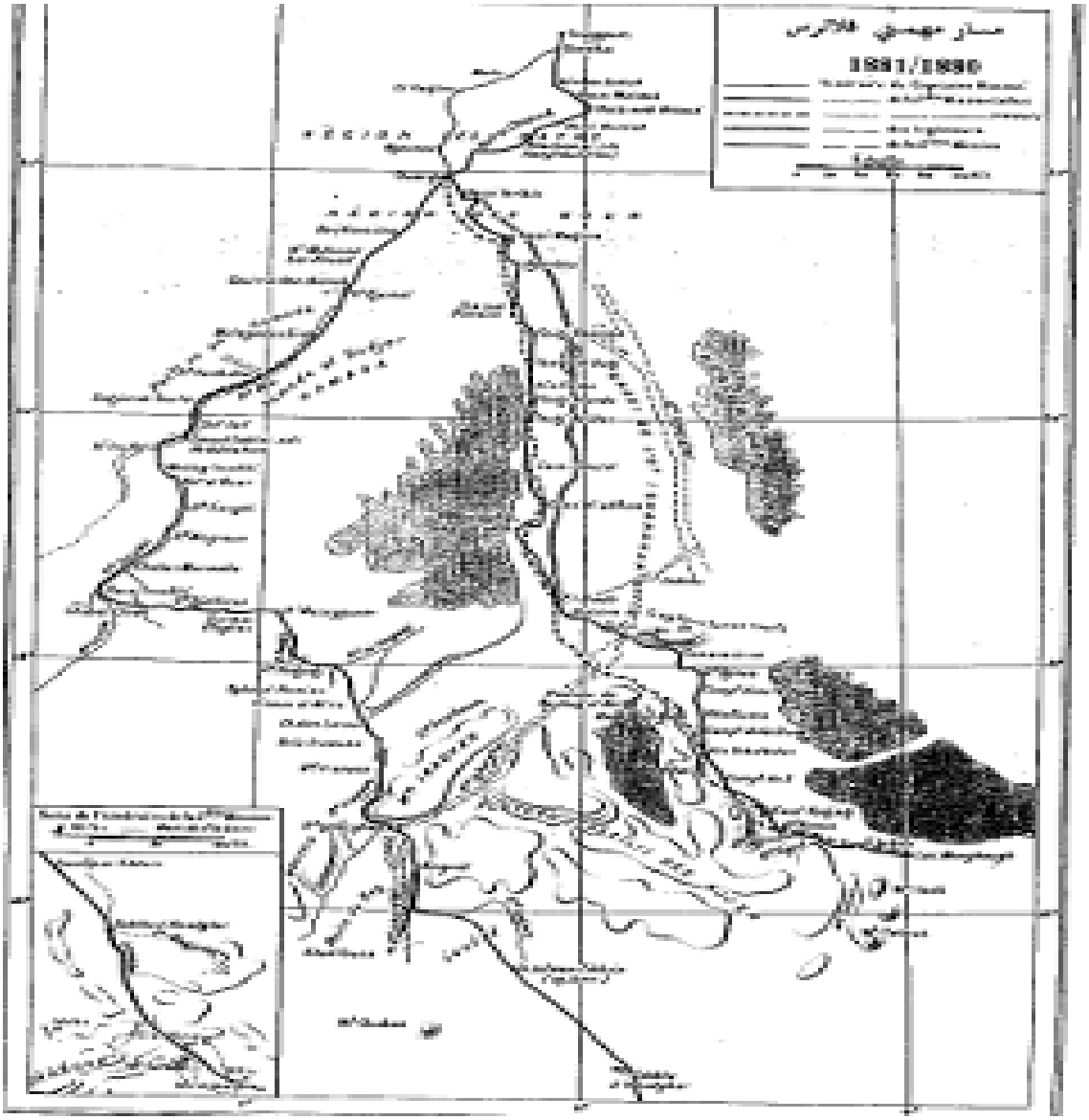

[1] – حسن مرموري، مرجع سابق، ص 232.

ملحق رقم 08: خريطة امتداد السكة الحديدية نحو الصحراء الجزائرية[1]

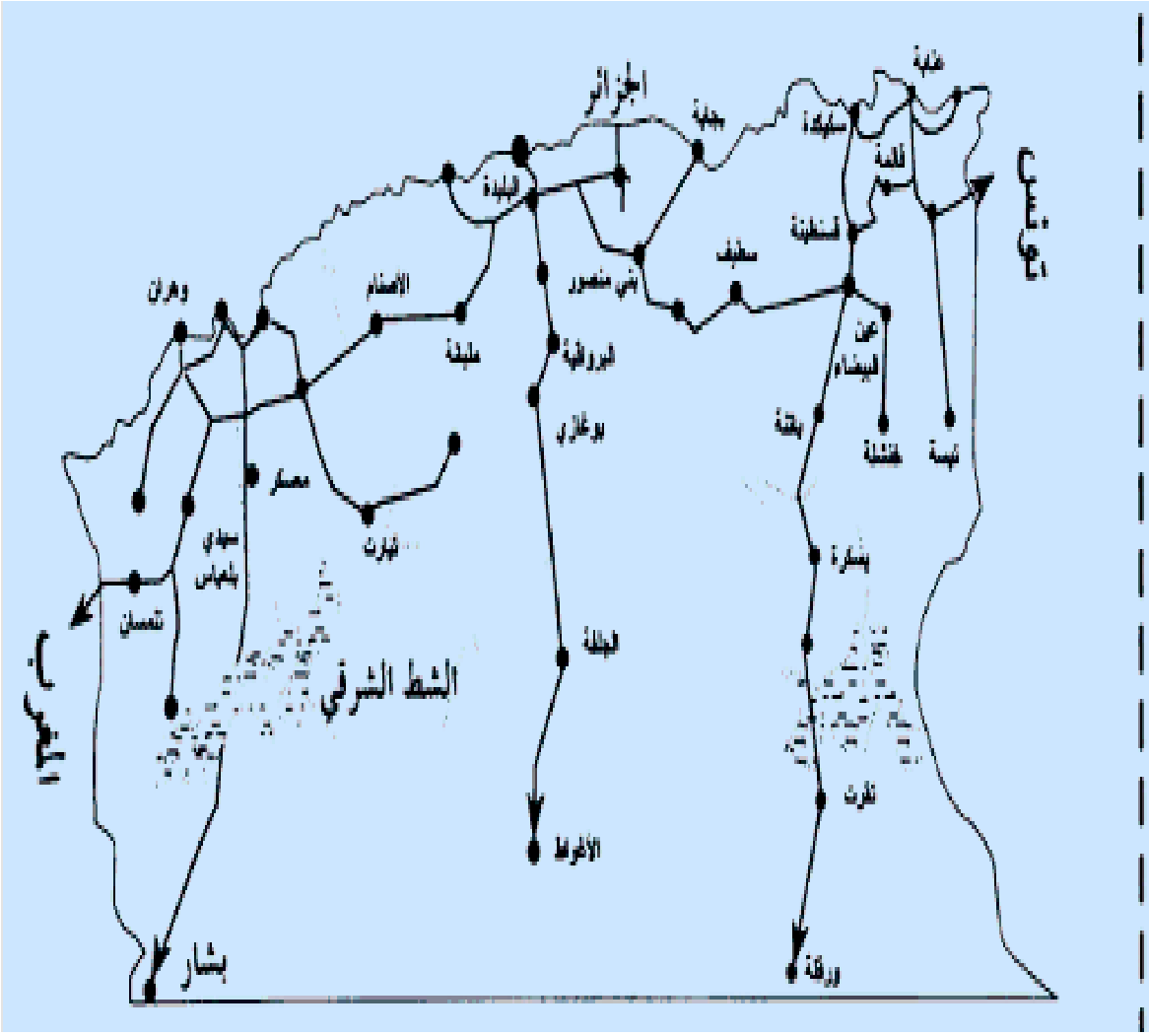

[1] – عميراوي حميدة، السياسة الفرنسية ...، مرجع سابق، ص159.

ملحق رقم 09: صورة لمدخل الصحراء لمنطقة قنطرة كما حددها كات[1].

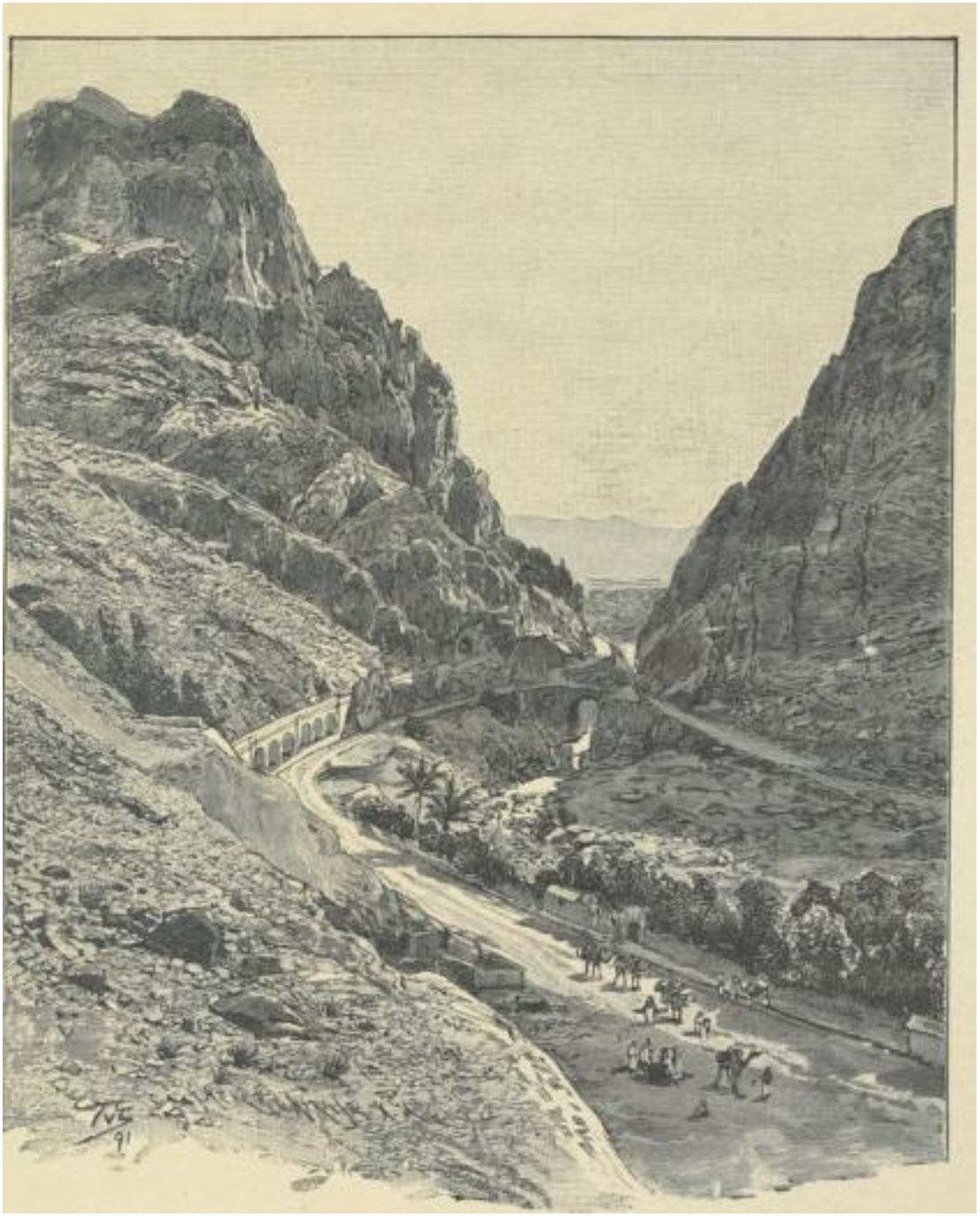

[1] - E-cat Op. cit, p137.

ملحق رقم 10: صورة بول بورد[1]

[1] – Chevalier Auguste, P531.

ملحق رقم 11: صورة لهنري دوفيرييه[1]

[1] − E-cat Op. cit, p25.

ملحق رقم 12: صورة لشارلو دوفوكو[1]

[1] − Rene bazin, Op. cit, p4.

ملحق رقم 13: صورة الضابط أوجين دوماس[1]

[1] – http://www.senat.fr/sen2Eimg/daumas_melchior_joseph_eugene0321e2.jpg
شوهد يوم: 2017/04/23، على الساعة: 10:00.

ملحق رقم 14: صورة الجنرال كافينياك[1]

[1] – فليكس جاكو، مرجع سابق، صورة من الغلاف.

ملحق رقم 15: صورة فلارتز [1]

[1] - Henry Brosselarcl,Op, Cit, p4.

قائمة

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

1. أندري جيد، رحلة إلى شمال إفريقيا، تر: محمد عبد الغني، دار المعرفة، ط1، 2012م.

2. إيزابيل ابرهاردت، تاعليث، تر، عبد القادر ميهي، ط 1، مطبعة مزوار، الوادي، 2009.

3. _____، عودة العاشق المنفى كتابات ازبيل ابرهاردت عن سوف، تر، ميهي عبد القادر، مطبعة الوليد، الوادي، 2006.

4. جاكو فايكس، حملة الجنرال كافينياك في الصحراء الجزائرية أفريل –ماي 1847 تر حليمة ببوش. دار الرائد الكتاب، الجزائر، 2013.

5. حسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

6. س ترومليي، الفرنسيون في الصحراء يوميا حملة في حدود الصحراء الجزائرية أفريل – ماي 1847، تر، محمد المعراجي، غرناطة للنشر وتوزيع، الجزائر، 2013.

7. ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تح إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت لبنان 1970.

8. أبو عبيد الله المعروف بابن بطوطة (ت 979هـ، 1377م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، مصر 1958.

9. أبو عبيد الله المعروف بالشريف الإدريسي (ت561هـ-1167 م) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نشر مكتبة الثقافة الدينية، مجلد 1، د، ط، د، ت.

10. أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري (ت487)، المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب (جزء من مسالك وممالك)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

11. أبو قاسم محمد علي، بن حوقل النصيبي صورة الأرض، مكتبة دار الحياة، لبنان، 1982.

12. دي فايريه هنري. مذكرات طريق رحلة في الواحات الجزائرية والتونسية 1860-1861، تر، عبد القادر الميهي ط 1، مطبعة مزوار الوادي، 2014.

13. مدني أحمد توفيق، جغرافية القطر الجزائري، الناشئة الإسلامية، الجزائر

14. _____، هذه الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 2001.

15. المشير دو ك دي دوماس، الصحراء الجزائرية، تر، قندوز عابد فوزية، غرناطة لنشر والتوزيع، الجزائر.

16. العكنون عبد الله ذكريات **مشاهير المغرب في العلم والأدب والسياسة**، مركز التراث الثقافي المغربي، ط1، 2010، ج1.

17. مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة خلال العهد العثماني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

ثانياً: مراجع

1. أدموند بورك، فرنسا وسوسولوجيا الإسلام الكلاسيكية 1798-1962 تر يونس لوكيلي مؤمنون بلاحدود مؤسسة الدراسات وابحاث، المغرب، د.س. ن.

2. اعميراوي حميدة وآخرون: **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844-1816)**، ط1، الجزائر، دار الهدى، 2009.

3. _____، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916.

4. _____، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى، الجزائر 2005م.

5. برنسان أندري، إيف لاكوست، الجزائر بين الماضي والحاضر. ترجمة إسطنبولي رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية منتوري، قسنطينة، الجزائر، 1954.

6. بركات حلمي، المجتمع العربي المعاصر بحث استطلاعي اجتماعي، ط5، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1996.

7. بقطاش خديجة، الحركة التبشرية في الجزائر 1830-1871، دار هومة، الجزائر 2007.

8. بلعروق محمد الهادي، **أطلس الجزائر والعالم**، دار الهدى، الجزائر 1998.

9. بلغيث، محمد الأمين، الشيخ بن عمر محمد العدواني والطريقة الشابية، ط2، دار الكتاب الغد للتوزيع والنشر، الجزائر، 2007.

10. بوشارب عبد السلام، الهقار أمجاد وأنجاد، النشر متحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995.

11. بوشامة ليديا: وحدة جغرافية الجزائر والمغرب العربي، مجموعة محاضرات الواردة في مقياس جغرافية الجزائر والمغرب العربي.

12. بوعزيز يحي، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار البصائر للنشر والتوزيع ،ط خ، الجزائر،2009.

13. _____، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الدولية والوطنية**، ط 5، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.

14. بومعزة عبد القادر، بسكرة في عيون الرحالة الغربين ج 1، ط 1،دار علي بن زيد لطباعة والنشر ، بسكرة، الجزائر، 2016.

15. دحمان تواتي ومقلاتى عبد الله، **دور إقليم التوات خلال الثورة التحريرية (1956-1962)**، دار الشروق للطباعة والنشر، الجزائر .2008.

16. جودت حسنين جودة، **دراسات في جغرافيا الطبيعة للصحاري العربية**، بيروت، 1980.

17. جوزفين كام: المستكشفون في إفريقيا. تر. السيد يوسف نصر، دار المعارف، 1983، القاهرة.

18. حمادي الإدريسي عبد الله، تندوف وتجكانت تاريخا ومناقب وبوطولات، ج2، ط1، الجزائر، 2013.

19. درواز الهادي، **الولاية السادسة التاريخية(تنظيم ووقائع 1954_1962)**، دار الهدى الجزائر 2009.

20. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، ج1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1992.

21. _____، تاريخ الجزائر الثقافى 1830-1854 ج2، ط1، دار الغرب لإسلامي، بيروت، 2005.

22. _____، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.

23. أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2004م

24. السويدي محمد، **بدو الطوارق بين الثبات والتغير**، المؤسسة الوطنية للكتاب 1986.

25. الصديق الحاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11 إلى القرن 14هـ ومن 17 إلى 20م، ط1، مدرية الثقافة لولاية أدرار، الجزائر، 2003.

26. عبد القادر زبادية، **دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء**، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية الجزائر، د، ت.

27. العربي إسماعيل، **تاريخ الرحلة والاستكشاف في البر والبحر**. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

28. عواطف محمد يوسف نواب، **الرحلات المغربية الأندلسية**، الرياض، مكتبة فهد الوطنية للنشر، 1996.

29. العوامر إبراهيم بن الساسي، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف. تحقيق الجيلاني بن إبراهيم العوامر، منشورات التالة الأبيار الجزائر، 2007م.

30. علي إبراهيم عسي، **الفكر الجغرافي الكشوف الجغرافية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ،مصر، 2007م.

31. غانم محمد الصغير، **المعالم الحضارية في الشرق الجزائري**، دار الهدى الجزائر، 2006.

32. غنابزية علي، "**الحركة العلمية بوادي سوف**" دراسات تاريخية واقتصادية وثقافية، مزوار للطباعة والنشر، 2008

33. فرج محمود فرج، **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977.

34. القشاط محمد، توارق عرب الصحراء الكبرى، ط2، سرديني أذيتار، 1989.

35. حلمي عبد القادر، **جغرافية الجزائر طبيعية، بشرية، اقتصادية** ط1، الجزائر، 1968.

36. محمد مؤنس أحمد عوض، **الجغرافيون ورحالة مسلمون**، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 1995.

37. مخطاري مصطفى حطاب سفيان، **التحولات العمرانية في المدينة الصحراوية (حالة مدينة عين صالح الجزائر)**، جامعة هواري بومدين، الجزائر.

38. مصطفى محمد على، كشوف الجغرافية الأوربية للقارة الإفريقية وتطلعات المعاصرة للسيطرة على مواردها. جامعة جوبا شوهد يوم 3 أفريل 2017. Factory.com WWW.PDF.

39. مياسي إبراهيم، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1954**، دار هومة، الجزائر 2012.

40. _____، **التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912)**، الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد 1996.

41. _____، **الصحراء الجزائرية في ظلال وادي سوف (دراسة تاريخية)**، دار هومة، الجزائر، 2014م.

42. _____، **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، الجزائر ديوان مطبوعات الجامعية، 1999.

43. ميهي عبد القادر، **الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الاوائل ودراساتهم**، ط1، دار الثقافة، الوادي، 2015.

44. النبهاني تقي الدين، **النظام الاجتماعي في الاسلام**، ط، 4، دار الامة، لبنان. 2004.

45. هوغو (هـ-ج)، **الصحراء فيما قبل التاريخ الفصل الثالث والعشرون، تاريخ إفريقيا العام**، المجلد الأول، جون أفريك، اليونسكو، 1980.

ثالثاً: المصادر والمراجع الأجنبية

1- المصادر بالفرنسية:

1. Bourde Paul, **Atravers L'Algérie souvenir de L'excursion Parlementaire (septembre- octobre 1879)**, 2 ED G ,Charpentier, Editeur , Paris, 1880.

2. Brosselarcl, Henri, **Flatters les deux Mission du colonel Flatters** ,paris , .1884

3. Clamageran; j; **l'Algerie .impressions de voyage 17Mars-4juin 1873**, librairie Germer Bailliere ; paris;1874.

4. Duveyrier (H.) : **Les Touareg du nord**, Challamel Ainé, Libraire-éditeur, Paris, 1864.

5. E Pelissier; **quelques mots sur La colonisation militaire en Algerie**, Paris ,1847.

6. E. Cat, **A travers le Désert** ,Typographie Gaston N nè ،Paris ،1892.

7. Isabelle Eberhartt; **dans L'ombre chaude de L'Islam**, libraire charbentier et Basqulle, paris, 1921.

8. Eugene Daumas ,**Le Sahara Algerien**, paris,1845.

9. _____, **Moeure et coutumes de L'Algerie Tell –Kabylie –Sahara** ,librairie de l-hachette et cit ,paris ,1853.

10. _____, **Le Grand Désert ou Itinéraire d'une Caravane du Sahara au Pays des** Negrer,paris ،1848.

11. Eugene Fromentin, **Un été dans le Sahara**, Librairie Plon, paris, 1887.

12. Faucon Narcisse, **Livre D'or De L'Algérie**, Éditeurs Librairie Algérienne Et Coloniale, paris,1889.
13. Gastineau; Benjamin ,**Les femmes et les mœurs de l'algerie** ;paris;1861.

14. Gide L Andre; **silegrain ne meurt**;edition dugroupe ebooks libres gratuits: liban: 1926.

15. Gros; Jules; **Les Voyages et decouvertes de paul soleilet dans lesahara et dans le soudan,** paris maurice dreyfous;editeur.
16. Hurabiel Jean, **Au Pays du bleu** .Biskra et les oasis envrounantes. editeur augustin challamel.paris.1899.

17. Jacquot Félix: **Expédition du Général Cavaignac dans le Sahara Algérien en Avril et Mai 1847**, relation du voyage exploration scientifique souvenirs impressions, etc. Gide Baudry libraires éditeurs, PARIS, 1849.
18. Jus, **Les Oasis de l'Oued Rir' en 1856 et 1879**, suivies du Résumé des travaux de
19. Louis Regis ,constantine . **voyages et sejours**; editeur calmann levy;paris ;1880.

20. Octave Houdas;**ethnographie de L'algerie** .leclerc editeurs;paris 1886.
21. Rene bazin. **charles de Foucauld librairie plon** .paris 1921.

22. Soleillet Paul, Av**enir de la France en Afrique Challamel ainé librairie ED**, Paris, 1876.
23. Soleillet Paul; **l'afrique occidentale** ;algerie;mzab ;tidikelt ;avingnon imp de f;seguin aine;brue,bouquerie.
24. Trumelet (colonel) **Les Français dans le Désert** ,Daizieme Edition , paris ,1885.

25. Veuillot Louis; **Les Fracais en Algerie souvenirs d'un voyage fait en 1841**, Imprimeurs ,Libraires ,Tours ,1846.

26. Victor Largeau, **Le Sahara algérien ..1874**, dessins inédits,1881. Disponible sur http://gallica.bnf.fr/ Consulté le 14/9/2015.
27. Zaccon-(J) **batna ,tougourt et souf** .paris libbarie militaire ;rue et passage dauphie, 30, 1865.

2- المراجع بالفرنسية:

1. Voisin Andre-roger; **le souf monographie**;edition el-walid; algerie; 2004.

رابعاً: المذكرات والرسائل الجامعية

1. بن قيطون حمزة، **المشروع الاستيطاني الفرنسي بإقليم عين الصفراء العسكري (1882-1914)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر، إشراف داده محمد، جامعة أحمد بن بله وهران، 2015-2016.

2. بوبي زينب، **النشاط التنصيري في الجزائر منطقة الصحراء نموذجا (1844-1920)**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ معاصر، إشراف لخضر بن بوزيد، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2014-2015.

3. الحاج امحمد الحاج ابراهيم، المؤسسة التنصيرية في الجزائر في نهاية القرن 19م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف فاطمة الزهراء قشي، جامعة قسنطينة 2011-2012.

4. خليف خيرة، مارية شاكو، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في اقليم وادي ريغ خلال القرن 19م**، مذكرة لنيل شهادة ليسانس، اشراف بلحاج ناصر، جامعة الوادي، 2011-2010.

5. دواس حسن، **صورة المجتمع الصحراوي خلال القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين مقاربة سوسيو ثقافية**، مذكرة ماجستير في لأدب مقارن شعبة أدب الرحالة، إشراف الأخطر عيكوس، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008.

6. رضوان شافو، **مقاومة منطقة تقرت وجوارها**. مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، إشراف أبو القاسم سعد الله، جامعة الجزائر، 2006-2007.

7. زندري عبد النبي، **بوادر استطيان بدو الطوارق في الوسط الحضري**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص علم الاجتماع الثقافي 'اشراف عبد الغني المغربي، الجزائر، 2006-2005.

8. عريق **صفاء، المشاريع الفرنسية في الصحراء الجزائرية خلال الثورة التحريرية**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ معاصر، إشراف محمودي نصر الدين، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2013-2014.

9. عزيز الداوي، عائشة بابة، **شارل دي فوكو ونشاطه في منطقة الهقار 1905-1916**، مذكرة لنيل شهادة ليسانس 'اشراف بشير سعدوني، جامعة الجزائر 2007-2008.

10. غنابزية علي، **مجتمع وادي سوف من الاحتلال الى بداية الثورة التحريرية 1830-1945**، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف عمر بن خروف، جامعة الجزائر، قسم التاريخ. 2008-2009.

11. قرين إيمان، السياسة الفرنسية في فصل الصحراء الجزائرية 1962-1965،مذكرة مكملة لشهادة الماستر تخصص تاريخ معاصر ،إشراف رابح لخميسي ،جامعة محمد خيضر بسكرة 2013-2014م.

12. قرناب عبد الرؤوف، **جهود علماء الجزائر في الرد على التنصير ابان الاحتلال الفرنسي 1830-1962**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الاسلامية، تخصص مقارنة الاديان، اشراف محمد الامين بلغيث، جامعة الجزائر. 2014-2015.

13. كديدة محمد مبارك، **قضية فصل الصحراء في المفاوضات الجزائرية الفرنسية 1960-1962**. مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ومعالم تخصص مقاومة الوطنية وثورة تحريرية إشراف مريم صفير جامعة الجزائر، 2011-2012.

14. كنيوة هيبة، **نظرة الرحالة والمستكشفين الفرنسيين لمجتمع الجنوب الشرقي الجزائري 1844-1918**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر جامعة الوادي، إشراف جباري عثماني، 2015- 2016م.

15. مرموري حسن، **التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين**، رسالة لنيل شهادة ماجستير، إشراف عبد الغني مغربي، جامعة الجزائر، 2001-2002.

16. موسى بن موسى، **التغلغل لاستعماري بوادي سوف بين المقاومة والتأقلم (1854-1947)**، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، العلوم في تاريخ الجزائر والمعاصر، إشراف احمد صاري، جامعة الأمير عبد قادر، قسنطينة، 2014/ 2015.

17. يحي برغيث: **صورة الجزائر عند الرحالة الفرنسيين سنة في السهل ل أوجين فرومنتان نموذجا**. مذكرة مقدم لنيل شهادة الماجستير تخصص أدب مقارنا. اشراف حميدة نصر خوجة جامعة دكتور يحي فارس المدية، 2011-2012.

خامساً: المجلات والموسوعات

1- المجلات باللغة العربية:

1. بلحميس رحوي آسيا، **وظيفة التعليم غداة التعليم الاحتلال الفرنسي**، مجلة دراسة نفسية وتربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية وتربوية، مجلة مولود معمري، تيزو وزو، العدد 7ديسمبر 2011.

2. بن الصديق سليمان، **تاريخ مدينة متليلي في نصوص الرحالة والجغرافين**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات المجلد 9 العدد الاول، 2016.

3. بن صغري حاضري يمينة، **القصور الصحراوية صورة الابداع الهندسي**، مجلة الواحات للبحوث ودراسات، ع 15، جامعة غرداية 2011.

4. بوبايه عبد القادر " **دور الرحالة والمستكشفين الفرنسيين**". مجلة العصور ع5/4 ديسمبر 2003 جوان 2004.

5. بوبكراوي الحسن، الفقير عبد العالي، **المجال الصحراوي المغربي من خلال كتاب – استكشاف في المغرب** –مجلة م، ش المغرب أعداد 6، 8، كلية أداب علوم انسانية مراكش، 2012.

6. بوجله عبد المجيد، " **التفتيت السياسي للجزائر في الاستراتيجية الفرنسية ودور الثورة في الحفاظ على الوحدة الكاملة** ". جامعة تلمسان، مجلة الواحات للبحوث والدراسات مجلد 7 ع2، 2014.

7. بوسعد الطيب، **الصحراء الجنوبية الشرقية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني (وادي ريغ نموذجا)**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 15، المركز الجامعي غرداية.

8. بوعزيز يحي، **طرق القوافل ولأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأروبين خلال القرن التاسع عشر**، مجلة الثقافة، ع59، الجزائر، سبتمبر–اكتوبر1980م.

9. بن محمذن محمدو، الرحلات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء الكبرى (دوافع وعراقيل)، مجلة العلوم الإنسانية،ع20 ،ديسمبر، قسنطينة ،2003.

10. "خفايا عسكرية لتثبيت الفرنسيين في الصحراء"، جريدة المجاهد، ج 4، 14 أوت 1961.

11. الصحراء الجزائرية مصدر رخاء، جريدة المجاهد، ع89، الصادر في 13 مارس1961.

12. عبد دايم حسين أحمد، " **الاقتصاد الإفريقى في كتابات الرحالة والأوروبيين**". مجلة قراءات إفريقية تاريخية.ع 21، سبتمبر 2013.

13. العربي إسماعيل، **الترتيبات الثكتيكية لحصار قرية الزعاطشة**، مجلة الدراسات التاريخية ع 9 الجزائر، 1995.

14. علوي مصطفى، **فصل الصحراء الجزائرية في الاستراتيجية الفرنسية**، مجلة الدراسات، العدد الاول 2012، جامعة بشار الجزائر.

15. غنابزية علي، **الحركة العلمية بوادي سوف" دراسات تاريخية واقتصادية وثقافية**، مزوار للطباعة والنشر، 2008.

16. _____، **وادي ريغ من خلال تاريخ محمد العدواني**، مجلة الباحث للبحوث والدراسات، ع 2، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة الوادي.

17. مسعود خوند، **الموسوعة التاريخية الجغرافية**، سن الفيل، بيروت لبنان، ج 11.

18. هقاري محمد، " **دور سكان منطقة أزجر والهقار في مقاومة الاستعمار الفرنسي أثناء الحرب العالمية الأولى** "، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية ع 24، جوان 2016.

2- المجلات باللغة الأجنبية:

1. Candaux Émile, "Note de l'archiviste : Il y a un siècle, de hardis voyageurs exploraient le Sahara. In" , Le Globe. Revue genevoise de géographie, tome 115, 1957.

2. Chevalier Auguste, "Paul Bourde et l'Agriculture coloniale", Revue de botanique appliquée et d'agriculture coloniale 6e année, bulletin n° , septembre, 1926.

3. F-Demolin, l'exploration du Sahara ,Revue Annales de géographie ,t40, n°266, 1931.

4. Mangin (E), Notes sur l'histoire de laghout. R;A ,Alger. N°38.1894.

5. Feraud CHarler; les Ben-djelleb Sultans de Touggourt ,R .A ,N°23 Annee; 1879; Algies.

سادساً: الملتقيات

1. انساعد سميرة وزيوش محمد، **صورة مدينة شلف وضواحيها في الكتابات الفرنسية خلال القرن التاسع عشر الفرنسية**، ملتقى وطني الثاني حول أعلام حوض شلف يومي 3-4 فيفري 2009 جامعة حسيبة بن بوعلي شلف.

2. قادري عبد الحميد، **التركيبة البشرية لسكان وادي ريغ أيام بني جلاب الملتقى الوطني الثالث**، متحف المجاهد تقرت 23-24 أفريل 1998، ط1، حي الصحن الأول الوادي.

3. كاكي محمد، **تاريخ الجنوب الشرقي من خلال البعثات والكتبات الفرنسية ملتقى حول السياسة الفرنسية فى الصحراء الجزائرية وردود الفعل الوطنية 1845-1962**، جامعة غرادية، 2-3 نوفمبر 2014.

4. المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، **فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية**، سلسلة ملتقيات الجزائر.

5. يحياوي مسعودة، الصحراء في تقرير الاستعمار الأوربي اثناء القرن التاسع عشر، ملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرن 18-19م الموافق لي 25 جانفي 2012، المركز الجامعي بالوادي.

سابعاً: المواقع الإلكترونية

1. بن بوعزيز وحيد، الجنرال أوجين دوماس منطلق المقاومة ومنظورية الآخر ثلاثاء 17 فيفري 2015 .https:benbouaziz //wordpress.com شوهد :19-03-2017.

2. بن دومة محمد الطاهر، مخطوط أخبار وايام وادي ريغ تح بن عون محمد الحاكم www.ahmadalhasso.com 23.04.2017

3. محمد على مصطفى، الكشوف الجغرافية الأوربية للقارة الإفريقية وتطلعات المعاصرة للسيطرة على مواردها. جامعة جوبا شوهد يوم 3 أفريل 2017. Factory.com .WWW.PDF

4. http://www.senat.fr/sen2Eimg/daumas_melchior_joseph_eugene0321e2.jpg

5. http//Gallica/bfr04/

6. http//Gallica/bnf.fr/

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان

مقدمة.....1

قائمة المختصرات.....8

الفصل الأول

الإطار الجغرافي والتاريخي للصحراء الجزائرية وبداية الاهتمام الأوربي بها

أولا: الخصائص الطبيعية والتاريخية للصحراء الجزائرية.....10

- الإطار الجغرافي.....10

- الإطار التاريخي 14

ثانيا: الاهتمام الأوربي بصحراء الجزائرية 18

- البعثات الاستكشافية قبل القرن 19م.....18

- الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية بداية الاحتلال.....20

- أهداف البعثات الاستكشافية الفرنسية.....23

- دوافع البعثات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء.....26

الفصل الثاني

بعض النماذج للبعثات الاستكشافية الفرنسية للصحراء الجزائرية بعد الاحتلال

أولا: البعثات الاستكشافية لأدباء والفنانين الفرنسين 33

- فرومنتان Eugène Fromentin.....33

- فيكتور لاجو Victor Lageu 37
- بول بورد Paul borde..... 41
- إيزابيل إبرهاردت Isabelle Eberhardt..... 43

ثانيا: البعثات الاستكشافية للمغامرين ورجال الدين 48

- هنرى دي فارييه Henri Duveyrie..... 48
- الأب جون هاربيال Hurabielle Jean..... 52
- شارل دو فوكو Charles de Foucauld 58

ثالثا: البعثات الاستكشافية للضباط الفرنسين 62

- دوماس Dumas..... 62
- كافينياك Général Cavaignac..... 72
- س ترومليي C.Trumelet 75
- فلارتز Col-Flatters..... 82

الفصل الثالث

الصحراء الجزائرية من منظور المستكشفين الفرنسين

ونتائج البعثات الاستكشافية

أولا: الصحراء الجزائرية من منظور المستكشفين الفرنسين 89

- الحياة الاجتماعية 89
- الحياة الاقتصادية..... 102

- الحياة الثقافية 106

ثانيا: نتائج البعثات الاستكشافية 113

- دراسات المستكشفون حول الصحراء 113

- مشروع السكة الحديدية 115

- مشروع البحر الداخلي 117

- ردود فعل السكان 119

الخاتمة.....126

الملاحق.....129

قائمة المصادر والمراجع.....145

الفهرس.....160